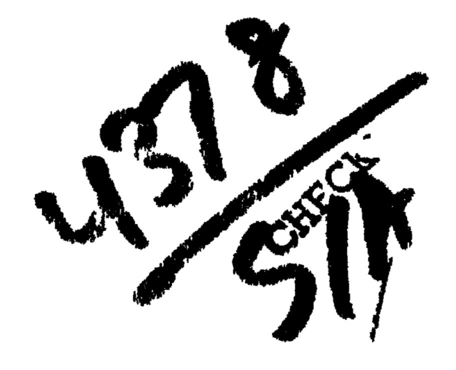


كتاب

الاخبار الطوال

فيه ذكر ملوك الأرض من لدن آدم عليه السلام الى انقضاء ملك
يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز * وذكر من ملك من ملوك قحطان
وملوك الروم وملوك الترك فى كلّ عصر وأوان ، وذكر الأئمة والخلفاء والحروب
التي كانت مثل يوم القادسيّة وفتوح العراق وانصرام دولة العجم وحرب
الجمل وصفّين ويوم النهروان ومقتل الحسين بن علىّ عليهما السلام وقتل
ابن الزبير وخروج الأزارقة وحروبهم وأيّامهم وخبر المختار بن أبى عبيد
وقتله وسبب خروجه * وخروج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجّاج وما
كان بينهما ، وذكر خلافة عبد الملك والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز
الى انقضاء ملك بنى اميه ، وخبر الدولة العبّاسيّة وقصّة ابى مسلم الى خلافة
المنصور وبنائه مدينة بغداد وأيّام الخلفاء من بعده الى انقضاء أمر محمد الأمين
، وخبر المأمون الى آخر أيام المعتصم * وخبر بابك وحروبه وأيّامه مختصرًا
باسير مقتصر على الاقتصاد



(فرقة أولاد آدم)

قال أبو حنيفة احمد بن داود الدّينَوَرىّ رحمه الله وجدت فيما كتب أهل العلم بالأخبار الاولى أن آدم عليه السلام كان مسكنه الحرم وان ولده كثروا فى زمان مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم وكان سيّد ولد آدم فى دهره والقائم بأمرهم وكذلك كان آباؤه الى آدم عليه السلام ووقع بينهم التنازع فى الأوطان ففرّقهم مهليل فى مهبّ الرّياح الأربع وخص ولد شيث بأفضل الأرض فأسكنهم العراق

(ادريس ونوح)

وكان أول نبي بعد شيث ادريس واسمه أخنوخ بن يرد بن مهليل وسمى ادريس لكثرة دراسته . ثم بعث الله نوحا عليه السلام الى أهل عصره وكان مسكنه بأرض العراق وهو نوح بن لمك بن متوشلخ «فكذبوه» فأغرقهم الله ونجّى نوحا ومن كان معه فى السفينة وكان جنوح السفينة واستقرارها على رأس الجودىّ جبل بقَرْدى وبازَبْدَى من أرض الجزيرة . فلما مات نوح استخلف ابنه ساماً فكان أول من وطّد السلطان وأقام منار الملك بعد

ثم ان الضحاك البَيْوَرَاسفَ طلبه ليفتنه عن دينه فهرب منه بأهله وولده من مدينة بابل حتى حلّ بمفازة من أرض الروم فقبره بها ويقال ان مكان قبره معروف حتى الآن

(نمروذ بن كنعان)

قالوا ولما أهلك الله عادا مع شداد ضعف ركن الضحاك ووهى أمره واجترأ عليه ولد أرفخشذ بن سام وكان الوباء وقع فى جنده ومن كان معه من الجبابرة فخرج يريد أخاه غانم بن علوان الذى ملّكه شديد على ولد يافث ويستعين به على أمره فاستغنم ولد أرفخشذ بن سام خروجه فأرسلوا الى نُمروذ بن كَنعان بن جم الملك وكان مستترا هو وأبوه فى طول ملك الضحاك بجبل دُنباوَند فأتاهم فملّكوه عليهم فصمد صمدَ من كان بأرض بابل من أهل بيت الضحاك فقتلهم أجمعين واستولى على ملك الضحاك وبلغ ذلك الضحاك فأقبل نحوه فظفر به نمروذ وضربه على هامته بجُرز حديد فأثخنه ثم شده وثاقا وأقبل به الى غار فى جبل دنباوند فأدخله فيه وسدّ عليه واستتب الملك لنمروذ واستوْسَقَ وهو الذى يسميه العجم فريدون قالوا ولما توفى هود صلى الله عليه وسلم اجتمع ولد ارم بن سام من أقطار الارض فملكوا مرثد بن شداد وذلك فى أول ملك نمروذ بن كنعان فغزاهم نمروذ فى آخر ملكه وقد وهى أمرهم فقدر عليهم . وقالوا فالغ وقحطان اخوان وهما ابنا غابر فقالغ جدّ ابراهيم صلى الله عليه وسلم وأما قحطان فأبو اليمن . ويروى ان ابن المقفع كان يقول يزعم جهّال العجم ومن لا علم له انّ جَمّ الملك هو سليمان

ابن داود وهذا غلط فبين سليمان و بين جمّ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .
ويقال ان نمروذ بن كنعان فرعونَ ابراهيم من ولد جمّ وكان ابن عمّ آزر
ابن تارخ أبي ابراهيم وهو ابراهيم بن آزر بن تارخ بن ناحور بن ارغو بن
شالخ بن ارفخشذ الذى سمّتــه العجم ايران ومن ولد أرفخشذ جميع العرب .
ومنهم أيضاً ملوك العجم وأشرافهم من أهل العراق وغيرهم

(ذكر قحطان)

قالوا ولما انقرضت عاد من أرض اليمن و بادوا وذلك فى عصر نمروذ
ابن كنعان اقطعها نمروذا بن عمه قحطانَ بن غابر فسار اليها فى ولده حتى نزلها
وبها بقايا قليلة ممن آمن بهود عليه السلام من عاد فجاورهم قحطان بها فلم يكن
إلا قليل حتى انقرضوا وبادوا وصفتِ الأرض لقحطان . ويقال ان السائر
اليها يَعْرُب بن قحطان بعد وفاة أبيه فسار اليها فى اخوته وأولادهم فقطنها
فكانت أم يعرب دون اخوته امرأة من عاد فتكلّم بلسان أمه . وذُكر
عن ابن الكَيِّس النَّمَري أنه قال ان قحطان تزوّج امرأة من العماليق فولدت
يَعْرُب. وجُرْهُم. والمُعْتَمر. والمُتلمّس. وعاصما. ومَنيعاً. والقُطامىّ. وعاصياً
وحِمْيَر. فتكلّموا جميعاً بلسان أمهم بالعربيّة وكان قحطان فى عصر نمروذ
وذُكر عن ابن الشرية انه قال كان الذى خرج اليها يعرب بن قحطان فى
ولده وكان أكبرَهم سنّاً وأعظمهم قدرا

(ذكر ثمود)

قالوا وان ثمود قَفَت ما كانت عليه عادٌ من الكفر بالله والعُتوّ عليــه

فأرسل الله اليهم صالحاً رسولا فكان من أشرفهم منصبا وأكرمهم حسبا فدعاهم الى توحيد الله فلم يقبلوا منه ولم يرعووا فأهلكهم الله عزّ وجل كما نصّ فى كتابه وهو أصدق الحديث . ويقال انه كان بين مهلك عاد ومهلك ثمود خمسمائة عام وكان ذلك فى عصر ابراهيم عليه السلام

(نمروذ وابراهيم)

وفى آخر ملك نمروذ وتسميه العجم فريدون تجبّر نمروذ وعتا ولهج بعلم النجوم واجتلب المنجّمين من آفاق الأرض وحباهم بالأموال واختار سبعة نفر من أهل بيته فسمّاهم الكوهبارين فولاهم أموره ووكّل كلّ رجل منهم بعمل أفرده به وكان آزر أبو ابراهيم أحد السبعة الذين اختار . وقد كان دان له الشرق والغرب فكان من أمر مولد ابراهيم ما قد جاءت به الآثار وكان أول من آمن بابراهيم امرأته سارة وكانت من اجمل أهل عصرها . ولوط كان ابن اخته فأقام ابراهيم مع أبيه ما شاء الله ثم خرج مهاجرا له . وخرجت معه سارة وكان أبو لوط من اهل مدينة سَدُوم وكانت امّه بنت آزر وانما كان قدم الى بابل زائرا لجدّه آزر فآمن بابراهيم فأقام معه ببابل موازرًا له على امره فلما خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا خرج معه لوط فلحق بأبيه وأهل بيته بمدينة سَدُوم وهى فيما بين أرض الأردن وتخوم ارض العرب وسار ابراهيم حتى أتى أرض مصر

(هجرة جرهم والمعتمر)

قالوا وان ولد قحطان كثروا بأرض اليمن فوقع بينهم التباغى والتحاسد

فاجتمع وَلد يعرب بن قحطان على وَلد جرهم بن قحطان و وَلد المعتمر بن قحطان فنفوهم عن اليمن وأرضه فسارت جرهم نحو الحَرَم وسار بنو المعتمر نحوالحجاز ورئيس جرهم مُضاض بن عمرو بن عبد الله بن جرهم بن قحطان وأرادوا نزول الحرم فمنعهم العماليق من ذلك فاقتتلوا فغلبتهم جرهم على الحرم ونفوهم منه ونزلت جرهم الحرم فلما قطنوه بلغ ذلك بنى المعتمر بن قحطان فاقبلوا من أرض الحجاز حتى أتوا الحرم وسألوا جرهم السكنى معهم فأبت عليهم جرهم ورئيس بنى المعتمر السَمَيْدَع بن عمرو بن قنطور بن المعتمر بن قنطور بن المعتمر بن قحطان فتداعى الفريقان الى الحرب فبحر بهم هذه سُمِّيت قُعَيقِعان والمطابخ وأجياد وفاضح لان به فُضحت بنو المعتمر وقُتل السميدع وكان الظفر لجرهم

(تمايك نمروذ أولاده)

قالوا وكان لنمروذ ثلاثة بنين. ايَرج. وسَلْم. وطُوس ففوَّض الى ايرج ملكه وجعل سَلما على ولد حام . وطوسا على ولد يافث فحسد ايرج اخواه اذ خصّه أبوه بالأمر دونهما وهو أصغر سنّا منهما فاغتالاه فقتلاه فصير الملك الى ابن ابنه منُوشهْر بن ايرج وصرفه عن ابنيه سلم وطوس ثم مات فملك منوشهر بن ايرج وفى عصر منوشهر كثرت قحطان بأرض اليمن فملكوا عليهم سَبَأَ بن يَشْجُب واسم سبأ عبد شمس

(أولاد اسماعيل)

قالوا وفى ذلك العصر توفى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وخلّف

ثلاثة بنين قَيذَر بن اسماعيل ونابت بن اسماعيل وهو كان القيّم بأمر مكة والحرم بعد ابراهيم ومَدْيَن بن اسماعيل وهو الذى سار الى أرض مَدْين فنزلها ومن ولده شُعَيب النبيّ عليه السلام وقومه الذين ارسل اليهم

(غلبة جرهم على الحرم)

قالوا ولما توفى نابت بن اسماعيل غلبت جرهم على البيت والحرم فخرج قيذر بن اسماعيل بأهله وماله يتتبع مواقع القَطْر فيما بين كاظِمة وغَمْرذى كندة والشّعْثَمين وما والى تلك الارضين حتى كثر ولده وانتشروا فى جميع أرض تهامة والحجاز ونجد

(بنو قحطان)

فملك سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أرض اليمن طول ملك منوشهر مائة وعشرين سنة ثم مات وملك بعده ابنه حِمْيَر بن سبأ وجعل ابنه كهلان وزير حمير

(انقضاء ملك منوشهر وابتداء ملك فراسياب)

قالوا ولما أتى لملك منوشهر مائة سنة وعشرون سنة سار اليه فراسياب بن فايش بن نُوذسف بن الترك بن يافث بن نوح وذلك حين ملك حمير ارض اليمن وكان مسيره من ناحية المشرق فى جموع من ولد يافث بن نوح حتى انتهى الى أرض بابل وخرج اليه منوشهر الملك فى جنوده ففُضّت جموع منوشهر وقفا فراسياب أثر منوشهر حتى لحقه فقتله واستولى على ملكه وجلس على سريره . وسام ولد ارفخشذ الخسف وهدم ما كان بأرض بابل من الحصون

وعوّر ما كان فيهـا من العيون وطمّ ما كان فيها من الأنهار وقحط الناس فى ملـكه قحطا شديداوكان أهل ايران شهر فى ملـكه فى أعظم بلاء

(ملك زاب بن بودكان)

فلما تمّ لملك فراسياب تسع سنين ظهر زاب بن بودكان بن منوشهر بن ايرج بن نمروذ بارض فارس فخلع فراسياب ودعا لنفسه فمـال اليـه جميع ولد سام بن نوح للجهد الذى نالهم في ملك فراسياب فسار الى فراسياب حتى نفاه عن مملـكته وعمد الى المدن والحصون التى هدمها فراسياب فاعاد بناءها وحفر الأنهار والقنى التى كان طمها وأصلح كلّ ما كان فراسياب أفسده . وكَرَى بالعراق أنهاراً عظاماً سماها الزوابى اشتق اسمها من اسمه وهى الزابَى الأعلى والزابَى الأوسط والزابَى الأسفل وابتنى المدينةالعتيقةوسماهاطيسفون ثم سار فى أثر فراسياب وقد أقام بخراسان فى جموعه وعساكره فزحف اليـه فراسياب فالتقوا وأقبل ارسناس الذى كان منوشهر أمره بتعليم الناس الرمى بالنشاب وقد وتر قوسه وفوّق فيها نشابة فاقبل حتى دنا من فراسياب فلمـا تمـكن رماه رمية خالطت فؤاده وخرّ ميتاً وانصرف ولد يافث حين قُتـل ملـكهم حتى لحقوا بارضهم وكان زابٌ قد أصابه جراحة كثيرة فمـات منها بعد مهلك فراسياب بشهر .وفى ذلك العام أيضاً مات حمير بن سبأ . وقالوا كان مُلكُ الوليد بن مُصعب فرعون موسى عليه السلام على جميع أرض ولد حام وهى المملـكة التى تعرف بملك مصر بن حام . قالوا ولما توفى يوسف بن يعقوب واخوته بأرض مصر بقى أعقابهم بها وكثروا فيها وكانوا فى زمان موسى عليه

السلام ستمائة الف رجل وكان مَلِك اليمن فى زمن موسى المِلطاط بن عمرو ابن حميَر بن سبأ .

(كيقباذ بن زاب)

وكان ملك أرض بابل كيقباذ بن زاب وكان الملطاط يلقّب بالرائش لانه راش قومه وأغناهم وكانت ملوك الارض كلها قد دانوا لكيقباذ واتقوه بالاتاوة وكان له ثلاثة بنين . قابوس وهو الذى ملك من بعده . وكيابِنَه وهو جد لُهْرَاسِف الذى ملك بعد سليمان بن داود عليه السلام . وقيُوس وهو جد الاشغانيين الذين كانوا ملوك الجبل فى زمان الطوائف وفى عصره خرج موسى بن عِمران من مصر هاربا من فرعون حتى أتى أرض مدين ونزل على شعيب فآجره نفسه ثمانى حِجج كما ذكر الله جلّ ثناؤه فى الكتاب الناطق . ثم خرج من عند شعيب لما قضى الأجل وسار بأهله فكان من أمره وا كرام الله اياه بتكليمه ورسالته ماقد قصَّه علينا فى كتابه . وانصرف الى شعيب وردّ أهله اليه ومضى حتى بلّغ رسالةَ ربه وفى ذلك العصر بُعث شعيب الى قومه فكان منهم ماحكاه الله فى كتابه .

(ملك أبرهة باليمن)

قالوا ثم ملك أرض اليمن أبرهة بن الملطاط وهو أبرهة ذو المنار سمي بذلك لانه أمر بعمل المنار والايقاد عليها بالليل ليهتدى بها جنوده وتوفى موسى بن عِمران عليه السلام وتولى أمرَ بنى اسرائيل من بعده يُوشَع بن نون فخرج ببنى اسرائيل من أرض مصر الى أرض الشام فأسكنهم بفلَسْطين . قالوا وان

أبرهة تجهّز وسار فى بشر كثير يؤمّ أرضَ المغرب واستخلف على ملكه ابنه افريقيس فأوغل فى أرض السودان فأعطوه الطاعة فجاز أرضهم وسار حتى انتهى الى أمّة من الناس أعينهم وأفواههم فى صدورهم ويقال انهم أمّة من ولد نوح عليه السلام غضب الله عليهم فبدّل خلقهم فأعطوا الطاعة وانصرف راجعا فمرّ بأمة من الناس يقال لهم النسناس للرجل والمرأة منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة ينقزون نقزا فى أسرع من حُضر الفرس الجواد وهم يهيمون فى الغياض التى على شاطئ البحر خلف رمل عالج يعنى رمل بلاد اليمن فسأل عنهم فأخبر أنهم أمّة من ولد وَبَار بن إرم بن سام بن نوح .

(ملك كيكاوس بن كيقباذ)

قالوا وكان ملك العجم فى عصر أبرهة بن الملطاط كيكاوس بن كيقباذ وكان متشدّدا على الاقوياء رحيما بالضعفاء وكان منصورا محمودا الى ان خطرت منه خطرة ضلال فيما كان همّ به من الصعود الى السماء فهو صاحب التابوت والنسور . وكان قد وجد على ابنه سياوش ولم يكن له ولد غيره فأراد قتله فهرب منه فلحق بملك الترك فحلّ منه محلا لطيفا لما بلاه واختبره ورأى عقله وآدابه وبأسه ونجدته ففوّض اليه أمره فلما رأى ذلك أهل بيت الملك حسدوه وخافوا أن يبزّهم الامرَ فدسّوا اليه الغوائل عند الملك حتى أقدم عليه فقتله وقد كان زوّجه ابنته وحملت منه فأراد أن يبقر بطنها عن جنينها فناشده أبريان الوزير فيها وفى ولدها ان يقتلها من غير جرم فقال له دونك

فخذها اليك فاذا ولدت فاقتل ولدها فكانت عنده حتى ولدت غلاما وهو كيخسرو الذى ملك بعده فأخرجه عن المصر واسترضع له فى سكان الجبال من الاكراد فنشأ عندهم وقال للملك انها ولدت جارية وقد قتلتها فصدّقه .

(ملك كيخسرو)

وان أهل فارس شنئوا كيكاوس لما أظهر من الجبروت والعتوّ والجرأة على الله وتآمروا فى خلعه وفشا ذلك حتى بلغ أمّ الغلام وقد أتى له سبع عشرة سنة فدسَّت رسولا الى أهل فارس تعلمهم مقتل سياوش وأمر الغلام فاختاروا رجلا من أفاضلهم يسمى زَوّ فوجهوه الى ابريان الوزير فى الاقبال بالغلام فقدم عليه وأفرشه ما أجمعت عليه فارس فسلم اليه الغلام وحمله على فرس ابيه سياوش الذى قدم عليه من العراق فسار به زوّ يكمن النهار ويسير الليل حتى ورد يمّ جيحون وهو نهر بلخ مما يلى خوارزم فعبره سباحة على فرسه وأقبل به حتى أورده دار الملك فخلعوا كيكاوس وملّكوا الغلام وسموه كيخسرو ومنحوه الطاعة فأمر بجده فحبس فلم يزل محبوسا حتى هلك

(ملك افريقيس على اليمن)

قالوا وكان ملك كيخسرو وملك افريقيس بن ابرهة فى عصر واحد وان افريقيس تجهَّز يريد المغرب حتى أوغل فى أرض طنجة والاندلس فرأى بلادا واسعة فابتنى هناك مدينةً وسمّاها افريقيّة اشتق اسمَها من اسمه ونقل اليها سكانا وهى المدينة التى ينزلها اليوم سلطان ذلك البلد وعظماؤها ثم

انصرف الى وطنه وفى ذلك العصر نشأ معدّ بن عدنان وفيه انقرض ولد إرم من جميع أرض العرب الا بقايا من طَسْم وجَدِيس غبروا بعُمان والبحرين واليمامة

(ملك ذى جيشان بن افريقيس وهلاك طسم وجديس)

ولمّا مات افريقيس بن ابرهة ملك ابنه ذو جَيْشان بن افريقيس فتجهّز لغزو كيخسرو ملك فارس وجمع جنوده وسار حتى نزل بنَجْران وكان بعُمان والبحرين واليمامة بشر كثير من ولد طَسْم وجديس ابنى إرم بن سام وكانوا من العرب العاربة وكان ملكهم رجلا من طسم يسمّى عِمْليقا وكان جائرا ظلوما وبلغ من عتوّه ان أمران لا تُزَفّ امرأة من جديس الى زوجها الا بدؤوه بها فمكثوا بذلك دهرا طويلا وان رجلا من جديس تَزَوَّج عُفَيْرة بنت غفار أخت الاسود بن غفار عظيم جديس وسيّدها فلما أرادوا اهداءها أُدخلت على الملك فافترعها ثم خلّى سبيلها فخرجت الى قومها فى دمائها رافعة ثوبها عن عورتها وهي تقول

أيصلُح ما يُؤتَى الى فَتَياتكم ... وأنتم رجالٌ ثَوْرَةٌ عددَ النَمْلِ

فلو اننا كنّا رجالاً وكنتُم ... نساءً لكُنّا لا نُقِرُّ على الذُلِ

فبعدًا لبَعْلٍ ليس فيه حَمِيَّةٌ ... ويَختالُ يَمشِي مِشْيةَ الرجلِ الفَحلِ

فحميت من ذلك جديس فاغتالوا عمليقا فقتلوه بغرّة واما مَهم الاسودُ بن غِفار يرتجز ويقول

يا ليلةً ما ليلةُ العَرُوسِ ... جاءت تَمشَّى بدمٍ جَميسِ

ياطسمُ ما لاقيت من جديس ... إحدَى لياليك فهيسى هيس

فأبادوا طسما فلم يفلت منهم الا رجلٌ يقال له رِياحُ بن مُرَّة فانه مضى على وجهه حتى أتى ذا جيشان وهو معسكر فى جنوده بنجران فمثل بين يديه ثم قال

انّك لم نسمَعْ بيوم ولا ترى ... كيوم اباد الحيّ طسماً به المكرُ
أتيناهم فى أُزْرِنا ونعالنا ... علينا المُلاء الحُمْرُ والحُلَلُ الخُضْرُ
فصِرْنا لحوماً بالعَراء وطُعْمةً ... تَنازَعَها ذيبُ الوَثيمة والنمْرُ
فدُونك قوماً ليس للهِ فيهمُ ... ولا لهمُ منه حِجابٌ ولا سِتْرُ

فقال الملك كم بيننا و بينهم قال ثلاثٌ فقال من حضر كذب أيها الملك بينك و بين القوم عشرون ليلة فأمر جنوده بالمسير نحو اليمامة ففى مسيرهم وقصة الزَّرْقاء يقول الاعشى بعد ذلك بدهر طويل

قالت أرى رجلاً فى كفّه كتفٌ ... أو يخصف النَعْلَ لَهْفَى أيّةً صنعا
فكذبوها بما قالت فصبّحهم ... ذوآلِ جيشانَ يُزْجِي الموتَ والشُرَّعا
فاستنزَلوا أهل جوٍّ من مساكنهم ... وهدّموا مُشْرِفَ البُنيان فاتّضعا

فأمّ جديسا واستأصلهم ثم ارتحل نحو العراق يريد كيخسرو وزحف اليه كيخسرو فالتقرا فقُتِل ذو جيشان وانفضّت جموعه

(ملك الفند ذى الاذعار)

فملكت اليمن ابنه الفندَ ذا الاذعار وانما لقّب ذا الاذعار لرُعب الناس منه فلم تكن له همّة الا الطلب بثأر أبيه

(هجرة ربيعة الى اليمامة والبحرين)

قال و بقيت اليمامة والبحرين بعد قتل جديس ليس بها أحدٌ الى أن

كثرت ربيعة وانتشرت وتفرّقت فى البلاد فسارت عَنَزَةُ بن أسد بن ربيعة تتّبع مواقع الغيث وتقدّمها عبدُ العُزّى بن عمرو العنزىّ حتى هجم على اليمامة فرأى بلادا واسعة ونخلا وقصورا واذا هو بشيخ قاعد تحت نخلة سحوق يرتجز ويقول

تَقاصَرِى أجْنِ جنالكِ قاعدَا إنى أرَى حَملَكِ يَنمى صاعدَا

فقال له عبد العُزّى من أنت أيها الشيخ قال أنا من هِزّان الضراغمة الاقران غزانا ذو جيشان . الملك القرم اليمان . فأعمل فينا المُرّان . فلم يبق بهذا المكان. غيرى وانى لَفان. فقال عبد العزّى ومن هزّان قال هزّان بن طسم. أخو النُهى والحزْم . وابن الشجاع القرم . فأقام عبد العزّى أيّاما ثم تبرّم بمكانه فمضى سائرا حتى سقط الى البحرين فرأى بلادا أوسع من اليمامة وبها من وقع اليها من ولد كهْلان حين هربوا من سيل العَرِم فأقام معهم. وسارت بنو حنيفة على ذلك السمت يتّبعون مواقعَ الغيث وتقدّمهم عُبيد بن يربوع وكان سيّدهم فنزل قريبا منها فمضى غلام له ذات يوم حتى هجم على اليمامة فرأى نخلا وريفا واذا هو بشئ من تمر قد تناثر تحت النخل فأخذه وأتى به عبيدا فأكل منه فقال وأبيك ان هذا الطعام طيّب فارتفع حتى أتى اليمامة فدفع فرسه فخط على ثلاثين دارا وثلاثين حديقة فسمّى ذلك المكان حَجْرا فهو اليوم قصبة اليمامة وموضع ولاتها وسوقُها وتسامعت بنو حنيفة بما أصاب عبيد بن يربوع فاقبلوا حتى أتوا اليمامة فقطنوها فعقبهم بها الى اليوم . قال وكان داود النبي عليه السلام فى عصر الفند ذى الاذعار وكان ملك العجم

كيخسرو بن سياوش

(ملك داود)

وكان سلطان بنى اسرائيل قد وَهى فكان من حولهم من الامم يغزونهم فيقتلون ويأسرون فأتوا نبيهم شعيبا فقالوا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فملّك عليهم طالوت صمويل وكان من سبط يوسف صلى الله عليه وسلم وكان الملك فى ولد يهوذا وقد كان بقى فى ذلك العصر من ولد عاد جالوت الجبّار فسار غازيا لبنى اسرائيل فى جنوده فجمع طالوت بنى اسرائيل وخرج لمحاربته فمرّوا بالنهر الذى نهاهم طالوت عن شربه وشربوا منه الا ثلثمائة رجل وسبعة عشر رجلا عدد أهل بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان داود النبي حينئذ حدث السنّ فلما تواقف الفريقان وضع داود عليه السلام حجرا فى قذّافة ثم فتلها ورماه فصكّ بين عينى جالوت فكانت نفسُه فيه وانهزم جنوده وغنم بنو اسرائيل أموالهم فاجتمع بنو اسرائيل عند ذلك على تمليك داود صلى الله عليه وسلم وخَلَع طالوت برضا منه وداود من سبط يهوذا بن يعقوب قالوا وكان ملك الروم فى ذلك العصر دقيانوس صاحب الفتية أصحاب الكهف وذكر عن عبد الله بن الصامت قال وجهنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه سنة استخلف الى ملك الروم لادعوه الى الاسلام أو آذنه بحرب قال فسرت حتى أتيت القسطنطينية فأذن لنا عظيم الروم فدخلنا عليه فجلسنا ولم نسلم ثم سألنا عن أشياء من أمر الاسلام ثم صرفنا يومنا ذلك ثم دعا بنا يوما آخر ودعا خادما له فكلّمه بشئ فانطلق فأتاه بعتيدة فيها بيوت كثيرة وعلى كلّ بيت باب

صغير ففتح بابا منها فاستخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء كهيئة رجل أجمل ما يكون من الناس وجهاً مثلَ دارة القمر ليلة البدر فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا أبونا آدم عليه السلام ثم ردّه مكانه . وفتح بابا آخر فاستخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء كهيئة شيخ جميل الوجه فى وجهه تقطيب كهيئة المحزون المهموم فقال أتدرون من هذا قلنا لا قال هذا نوح . ثم فتح بابا آخر فاستخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء على صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء فلما نظرنا اليه بكينا فقال مالكم فقلنا هذه صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبدينكم أنها صورة نبيكم قلنا نعم هي صورة نبينا كانا نراه حيا فطواها وردَّها وقال أما انها آخر البيوت الا أني أحببت أن أعلم ماعندكم . ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه خرقة سوداء فيها صورة بيضاء أجمَل ما يكون من الرجال وأشبههم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وهذا ابراهيم . ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة رجل آدمَ كهيئة المحزون المفكّر ثم قال هذا موسى بن عمران . ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة رجل له ضفيرتان كانّ وجهه دارة القمر ثم قال وهذا داود. ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة رجل جميل على فرس له جناحان ثم قال وهذا سليمان وهذه الريح تحمله . ثم فتح بيتا آخر فاستخرج صورة شابّ جميل الوجه فى يده عُكازة وعليه مِدرَعة صوف ثم قال وهذا عيسى روح الله وكلمته . ثم قال ان هذه الصورة وقعت الى الاسكندر فتوارثها الملوك من بعده حتى أفضت الىَّ . قالوا وان ذا الاذعار خرج فى جنوده يطلب

بثار أبيه ذى جيشان الذى صار الى أرض فارس لحارب كيخسرو فقتل فى المعركة فمات ذو الاذعار فى طريقه قبل أن يُدرك ماأراد .

(ملك الهدهاد وبنته بلقيس)

فملكت اليمن عليهم الهَدْهَاد بن شُرَحْبيل بن عمرو بن مالك بن الرائش وكان الهدهاد يُلَقَّب بذى شَرْخ فأمر بجسم ذى الاذعار فحمل ورجع بقومه الى أرض اليمن فأمر به فدُفن بصنعاء فى مقبرة الملوك . قالوا وان الهدهاد تزوّج ابنة ملك الجنّ بأرض اليمن فولدت له بلقيس وهذا حديث منتشر قد حملته الرواة . قالوا فلما أتى لها ثلاثون سنة حضر الهدهادَ الموت فجمع وجوه حمير فقال ياقوم انى قد عجمتُ الناس واختبرت أهل الرأى والعقل فلم أر مثل بلقيس وانى قد ولّيتها أمركم لتُقيم لكم الملكَ الى أن يبلغ ابن أخى ياسر ينعم بن عمرو فرضوا بذلك فملكت بلقيس

(أسفار سليمان وملكه)

وفى أول ملكها توفى داود عليه السلام وورث سليمان ملكه وذلك كلّه فى عصر كيخسرو بن سياوش فلما ملك سليمان سار من أرض الشام الى أرض العراق بأهله وخزائنه فلحق بخراسان فنزل مدينة بلخ وكان هو الذى بناها قبل ذلك وأقبل سليمان حتى نزل العراق فبلغ كيخسرو نزول سليمان بأرض العراق وما أعطِى من عظيم السلطان فدخله فزع وأسَفٌ خامره فنهكه فلم يلبث الا قليلا حتى مات وان سليمان سار من العراق الى مَرْو ثم سار منها الى بلخ ثم سار من بلخ الى بلاد الترك فوغل فيها وجاوزها الى بلاد

الصين ثم عطف متيامناً عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى القَنْدَهار وسار منها الى مُكْران وكَرمان ثم جازها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم سار منها الى كَسْكر ثم عاد الى الشام فوافى تَدْمُر وكانت موطنه. قالوا ووُجد فى صخر بكسكر

غَدَوْنا طلوعَ الشمسِ من أرض فارسٍ فها نحن قد قِلْنا ببَلْدة كَسْكَر
ونحن ولا حولٌ سوى حول ربّنا نرُوح الى الاوطان من أرض تَدْمُر

وكان داود عليه السلام ابتدأ بناء مسجد بيت المقدس فتوفى قبل استتمامه فاستتمّه سليمان واستتمّ بناء مدينة ايليا وقد كان أبوه ابتدأها قبله فبنى مسجدها بناءً لم ير الناس مثله وكان يُضيءُ فى ظلمة الليل الحندس اضاءة السراج الزاهر من كثرة ما كان جعل فيه من الجوهر والذهب وجعل اليوم الذى فرغ فيه منه عيداً فى كلّ سنة فلم يكن فى الارض عيدٌ أبهى ولا أعظم خطرا منه ولا أحسن منظرا فلم يزل المسجد على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بيت المقدس فأخربها ونقض المسجد وأخذ ما كان فيه من الذهب والفضة والجوهر فنقله الى العراق قالوا وكان سليمان مطعاما للطعام فكان يُذبح فى مطابخه كلّ غداة ستة آلاف ثور وعشرون ألف شاة قالوا ولما فرغ سليمان من بناء مسجد ايليا تجهّز سائرا الى تِهامة يريد بيت الله الحرام فطاف به وكساه وذبح عنده وأقام سبعا ثم سار الى صنعاء وتفقّد الطيرَ فلم ير الهدهد فكان من حديثه وحديث صاحبة سبأ وهي بلقيس ماقدقصّه الله تبارك وتعالى فى كتابه الى ان تزوّجها. و بنى بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها وهى

سَلْحين و ينون وغُمدان وانصرف سليمان الى الشام فكان يزورها فى كل شهر فيُقيم عندها ثلاثا. وانه غزا بلاد المغرب الأندلسَ وطَنْجة وفِرَنْجة وإفرِيقيّة ونواحيها من أرض بنى كنعان بن حام بن نوح وعليهم ملك جبّار عات عظيم الملك فدعاه الى الايمان بالله وخَلْع الأنداد فتمرّد عليه فقتله وأصاب ابنة له من أجمل الناس فتسرّاها ووقعت منه موقعا لطيفا وقفل الى الشام فأمر بمقصورة فبُنيت لها وأفردها فيها مع ظؤورتها وخدمها وكان سليمان لا يدخل عليها الا وجدها باكية حزينة فكدر ذلك عليه حبّه لها وعجبه بها وهى المرأة التى نال سليمان فى أمرها ما ناله من سلب ملكه وزوال سلطانه وبهائه حين اتخذت تلك المرأة تمثال أبيها فى داره وعبدته سرّا من سليمان الا أن اتخاذها التمثال كان عن علم من سليمان واذن لها أراد بذلك أن تسكن اذا نظرت اليه فتسلّى . ويقال ان سليمان بنى فى أقاصى بلاد المغرب مدينة من نحاس فى مفاوز الاندلس وأودعها خزائن من خزائنه وان عبد الملك بن مروان كتب الى عامله على بلاد المغرب موسى بن نُصير وكان من أبناء العجم غير أن ولاءه كان لقيس يأمره بالمسير الى هذه المدينة ليعلم له علم خبرها ويكتب اليه وان موسى بن نصير سار اليها وانصرف راجعا حتى سار الى القَيْرَوان وكتب بالخبر الى عبد الملك ويصف له المدينة وما لقى فى سفره اليها وما رآه عند مصيره نحوها

(ملك أرخبعم بن سليمان)

قالوا ولما توفى سليمان قام بالأمر بعده أرْخَبْعَم بن سليمان فتفرقت بنو

اسرائيل وهى أمره فمكث بذلك الى أن سار بخت نصّر وهو بُوخْت نَرْسَى عند العجم الى بيت المقدس فهدمه

(ملك ياسر ينعم)

قالوا وقام بالملك باليمن بعد بلقيس ياسر ينعم بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو وكان ابن أخي الهَدْهاد وانما سمى ياسر ينعم لانعامه على قومه . قالوا وان ياسر ينعم تجهّز غازيا لأرض المغرب حتى بلغ وادى الرمل ولم يبلغه ملك قبله فأراد أن يعبره فلم يجد مجازا لأنه رمل فيما زعموا يجرى كما يجرى الماء فعسكر على حافته ونصب عليه صنما وكتب على جبهته ليس ورائى مذهب فانصرفْ وانصرف الى بلاده

(ملك لهراسف واغارة بخت نصر)

قالوا وان فارس لما مات سليمان بن داود اجتمع عظماؤها وأشرافها ليختاروا رجلا من ولد كيقباذ الملك فيملّكوه عليهم فوقعت خِيرَتُهم على لُهْرَاسِف بن كيميس بن كيَانِبَه بن كيقباذ الملك فملّكوه عليهم وان لهراسف عقد لابن عمّه بخت نصّر بن كانجار بن كيانبه بن كيقباذ فى اثنى عشر ألف رجل من خيله وأمره أن يأتى الشام فيحارب أرخبعم بن سليمان فان كان الظفر له قتل من قدر عليه من عظماء بنى اسرائيل وهدم مدينة إيليا فسار بخت نصّر حتى أتى الشام فشنّ فيها الغارات وعاث فانهزم ملوك الشام منه وهرب أرخبعم من بيت المقدس فنزل فلسطين فتوفى بها وأقبل بختنصر حتى ورد مدينة بيت المقدس فدخلها لا يمتنع منه أحد فوضع فى بنى اسرائيل السيف وسبى

أبناء الملوك والعظماء وهدم مدينة ايليا فلم يدع فيها بيتا قائمــا ونقض المسجد وحمل ما كان فيه من الذهب والفضـة والجوهر وحمل كرسيّ سليمان وقفل راجعاً الى العراق وكان فى السبي دانيال النبي عليه السلام فسار حتى قدم على لهراسف الملك وهو نازل بالسوس فمات دانيال عنده بالسوس

(ملك بشتاسف على العجم وشمر على اليمن)

قالوا ولما حضر لهراسف الموت أسند الملك الى ابنه بُشْتاسف وفى ذلك العصر مات ياسر ينعم صاحب اليمن وقام بالأمر بعده شمّر بن افريقيس بن أبرهة بن الرائش وهو الذى يزعمون أنه أتى الصين وهدم مدينـة سمرقند فيزعمون أن وزير صاحب الصين مكر به وذلك انه أمر الملك أن يجـدعه ويخلي سبيله فســار الأجدع الى شمّر فأخبره انه نصح لصاحبه يعنى ملك الصين وأمره بالخضوع لشمّر واعطائه الطاعة والاتاوة فغضب عليـه وجدعه وانه سار الى شمّر ليدلّه على عورة صاحب الصين جزاء بما فعل به فاغترّ شمر بذلك وسأله عن الرأى فقال ان بينك و بينه مفازة تُقْطَع فى ثلاثة أيام ومأتاه منها قريب فاحمل الماء لثلاثة أيام وسر حتى أفاجئه بك من كَثَب فتستبيح بلده وتأخذه سِلْما وأهلَه وماله ففعل فسلك به مفازةً لا ترام فلما ساروا ثلاثا ونفد الماء ولم يروا علما ولا انتهوا الى ماء قالوا له أين ما زعمت فأعلمه انه مكر به ووقى أهلَ بيته بنفسه لأنه قد علم أن سيقتله وقال قد أهلكتك فاصنع ما أنت صانع فما لك ولمن تبعك فى الحياة مطمع فوضع شمر درعه تحت رأسه وترس حديد كان معه فوق رأسه يستكنّ به من الشمس قالوا وقد كان

المنجّمون قالوا له انك تموت بين جبلَىْ حديد فمات بين درعه وترسه عطشا فلم يبق من جنوده أحد الا هلك وقد سمعنا نحن بهـذا الحديث فى غير قصـة شمر

(دعوة زراذشت)

قالوا وكان زَرادُشْت صاحب المجوس أتى بُشْتاسِف الملك فقـال انى رسول الله اليك وأتاه بالكتاب الذى فى أيدى المجوس فآمن له بشتاسف ودان بدين المجوسيّة وحمل عليه أهل مملكته فأجابوه طوعا وكرها . وكان رُسْتُم الشديد عامله على سِجِسْتان وخراسان وكان جبارا مديد القامة شديد القوّة عظيم الجسم وكان ينتمى الى كيقباذ الملك لما بلغه دخول بشتاسف فى المجوسية وتركُه دين آبائه غضب من ذلك غضباً شديدا وقال ترك دين آبائنا الذين توارثوه آخرا عن أوّل وصبا الى دين محدث ثم جمع أهل سجستان فزيّن لهم خلع بشتاسف وأظهروا عصيانه فدعا بشتاسف ابنه اسفَنْدِياذ وكان أشدّ أهل عصره فقال له يا بُنىّ ان الملك مُفْضٍ اليك وشيكا ولا تصلح أمورك كلُّها الا بقتل رستم وقد عرفتَ شدته وقوته وأنت نظيره فى الشدة والقوة فانتخب من الجنود ماأحببت ثم سِرْ اليه فانتخب أسفندياذ من جنود أبيه اثنى عشر ألف رجل من أبطال العجم وسار نحو رستم وزحف اليـه رستم فالتقيا مابين بلاد سجستان وخراسان فدعاه أسفندياذ الى إعفاء الجيشين من القتال وأن يبرز كلّ واحد منهما لصاحبه فأيهما قتـل صاحبه استولى على أصحابه فرضي رستم بذلك وعاهده عليه وحالفه فوقف العسكران ناحية

وخرج كلّ واحد منهما الى صاحبه فاقتتلا بين الصفين فيقول العجم فى ذلك قولا كثيرا الا ان رستم هو الذى قتل أسفندياذ وانصرف جنوده الى أبيه بشتاسف فأخبروه بمصاب ابنه أسفندياذ فخامره حزن أنهكه فمرض من ذلك فمات وأسند الملك الى ابن ابنه بَهْمَن بن أسفندياذ . قالوا ولما رجع رستم الى مستقرّه من أرض سجستان لم يلبث ان هلك .

(ملك أبى مالك بن شمر على اليمن)

قالوا وانّ أهل اليمن لما بلغهم مهلك شمّر وجنوده بارض الصين اجتمعوا فملّكوا عليهم أبا مالك بن شمّر وهو الذى ذكره الأعشى فى قوله

وخانَ النعيمُ أبا مالكٍ وأى امرئٍ صالحٍ لم يُخَنْ

وهو الذى يزعمون انه هلك فى طرف الظُلمة التى فى ناحية الشمال فدُفن على طرفها قالوا وذلك أنه بلغه مسير ذى القرنين اليها وانه أخرج منها جوهرا كثيرا فتجهّز يريد الدخول فيها فقطع اليها أرض الروم وجاوزها حتى انتهى الى طرف الظلمة وتهيأ لاقتحامها فمات قبل أن يدخلها فدُفن فى طرفها فانصرف من كان معه الى أرض اليمن .

(ملك بهمن بن اسفندياذ على العجم وخلاص بنى اسرائيل)

قالوا وملك بهمن بن أسفندياذ فأمر ببقايا ذلك السبى الذى سباهم بخت نصّر من بنى اسرائيل ان يُرَدّوا الى أوطانهم من أرض الشام . وقد كان تزوّج قبل أن يُفضِى الملك اليه إيراخت بنت سامال بن أرخبعم بن سليمان ابن داود وملّك رُوبِيل أخا امرأته أرض الشام وأمره أن يُخرج معه من بقى

من ذلك السبي وان يعيد بناء ايليا و يُسكِنهم فيه كما لم يزالوا و يرد كرسى سليمان فينصبه مكانه فخرج رو بيل بذلك السبي حتى ورد بهم ايليا وأعاد بناءها و بنى المسجد وسار بهمن الى سجستان وقتل من قدر عليه من ولد رستم وأهل بيته وأخرب قريته . قالوا وقد كان بهمن دخل فى دين بنى اسرائيل فرفضه أخيرا ورجع الى المجوسيّة وتزوّج ابنته خُمانى وكانت أجمل أهل عصرها فأدركه الموت وهى حامل منه فأمر بالتاج فوُضع على بطنها وأوعز الى عظماء أهل المملكة أن ينقادوا لأمرها حتى تضع مافى بطنها فان كان غلاما أقروا الملك في يدها الى أن يشبّ ويدرك و يبلغ ثلاثين سنة فيسلّم له الملك. قالوا وكان ساسان بن بهمن يومئذ رجلا ذا رُواء وعقل وأدب وفضل وهو أبوملوك فارس من الأكاسرة ولذلك يقال لهم الساسانيّة فلم يشكّ الناس ان الملك يفضى اليه بعد أبيه فلما جعل أبوه الملك لابنته خمانى أنِف من ذلك أنفا شديدا فانطلق فاقتنى غنما وصار مع الاكراد فى الجبل يقوم عليها بنفسه وفارق الحاضرةَ غيظاً من تقصير أبيه . قالوا فمن ثم يُعيَّر ولد ساسان الى اليوم برعى الغنم فيقال ساسان الكُرْدىّ وساسان الراعى .

(ملك خمانى زوج بهمن)

فملكت خمانى فلما تمّ حملها وضعت غلاما وهو دارا بن بهمن . ثم انها تجهزت غازية لارض الروم فسارت حتى أوغلت فى بلاد الروم وخرج اليها ملك الروم فى جنوده فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر لخمانى فقتلت وأسرت وغنمت فقفلت وقد حملت معها بنّائين من بنّائى الروم فبنوا لها بأرض فارس

ثلاثة ايوانات أحدها وسط مدينة اصطخر والثانى على المَدْرَجة التى يسلَك فيها من اصطخر الى خراسان والثالث على طريق دارا بجِرْد على فرسخين من اصطخر

(ملك دارا بن بهمن)

فلما أتى لابنها دارا ثلاثون سنة جمعت عظماء المملكة ودعت بابنها دارا فاقعدته على سرير الملك وتوجته بالتاج و ولته الامر

(ملك تبع بن أبى مالك)

قالوا ولما هلك أبو مالك بطرف الظلمة اجتمع أشراف أهل اليمن فملكوا أمرهم ابنه تبّع الأقران وانما سُمى لنجدته تبع الاقران وقد قيل بل هو تبع الأقْرَن كلّ ذلك يقال . فلما ملك تجهز يريد بلاد الصين طالبا بثأر أبيه وجدّه فسار اليها فمرّ بسمرقند وهى خراب فأمر ببنائها فأُعيد ثم ركب المفازة حتى انتهى الى بلاد التُبّت فرأى مكانا واسعا طاهر المياه مكتلئا فابتنى هناك مدينة فأسكن فيها ثلاثين ألف رجل من أصحابه فهم التُبَّعيُّون وزيّهم الى اليوم زىُّ العرب وهيئتهم هيئة العرب ثمَّ سار الى أرض الصين فقتل وأخرب مدينة الملك فهى خراب الى اليوم ثم قفل راجعا الى اليمن وامتدّ ملكه الى ان ملك الاسكندر فخرج الملك عنه فصار فى المَقاول . قالوا وفى ذلك العصر نشأ النضر بن كنانة

(حرب دارا مع الروم)

قالوا وان دارا بن بهمن لما ملك تجهز غازيا الى أرض الروم فسار حتى

أوغـل فى أرضهم فخرج اليه الفَيْلَفوس ملك الروم فى جنوده فالتقوا فاقتتلوا فـكان الظفر لدارا فصالحه الفيلفوس على اتاوة يؤديها اليه كلّ عام وهي مائة ألف بيضة ذهب فى كل بيضة أربعون مثقالا وتزوَّج ابنته ثم انصرف الى فارس

(ملك داريوش)

فلما تمّ لدارا اثنتا عشرة سـنة فى الملك حضرته الوفاة فأسند الملك الى ابنـه دارا بن دارا وهو الذى يعرف بداريوش مُقارع الاسكندر فلما أفضى الملك الى دارا بن دارا تجبر واستـكبر وطغَى .وكانت نسخة كتُبه الى عمّاله من دارا بن دارا المضىء لأهل مملـكته كالشمس الى فـلان وكان عظيم السلطان كثير الجنود لم يبق فى عصره ملك من ملوك الأرض الا بخع له بالطاعة واتقاه بالاتاوة

(نشأة الاسكندر)

ونشأ الاسكندر وقد اختلف العلماء فى نسبه فأما أهل فارس فيزعمون أنه لم يكن ابن الفيلفوس ولـكن كان ابن ابنته وان أباه دارا بن بهمن . قالوا وذلك ان دارا بن بهمن لما غزا أرض الروم صالحه الفيلفوس ملك الروم على الاتاوة فخطب اليـه دارا ابنته وحملها بعـد تزويجها ايّاه الى وطنه فلما أراد مباشرتها وجد منها ذفرا فعافها وردَّها الى قيّمة نسائه وأمرها أن تحتال لذلك الذفر فعالجتها القيّمة بحشيشة تسمى السَنْدَر فذهب عنها بعض تلك الرائحة ودعا بها دارا فوجد منها رائحة السندر فقال آل سَنْدَر أى ما أشـد رائحة السندر وآل كلمة فى لغـة فارس يراد بها الشدَّة وواقعها فعلقت منـه ونبا قلبه عنها

لتلك الذُفرة التى كانت بها فردَّها الى أبيها الفيلفوس فولدت الاسكندر فاشتقت له اسما من اسم تلك العُشبة التى عولجت بها على ماسمعتْ دارا قاله ليلةَ واقعها فنشأ الاسكندر غلاما لبيبا أديبا ذهنا فولاه جده الفيلفوس جميع أمره لمارأى من حزمه وضبطه ما رأى . ولما حضر الفيلفوس الوفاة أسند الملك اليه وأوعز الى عظماء المملكة بالسمع والطاعة له

(غلبة الاسكندر على دارا)

فلما ملك الاسكندر لم تكن له همة إلا ملك أبيه دارا بن بهمن فسار الى أخيه دارا بن دارا فحاربه على الملك . وأما علماء الروم فيأبون هذا ويزعمون أنه ابن الفيلفوس لصلبه وانه لما مات الفيلفوس وأفضى الملك الى الاسكندر امتنع على دارا بن دارا بتلك الضريبة التى كان يؤدّيها أبوه اليه فكتب اليه دارا بن دارا يأمره بحمل تلك الاتاوة ويُعلمه ما كان بين أبيه وبينه من الموادعة عليها فكتب اليه الاسكندر ان الدجاج التى كانت تبيض ذلك البيض ماتت فغضب دارا من ذلك وآلى ليغزونّ أرض الروم بنفسه حتى يخرّبها فلم يحفل الاسكندر بذلك ولم يعبأ به وكان الاسكندر أيضا جبارا معجبا وقد كان عتا فى بدء أمره عُتوّا شديدا واستكبر وكان بأرض الروم رجل من بقايا الصالحين فى ذلك العصر حكيم فيلسوف يسمى أرسطاطاليس يوحّد الله ويؤمن به ولا يُشرك به شيئا فلما بلغه عتوّ الاسكندر وفظاظته وسوء سيرته أقبل من أقاصى أرض الروم حتى انتهى الى مدينة الاسكندر فدخل عليه وعنده بطارقته ورؤساء أهل مملكته فمثل قائما بين يديه غيرَ هائب له فقال أيها الجبار العاتى

ألا تخاف ربك الذى خلقك فسوّاك وأنعم عليك ولا تعتبر بالجبابرة الذين كانوا قبلك كيف أهلكهم الله حين قلّ شكرهم واشتدّ عتوّهم « فى موعظة طويلة » فلما سمع الاسكندر ذلك غضب غضبا شديدا وهمّ به ثم أمر بحبسه ليجعله عظة لأهل مملكته ثم ان الاسكندر راجع نفسه وتدبر كلامه لما أراد الله به من الخير فوقع منه فى نفسه ما غيّر قلبه فبعث اليه على خلاء فأصغى اليه واستمع لموعظته وأمثاله وعبره وعلم أن ما قال هو الحق وان ما خلا الله من معبود باطلٌ فارعوى واستجاب للحق وصحّ يقينه . فقال لذلك العابد فانى أسئلك أن تلزمنى لأقتبس من علمك وأستضىء بنور معرفتك فقال له إن كنت تريد ذلك فاحسم أتباعك عن الغشم والظلم وارتكاب المحارم فتقدّم الاسكندر بذلك وأوعد فيه وجمع أهل مملكته ورؤساء جنوده فقال لهم اعلموا أنّا انما كنّا نعبد الى هذا اليوم أصناما لم تكن تنفعنا ولا تضرّنا وانى آمركم فلا تردّوا علىّ أمرى وأرضى لكم ما أرضاه لنفسى من عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما كنّا نعبده من دونه فقالوا بأجمعهم قد قبلنا قولك وعلمنا أن ما قلت الحق وآمنا بالهك والهنا فلما صحّت له نيّات خاصته واستقامت له طريقتهم وطابقوه على الحق أمر أن يُعلن للعامة إنا قد أمرنا بالأصنام التى كنتم تعبدونها أن تُكسّر فان ظننتم أنها تنفعكم أو تضرّكم فلتدفع عن أنفسها مايحلّ بها واعلموا أنه ليس لأحد عندى هوادة فى مخالفة أمرى وعبادة غير إلهى وهو الاله الذى خلقنا جميعا ثم أمر بتفريق الكتب بذلك فى شرق الارض وغربها ليعامل الناس على قدر القبول والاباء فمضت رسله

بكتبه بذلك الى ملوك الارض فلما انتهى كتابه الى دارا بن دارا غضب من ذلك غضبا شديدا وكتب اليه من دارا بن دارا المضيء لاهل مملكته كالشمس الى الاسكندر بن الفيلفوس انه قد كان بيننا و بين الفيلفوس عهد ومهادنة على ضريبة لم يزل يؤدّيها الينا أيامَ حياته فاذا أتاك كتابي هذا فلا أعلمنّ ما بطّأتَ بها فأذيقك وبالَ أمرك ثم لاأقبل عذرك والسلام. فلما ورد كتابه على الاسكندر جمع اليه جنوده وخرج متوجّها نحو أرض العراق و بلغ ذلك دارا بن دارا فأحرز خزائنه وحرمه وأولاده فى حصن همذان وكان من بنائه ثم لقى الاسكندر جادّا مستنفرا فواقعه وقائعَ كثيرة لم يجد الاسكندر مطمعا فيه ولا فى شيء منها ثم انه دسّ الى رجلين من أهل همذان كانا من بطانته وخاصّة حرسه وأرغبهما فرغبا وغدرا بدارا أتياه من ورائه حين صافّ الاسكندرَ فى بعض أيامه ففتكا به فوقع صريعا وانفضّت جموع دارا وأقبل الاسكندر حتى وقف على دارا صريعا فنزل فجعل رأسه فى حجره و به رمق فجزع عليه وقال يا أخى ان سلمتَ من مصرعك خلّيتُ بينك و بين ملكك فاعهَدْ الىّ بما أحببتَ أفِ لك به فقال دارا اعتبرْنى كيف كنت أمس وكيف أنا اليوم الستُ الذى كان يهابنى الملوك ويُذعنوا لى بالطاعة ويتّقونى بالاتاوة وهاأنا اليوم صريع فريد بعد الجنود الكثيرة والسلطان العظيم فقال الاسكندر ياأخى ان المقادير لاتهاب ملكا لثروته ولا تحقر فقيرا لفاقته وانما الدنيا ظلّ يزول وشيكا . وينصرم سريعا . قال دارا قد علمتُ ان كلّ شئ بقضاء الله وقدره وان كلّ شئ سواه فان وأنا أوصيك لمن خلّفت من أهلى

وولدى وسائلك أن تتزوّج رُوشَنك ابنتى فقد كانت قرّة عينى وثمرة قلبى قال الاسكندر أنا فاعلٌ ذلك فأخبرني من فعل هذا بك لانتقم منه فلم يُجِر فى ذلك جوابا دارا واعتُقل اسانه بعد ذلك ثم قضى فأمر الاسكندر بقاتليه فصلبا على قبر دارا فقالا أيها الملك ألم تزعم انك ترفعنا على جنودك قال قد فعلت ثم أمر بهما فرُجما حتى ماتا . ثم كتب الى أمّ دارا وامرأته بالتعزية وهما بمدينة همذان وكتب الى أمه وهى بالاسكندرية أن تسير الى أرض بابل فتُجهّز روشنك بنتَ دارا بأحسن جهاز وتوجهها اليه الى أرض فارس ففعلت.

(غزو الاسكندر الهند واليمن)

ثم شخص الاسكندر نحو فور ملك الهند فالتقيا على تخوم أرض الهند وان الاسكندر دعا فورا الى البراز وألا يقتل الجمعان بعضهم بعضا بينهما فاهتبلها منه فور وكان رجلا مديدا عظيما أيّدا قويا فرأى الاسكندر قليلا قضيفا وبرز اليه فأجلى النقع عن فور قتيلا واستسلم له جنوده فقبِل سِلمهم وسار حتى دخل أرض السودان فرأى ناسا كالغربان عُراة حفاة يهيمون فى الغياض ويأكلون من الثمار فان أسنتوا وأجدبوا أكل بعضهم بعضا فجاوزهم حتى انتهى الى البحر فقطع الى ساحل عدن من أرض اليمن فخرج اليه تبّع الاقرنُ ملك اليمن فأذعن له بالطاعة وأقرّ بالاتاوة وأدخله مدينة صنعاء فأنزله وألطف له من الطاف اليمن فأقام شهرا

(وصول الاسكندر الى مكة ومقابلته للنضر بن كنانة)

ثم سار الى تهامة وسكان مكة يومئذ خزاعة قد غلبوا عليها فدخل عليه

النضر بن كنانة فقال له الاسكندر مابال هذا الحيّ من خزاعة نزولا بهذا الحرم ثم أخرج خزاعة عن مكة وأخلصه للنضر ولبنى أبيه وحجّ الاسكندر بيتَ الله الحرام وفرّق فى ولد معدّ بن عدنان القاطنين بالحرم صلات وجوائز

(وصول الاسكندر الى بلاد المغرب)

ثم قطع البحر من جُدّة يؤمّ بلاد المغرب . وروى عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام قسم الارض بين ولده الثلاثة فخصّ ساما بوسط الارض التى تسقيه الانهار الخمسة الفُرات ودِجلة وسَيْحان وجَيْحان وفَيْسون وهو نهر بلخ وجعل لحام ماوراء النيل الى منفح الدبور وجعل ليافث ماوراء فيسون الى منفح الصبا . وقالوا الارض أربعة وعشرون الف فرسخ فبلاد الاتراك من ذلك ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الخزر ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الصين الفا فرسخ وأرض الهند والسند والحبشة وسائر السودان ستة آلاف فرسخ وأرض الروم ثلاثة آلاف فرسخ وأرض الصقالبة ثلاثة آلاف فرسخ وأرض كنعان وهى مصر وما وراءها مثل أفريقيّة وطنجة وفرنجة والاندلس ثلاثة آلاف فرسخ وجزيرة العرب وما والاها ألف فرسخ قالوا وبلغ الاسكندر أمر قنْداقة ملكة المغرب وسعة بلادها وخِصب أرضها وعِظم ملكها وان مدينتها أربع فراسخ وان طول الحجر الواحد من سور مدينتها ستون ذراعا . وأخبر عن حال قنداقة وعقلها وحزمها فكتب اليها من الاسكندر بن الفيلفوس الملك المُسلّط على ملوك الارض الى قنداقة ملكة سَمُرَة أما بعد فقد بلغك ماأفاء الله علىّ من البلاد وأعطانى من العدّ والنصرة

فان سمعتِ وأطعتِ وآمنتِ بالله وخلعتِ الانداد التى تُعبَد من دون الله وحملتِ الىّ وظيفة الخراج قبلتُ منك وكففت عنك وتنكّبت أرضك وان أبيتِ ذلك سرتُ اليكِ ولا قوّة الاّ بالله فكتبت اليه ان الذى حملك على ما كتبت بهفرط بغيك وعجبُك بنفسك فاذا شئت أن تسير فسِرْ تَذُق غير ما ذقتَ من غيرى والسلام فلما رجع جواب كتابه أرسل اليها بملك مصر وكان فى طاعته ليدعوها الى الطاعة ويُنذرها وبالَ المعصية فسار اليها فى مائة رجل من خاصّته فلم يجد عندها ما يحب فرجع الى الاسكندر فأعلمه فتجهّز الاسكندر اليها ومضى فى جنوده حتى انتهى الى مدينة القيروان وهي من مصر على شهر فافتتحها بالمجانيق ثمّ سار الى القنداقة فكانت له ولها قصَص وأنباء فعاهدها على الموادعة والمسالمة والاّ يطور بسلطانها وشيء مما فى مملكتها ثم سار من هناك قاصدا الظلمة التى فى الشمال حتى دخلها فسار فيها ما شاء الله . ثم انكفأ راجعا حتى اذا صار فى تخوم أرض الروم ابتنى هنالك مدينتين يقال لاحداهما قافونية وللاخرى سُورية

(مسير الاسكندر الى مشرق الشمس وبلاد الصين)

ثم همّ بالاجتياز الى أرض المشرق فقال له وزراؤه كيف يمكنك الاجتياز الى مطلع الشمس من هذه الجهة ودون ذلك البحر الاخضر ولا تعمل فيه السفن لان ماءه شبيه بالقيح ولا يصبر على نتن ريحه أحد فقال لابد من المسير ولو لم أسِر الا وحدى قالوا نحن معك حيث سرت فسار حتى قطع أرض الروم يؤمّ مشرق الشمس ثم جازهم الى أرض الصقالبة فأذعنوا له

بالطاعة فجازهم الى أرض الخزر فأذعنوا له فجازهم الى أرض الترك فأذعنوا له فسار فى أرضهم حتى بلغ المفازة التى بينهم وبين بلاد الصين فركبها وسار حتى اذا قرب من أرض الصين أجلس وزيرا له يقال له فَيْناوُس فى مجلسه وأمره أن يتسمى باسمه وتسمّى هو فيناوس وقصد الملك حتى وصل اليه فلما دخل عليه قال له من أنت قال أنا رسول الاسكندر المسلّط على ملوك الارض قال وأين خلّفته قال على تخوم أرضك قال وبما ذا أرسلك قال أرسلنى لا نطلق بك اليه فان أجبت أقرّك فى أرضك وأحسن حباءك وان أبيت قتلك وأخرب أرضك فان كنت جاهلا بما أقول فسَلْ عن دارا بن دارا ملك ايران شهر هل كان فى الارض ملك أعظم ملكا منه وأكثر جنودا وأقوى سلطانا وكيف سار اليه واغتصبه نفسه وسلبه ملكه وسل عن فور ملك الهند الى ما آل أمره . قال ملك الصين يافيناوس انه قد بلغنى أمر هذا الرجل وما أُعطى من النصر والظفر وكنت على توجيه وفد اليه أسأله الموادعة وأصالحه على الهدنة فأبلِغه انّى له على السمع والطاعة وأداء الاتاوة فى كلّ عام فليست به حاجة الى دخول أرضى ثم بعث اليه بتاجه وبهدايا من تحف أرضه من السمُّور والقاقُم والخزّ والحرير الصينيّ والسيوف الهنديّة والسروج الصينيّة والمسك والعنبر وصحاف الذهب والفضة والدروع والسواعد والبيض فقبض ذلك الاسكندر

(مسير اسكندر الى يأجوج ومأجوج)

وسار راجعاً الى عسكره وتنكب أرض الصين وسار الى الأمّة التى قصّ

الله جلّ ثناؤه قصتها ف (قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) فكان من قصته و بنائه الرَّدمَ ما قد أخبر الله به في كتابه فسألهم عن أجناس تلك الأمم فقالوا نحن نسمي لك من بالقرب منا منهم فأما ما سوى ذلك فلا نعرفه هم يأجوج ومأجوج وتاويل وتاريس ومنسك وكمارى فلما فرغ من بناء السدّ بينهم و بين تلك الأمم رحل عنهم فوقع الى أمة من الناس حُمر الألوان صُهب الشعور رجالهم معتزلون عن نسائهم لا يجتمعون الا ثلاثة أيام في كل عام فمن أراد منهم التزويج فانما يتزوّج في تلك الثلاثة الأيام واذا ولدت المرأة ذكرا وفطمته دفعته الى أبيه في تلك الثلاثة الأيام وان كانت أنثى حبستها عندها فارتحل عنهم وسار حتى صار الى فرغانة فرأى قوماً لهم أجسام وجمال فأعطوه الطاعة فسار من فرغانة الى سمرقند فنزلها وأقام شهرا ثم رحل فسلك على بخارى حتى انتهى الى النهر العظيم فعبره في السفن الى مدينة آمُوَيه وهي آمُل خراسان ثم سلك المفازة حتى خرج الى أرض قد غلب عليها الماء فصارت آجاما ومروجا فأمر بتلك المياه فسدّت عنها حتى جفّت الأرض فابتنى هناك مدينة وأسكنها قُطّانا وجعل لها رساتيق وقرى وحصونا وسماها مرخانوس وهي مدينة مَرْو وتسمى أيضاً ميلانوس ثم اجتاز بنيسابور وطرس حتى وافى الريّ ولم تكن أيامئذ وانما بُنيت بعد ذلك في ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ثم اجتاز من هناك على الجبل وحُلوان حتى وافى العراق فنزل المدينة العتيقة التي تسمّى طيسفون فأقام حولا ثم سار يريد الشام حتى أتى بيت المقدس

(تولية الاسكند ابناء الملوك)

فلما اطمأن بها قال لمؤدبه أرسطاطاليس انى قد وترت أهل الأرض جميعاً لقتلي ملوكهم واحتوائى علي بلدانهم وأخذى أموالهم وقد خفت أن يتظافروا على أهل أرضى من بعدى فيقتلونهم ويبيدونهم لحنقهم عليّ وقد رأيت أن أرسل الى كلّ نبيه وشريف ومن كان من أهل الرياسة فى كل أرض والى أبناء الملوك فأقتلهم فقال له مؤدبه ليس ذاك رأىَ أهل الورع والدين مع أنك ان قتلت أبناء الملوك وأهل النباهة والرياسة كان الناس عليك وعلى أهل أرضك أشدّ حنقا من بعدك ولكن لو بعثت الى أبناء الملوك وأهل النباهة فتجمعهم اليك فتتوّجهم بالتيجان وتملّك كل رجل منهم كورة واحدة وبلدا واحدا فانك تشغلهم بذلك بتنافسهم فى الملك وحرص كل واحد منهم على أخذ ما فى يدى صاحبه عن اهلاك بلادك فتُلقى بأسهم بينهم وتجعل شغلهم بأنفسهم فقبل الاسكندر ذلك منه وفعله وهم الذين يقال لهم ملوك الطوائف

(مهلك اسكندر)

ثم هلك الاسكندر ببيت المقدس وقد ملك ثلاثين سنة جال الارض منها أربعا وعشرين سنة وأقام بالاسكندرية في مبتدأ أمره ثلاث سنين وبالشام عند انصرافه ثلاث سنين فجُعل في تابوت من ذهب وحُمل الى الاسكندرية

(مدن اسكندر)

و بنى اثنتي عشرة مدينة الاسكندرية بأرض مصر ومدينة نجران بأرض العرب ومدينة مَرْو بأرض خراسان ومدينة جَيّ بأرض أصبهان ومدينةً على شاطئ البحر تُدعى صَيْدُودا ومدينة بأرض الهند تُدعى جروين ومدينة بأرض الصين تُدعى فَرَنِيَة وسائر ذلك بأرض الروم

(ملوك الطوائف)

قالوا ولما توفى الاسكندر حمى كل رجل من اولئك الذين ملّكهم حيّزَه ودفعوا الحرب فلم يكن يغلب أحدهم صاحبه الا بالحكمة والآداب يتراسلون بالمسائل فان أصاب المسئول حَمل اليه السائلُ وان بغى أحد منهم على الآخر وانتقصه شيئاً من حيّزه أنكروا جميعاً ذلك عليه فان تمادى أجمعوا على حربه فسُمّوا بذلك ملوك الطوائف

(ملوك اليمن الاربعة)

وزعموا أن الملوك الأربعة الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ولعن أختهم أبضَعة لمّا همّوا بنقل الحجر الأسود الى صنعاء ليقطعوا حجّ العرب عن البيت الحرام الى صنعاء وتوجّهوا لذلك الى مكة فاجتمعت كنانة الى فِهْر بن مالك بن النضر فلقيهم فقاتلهم فقُتل ابنٌ لفهر يُسمى الحارث لم يُعقِب وقَتل من الملوك الأربعة ثلاثةً وأَسر الرابع فلم يزل مأسورا عند فهر بن مالك حتى مات وأما أَبضعة فهى التى يقال لها العَنْقَفير ملكت بعد اخوتها بأخبث سيرة كانت تتخيّر الرجال على عينها فمن أعجبها دعته الى نفسها فوقع بها

لا يقدر أحد أن يُنكر عليها وانها أبصرت فتىً من قيس فأعجبها فدعته الى نفسها فوقع بها فألقحها غلامين فى بطن فسمَّت أحدهما سَهلاً والآخر عوفا وفى ذلك يقول شاعر من شعراء قيس

وذى تُومةٍ فى أُذنه وضفيرَةٍ   وسيمٍ جميلٍ لا يُخِيل مخايِلُه
اذا ما رأتهُ قَيلَةٌ حِمْيرِيةٌ   تجرُّ له حبلَ الشموسِ تُهازِلُه

قالوا وكان ذو الشناتر ملك عَنْس ويُحابر وكان عظيم الملك كثير الجنود وكان ملكه على عُمان والبحرين واليمامة وسواحل البحر

(ملك أردوان بن أشه)

قالوا ولم يكن فى ملوك الطوائف الذين كانوا بأرض العجم ملكٌ أعظم ملكا ولا أكثر جنودا من أردوان بن أَشه بن أَشْغان ملك الجبل كان اليه الماهان وهمذان وماسَبَذان ومِهْرجانقَذَق وحُلوان وسائر الملوك انما كان يكون الى الرجل منهم كورة واحدة و بلد واحد وكان الملك منهم اذا مات قام بالملك بعده ابنه أو حميمه وكان جميع ملوك الطوائف يُقِرُّون لأردوان ملك الجبل بفضله لاختصاص الاسكندر إياه دونهم بفضل الملك وكان مسكنه بمدينة نهاوند العتيقة . قالوا وفى ذلك العصر بُعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

(ملك أسعد بن عمرو اليمن)

قالوا وان أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صُبْح بن عبد الله بن زيد بن ياسر ينعم الملك الذى ملك بعد سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما

نشأ وبلغ أنف من ابتزاز قبائل ولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب الملك حمير وكان الملك لهم وفى عصرهم فجمع اليه حمير وذلك بعد أن ملكت المقاول بأرض اليمن فكانوا سبعة ملوك توارثوا الملك مائتين وخمسين سنة فسار الى ملك همدان فحاربه فظفر به ثم سار الى ملك عنس ويحابر ففعل به مثل ذلك وأتى ملك كندة وأعطي الظفر حتى اجتمع له ملك جميع أرض اليمن

(ملك القيطون بلاد الحجاز)

فلما استجمع لأسعد الملك وجّه ابن عمه القَيْطون بن سعد الى تهامة والحجاز وجعله ملكا عليها فنزل يثرب فاعتدى وتجبر حتى أمر أن لا تُهدى امرأة الى زوجها حتى يبدؤوه بها وسلك فى ذلك مسلك عمليق ملك طَسْم وجديس الى أن زُوّجت أخت لمالك بن العجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يذهبوا بها الى القيطون اندسّ معها مالك بن العجلان متنكرا فلما خلا له البيت عدا عليه بسيفه فقتله وعدوا على أصحابه فقتلوا أجمعين وبلغ ذلك أسعد الملك فسار اليهم فنزل بالمدينة على نهر يسمى بئر الملك فكان من قصته ما هو مشهور قد كتبناه فى غير هذا الموضع

(مبعث عيسى عليه السلام)

قالوا ولما ابتعث الله عيسى بن مريم فأقبلت اليهود لقتله فرفعه الله اليه أتوا يحيي بن زكريا فقتلوه فسلط الله عليهم ملكا من ملوك الطوائف من ولد بخت نصر الاول فقتل بنى اسرائيل وضُربت عليهم الذِلّة والمسكنة

(ملك أردشير بن بابك)

قالوا فلما تمّ لملوك الطوائف مائتا سنة وستّ وستون سنة ظهر اردشير ابن بابكان وهو اردشير بن بابك بن ساسان الاصغر ابن فافك بن مهريس ابن ساسان الاكبر ابن بهمن الملك بن اسفنديار بن بنستاسف فظهر بمدينة اصطخر فدبّ فى ردّ ملك فارس فى نصابه واتّسقت له الامور فلم يزل يغلب ملكا ويقتل ملكا ويحتوى على ما تحت يده حتى انتهى الى فرّخان ملك الجبل وكان آخرَ من ملك ولد اردوان فكتب اليه اردشير بالدخول فى طاعته فلما أتاه كتابه امتلأ غيظا وقال لرسله لقد ارتقى ابن ساسان الراعى مُرْتقىً وعرا ولم يحفل به وكتب اليه ان الميعاد بينى وبينك صحراء الهُرْمُزدجان فى سلخ مهرماه فسبق أردشير الى المكان فوافاه فرّخان فى سلخ مهرماه فاقتتلوا فقتله اردشير وسار من فوره حتى ورد مدينة نهاوند فنزل قصر الفرّخان فأقام شهرا ثم سار الى الرّى ثم الى خراسان لايأتى حيزا الا أذعن له ملكه بالطاعة ثم سار الى سجستان ثم الى كرمان ثم سار الى فارس فنزل مدينة اصطخر فأقام حولا ثمّ سار نحو العراق فتلقاه من كان بها من ملوك الطوائف بالاهواز فقاتلهم فقتلهم ثم سار حتى عسكر بموضع المدائن اليوم فاختطّها وبناها فلما استوسق له الملك دعا بابنة أخى الفرّخان التى أخذها من قصر الفرّخان بنهاوند وكانت ذات جمال ولبٍّ وقد كان أفضى اليها وسألها عن نسبها فأخبرته فقال لها قد أسأت حين أعلمتنى لانى أعطيت الله عهدا ان أظهرنى الله بالفرّخان أن لا أدع من أهل بيته أحدا ثم دعا أبرسام وزيره

فقال انطلق بهذه الجارية فاقتلها فأخذ أبرسام بيد الجارية فأخرجها لينُفذ فيها
أمره فلما خرجت قالت لابرسام انى حامل لاشهر فلما قالت له ذلك انطلق بها
الى منزله وأمر بالاحسان اليها وقال لاردشير قد قتلتها وزعموا أنه جبّ نفسه
وأخذ مذا كيره فجعلها فى حُقّ وختم عليه وأتى به اردشير وسأله أن يأمر بعض
ثقاته باحرازه فانه سيحتاج اليه يوما فأمر اردشير بالحق فأحرز . ثم ان الجارية
ولدت غلاما كاجمل ما يكون من الغلمان وهو سابور بن اردشير الذى ملك بعده
وان اردشير أقام بالعراق حولا ثم سار الى الموصل فقتل ملكها ثم انصرف وجعل
يسير فسار الى عُمان والبحرين واليمامة فخرج اليه سَنَطْرُق ملك البحرين فحاربه
فقتله أردشير وأمر بمدينته فأُخربت . قالوا وان ابرسام دخل على اردشير
يوما وهو مستخلٍ وحده مُفكّر مهموم فقال أيها الملك عمّرك الله مالى أراك
مهموما حزينا وقد أعطاك الله أُمنيّتك وردّ الله اليك ملك آبائك فأنت
اليوم شاهان شاه قال أردشير ذاك الذى أحزننى انى قد استحوذت على
الارض ودان لى جميع الملوك وليس لى ولد يرث ملكى الذى أنصبت فيه
نفسى فلما سمع ذلك أبرسام قال فى نفسه هذا وقت اظهار أمر تلك المرأة
الاشغانية وقد كان أتى على ابنها خمس سنين فقال أيها الملك انى كنت
استودعتك يوم أمرتنى بقتل تلك المرأة الاشغانيّة حقّا مختوما وقد احتجت
اليه فمر باخراجه فأمر به أردشير فأخرج اليه ففتحه وأراه أردشير فاذا فيه
مذا كيره قد يبست فى جوف الحقّ فقال له أردشير ماهذا فأخبره الخبر
وأعلمه حال الغلام ففرح أردشير بذلك ثم قال لابرسام ائتنى بالغلام واجعله

مابين مائة غلام من أقرانه ففعل أبرسام ذلك فلما أدخلهم عليه تأمّلهم غلاما غلاما حتى اذا بلغ الى سابور رأى تشابه ما بينه و بينه فتحرّك له قلبه فأمسك نفسه ولم يكلّمه وأمر بأن يُعطَى الغلمان جميعا صوالجة و يُطْرَح لهم كرة فى الرحبة ليلعبوا بين يديه مقابَل الايوان وقال لابرسام إحتَلْ أن تقع الكرة عندى فى الايوان ففعل ووقعت الكرة على بساطه فوقف جميع أولئك الغلمان على باب الايوان ولم يجترئ واحد منهم أن يدخل فيتناول الكرة من بين يديه الا الغلام فانه اقتحم من بينهم على أبيه فتناول الكرة من بين يديه فلما رأى ذلك أردشير مدّ يده فتناول الغلام وضمّه اليه وقبّله وأمر به وبأمه ان تُرَدّ اليه وهو سابور الذى ملك بعده وأكرم أبرسام وأقطعه القطائع الكثيرة وأمر ان تُصوَّر صورة أبرسام على الدراهم والبسط حتى انقضى ملكهم . قالوا وفى ملك أردشير بعث الله تعالى عيسى عليه السلام و يزعمون انه بعث بأحد حوارييه الى أردشير وانه جاء الى مدينة طيسفون فنزل على ابرسام فكان اذا أمسى استُسْرج له سراج فيصلّى طول ليله و يتلو الانجيل فسأله ابرسام عن قصته ودينه فأخبره انه رسول المسيح عيسى بن مريم فأفضى ابرسام الخبرَ الى أردشير فدعا به فنظر الى سَمْته وهدوئه وأراه الشيخ آيات من آيات المسيح فلم يبعد عند أردشير ولا هاجه بسوء

(حديث جرجيس مع ملك الموصل)

قالوا وفى زمان ملوك الطوائف كانت قصّة جِرجيس واتيانه ملك الموصل وكان جبارا متمردا يعبد الاصنام ويحمل الناسَ على عبادتها وكان جرجيس

من أهل الجزيرة وكان من أمره وأمر ذلك الملك ماقد أتت به الاخبار .
وكان أردشير هو الذى أكمل آيينَ الملوك ورتّب المراتب وأحكم السيَر وتفقّد صغير الامر وكبيره حتى وضع كلّ شئ من ذلك على مواضعه وعهد عهدَه المعروف الى الملوك فكانوا يمتثلونه ويلزمونه ويتبرّكون بحفظه والعمل به ويجعلونه درسَهم ونصبَ أعينهم وبنى من المدن ستّ مدائن منها بارض فارس مدينة أردشير خُرَّه ومدينة رام أردشير ومدينة هرمزدان أردشير وهى قصبة الاهواز ومدينة أسْتاذ أردشير وهى كرخ مَيْسان ومدينة فُوران أردشير وهى التى بالبحرين ومدينة بالموصل تسمّى خرَّزاد أردشير .

(ملك ملكيكرب اليمن)

وملك بعد أسعد ملك اليمن الذى كسا البيت ونحر عنده وطاف به وعظَّمه ابن عمه مَلْكيكرب بن عمرو بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ذى الاذعار ثلاث عشرين سنة لايبرح بيته ولا يغزو كما كانت الملوك قبله تفعل تحرّجا من الدماء

(ملك التبابعة)

ثم ملك بعده ابنه تبّع بن ملكيكرب وهو تبّع الاخير وكانت التبابعة ثلاثةً أوّلهم شمّر أبو كرب الذى غزا الصين وأخرب مدينة سمرقند والثاني تبّع أسعد الذى ذبح للبيت الحرام الذبائح وعلّق عليه بابَ ذهب والثالث تبّع بن ملكيكرب ولم يُسمَّ غير هؤلاء الثلاثة من ملوك اليمن تبعا. وكان تبع هذا الاخير فى عصر سابور بن أردشير وفى عصر هرمز بن سابور وكان تبّع

ابن ملكيكرب كبير الشأن عظيم السلطان وهو الذى غزا بلاد الهند فقتل ملكها وهو من أولاد فُور الملك الذى قتله الاسكندر ثم انصرف الى اليمن ومات فى ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . ثم ملك من بعد تبّع ابنه حسان بن تبّع بن ملكيكرب وهو الذى غزا أرض فارس فيما يزعمون وهو الذى ضجرت الحميريّة لكثرة غزوه بها وقلّة مقامه بأرض اليمن فزيّنوا لأخيه عمرو بن تبّع قتلَه ليملّكوه عليهم فطابقوه جميعا على ذلك الاذا رُعَين فانه أبى ذلك ولم يدخل فيه مع القوم فعدا عمرو على أخيه فقتله وملك من بعده وانصرف بقومه الى اليمن فسُلّط عليهم السهَر .

(ملك سابور)

فلما ملك سابور بن أردشير غزا أرض الروم فافتتح مدينة قالوقيّة ومدينة قبدوقيّة وأثخن فى الروم ثم انصرف الى العراق وسار الى أرض الاهواز ليرتاد مكانا يبنى فيه مدينة يُسكنها السبى الذى قدم بهم من أرض الروم فبنى مدينة جُندَيسابور واسمها بالخوزية نيلاط وأهلها يسمونها نيلاب فكان سابور قد أسر اليريانوس خليفة صاحب الروم فأمره ببناء قنطرة على نهر تُستر على أن يخلّيه فوجّه اليه ملك الروم باسامن أرض الروم والاموال فبناها فلما فرغ منها أطلقه

(ظهور ماني)

وفى زمان سابور ظهر مانى الزنديق وأغوى الناس ومات سابور قبل أن يظفر به وملك سابور احدى وثلاثين سنة

(ملك هرمز)

وأفضى الملك بعده الى ابنه هرمز بن سابور فأخذ مانى فأمر به فسُلخ جلده وحشاه بالتبن وعلقه على باب مدينة جنديسابور فهو الى اليوم يُدعى بابَ مانى وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعا فملك ثلاثين سنة

(ملك بهرام بن هرمز واولاده)

وأسند الملك الى ابنه بهرام بن هرمز فملك سبع عشرة سنة ثم ملك ابنه بهرام بن بهرام ثم ملك ابنه نرسى بن بهرام بن بهرام فملك سبع سنين ومات فملك ابنه هرمزدان بن نرسى فملك سبع سنين ومات ولم يكن له ولد يرثه الملك غير أن امرأته كانت حاملا لأشهر فأمر بالتاج فوضع على بطنها وتقدم الى عظماء أهل فارس أن لا يملكوا عليهم أحدا حتى ينظروا ما يولد له فان كان ذكرا سموه سابور وأقرّوه على الملك ووكّلوا به من يحضنه ويقوم بأمر الملك الى ادراكه وان كانت أنثى اختاروا رجلا لأنفسهم من أهل بيته فملكوه عليهم فولدت المرأة ذكرا وسموه سابور وهو المنبوز بذى الاكتاف

(ملك سابور ذى الاكتاف)

فشاع لما مات هرمزدان فى أطراف الأرضين انه ليس لأرض فارس ملك وانهم يلوذون بصبيّ فى مهد فطمعوا فى مملكة فارس فورد جمع عظيم من الاعراب من ناحية البحرين وكاظمة الى أبرشهر وسواحل أردشيرخُرّه فشنوا بها الغارة وأتى بعض ملوك غسّان على الجزيرة فى جموع عظيمة حتى أغار على السواد فمكثت مملكة فارس حينا لا يمتنعون من عدوّ لوَهْى أمر

الملك فلما ترعرع الغلام كان أول ما ظهر من حزمه أنه استيقظ ليلة وهو نائم فى قصره بمدينـة طيسفون بضوضاء الناس لازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومُدبرين فقال ما هذه الضوضاء فأُخبر فقال ليُعْقَد لهم جسر آخر يكون أحدهما لمن يُقبل والآخر لمن يُدبر ففعلوا وتباشروا بما ظهر من فطنته مع طفوليّته فلما أتت له خمسة عشر سنة تجرّد لضبط الملك ونفى العدوّ عنه فتأهّب وسار الى ابرشهر فطرد من كان صار اليها من الاعراب وقتلهم أخبث قِتلة وكذلك فعل بالجزيرة فصار الى الضَّيْزن الغسّانى فحاصره فى مدينته التى على شاطئ الفرات مما يلى الرّقة فزعموا أن ابنة الضيزن واسمها مُلَيكة وزعموا أن أمها عمّة سابور دَخْتَنوس ابنة نرسى وان الضيزن كان سباها لما أغار على مدينـة طيسفون فأشرفت مليكة على عسكر سابور وهو محاصر لأبيها فرأت سابور فعشقته فراسلته على أن تدله على عورة أبيها على أن يتزوّجها فوعدها سابور ذلك ففعلت فأسكرت بالخُصّ حرسَ أحد الأبواب حتى ناموا وأمرت بفتح البـاب فدخل سابور وجنوده فأخذ الضيزن فقتله وخلع أكتاف أصحابه وخلاّهم وكذا كان يفعل بمن أسر من الأعداء فبذلك سمى ذا الأكتاف ووفى لابنته بما وعدها ثم قتلها بعدُ ربطها بين فرسين وأجراهما فقطّعاها وقال لها أنت إذ لم تصلحي لأبيك لا تصلحين لى وأمر سابور فبنيت له مدينـة الأنبار وسمّاها فَيرُوز سابور وكوّرها كورةً وبنى بالسوس مدينة وهي التى الى جانب الحصن التى تسمي سادانيال الذى كان فيه جسد دانيال عليه السلام

(ملك مانوس على الروم وحروبه مع سابور)

قالوا وكان ملك الروم فى ذلك العصر مانوس وكان يدين فيما ذكروا قبل أن يملك دينَ النصرانية فلما ملك أظهر ملة الروم الأولى وأحياها وأمر بتحريق الانجيل وهدم البِيَع وقتل الاساقفة فلما قتل سابور الضيزن الغسّانى غضب لذلك فجمع من كان بالشام من غسان وأقبل فيهم ومعه جيوش الروم حتى ورد العراق ووجّه سابور عيونا ليأتوه بخبرهم فانصرف اليه عيونه وقد اختلفوا عليه فخرج ليلا فى ثلاثين فارسا ليشرف على عسكر الروم وقدّم أمامه عشرة منهم فأخذتهم الروم فأتوا بهم اليُوبِيَانوس خليفة الملك وابن عمه فسألهم عن أمرهم وتوعدهم القتل فقام اليه رجل منهم مُسرّا عن أصحابه فقال له ان سابور منك بالقرب فضُمّ إلىّ خيلاً حتى آتيك به أسيرا وكانت بين اليُوبيانوس وسابور مودّة وخُلة فأرسل الى سابور يُنذره فانصرف راجعا وسار الملك الرومىّ الى باب مدينة طيسفون وخرج اليه سابور فى جنوده فهزمه الرومى حتى بلغوا قنطرة جازر واحتوى الرومى على مدينة طيسفون ولم يقدروا على القصر لحصانته ومن فيه من الحماة عنه وثاب الناس الى سابور فزحف الى جمع الروم فنحّاهم عن المدينة وعسكر ببابها وراسل ملك الروم فبينما هم فى ذلك اذ أتى ملك الروم سهم عائر وهو فى مضربه وحوله بطارقته فأصاب مقتله فسقط فى أيدى الروم لمكانهم الذى هم به واشراف عدوّهم عليهم فطلبوا الى اليوبيانوس أن يتملّك عليهم فأبى وقال لستُ أتملّك على قوم مخالفين لي فى ديني لاني على دين النصرانية وأنتم على دين الروم الأول فقال له البطارقة والعظماء فانّا نحن

جميعاً على مثل ما أنتم عليه غير أنّا كنا نكاتم بذلك خوفا من الملك فتملّك
عليهم اليو يانوس ولبس التاج و بلغ سابور أمرهم فأرسل اليهم أصبحتم اليوم
فى قبضتي وقدرتي ولأقتلنكم بمكانكم هذا جوعا وهزلا فأجمع اليو يانوس على
اتيان سابور لما كان بينهم من المودة فأبي عليه البطارقة والرؤساء فخالفهم وأتاه
فعرف له سابور يده عنده فى انذاره اياه تلك الليلة وجعل له اليو يانوس نصيبين
وحيّزَها عوَضاً مما أفسدت الروم من مملكته وكتب له بذلك كتابا و بلغ
أهل نصيبين ذلك فانتقلوا عنها ضِنا بالنصرانية وكراهيةً لتمليك الفُرس عليهم
فنقل سابور اليها اثنى عشر ألف أهل بيت من اصطخر فأسكنهم فيها فعقبُهم
بها الى اليوم . وانصرفت الروم الى أرضها . فلما تمّ لسابور اثنتان وسبعون
سنة حضره الموت فجعل الامر من بعده لابنه سابور بن سابور

(ملك سابور بن سابور)

فلما تم لملكه خمس سنين خرج يوما متصيدا فنزل بمكان وضُربت
قبّته فجلس فيها فأقبل قوم من الفُتّاك ليلا فقطعوا أطناب القبة فسقطت عليه فمات

(مالك بهرام بن سابور)

فملك بعده ابنه بهرام بن سابور وكان على كرمان فلما قتل أبوه قدم
فقام بالملك فلما تم لملكه ثلاث عشرة سنة خرج يوما متصيدا فرُمى بنُشّابة
فأصابته فلما أحسّ بالموت أوصى الى ابن أخيه يزدجرد بن سابور بن سابور
وكان أصغر سنا منه

(ملك يزدجرد بن سابور)

فقام بالملك بعده وهو يزدجرد الذى يُلقّب بالأثيم وكان غَلِقًا سيء الخُلق لا يكافئ على حسن بلاء وكان منّانا لا يتجاوز عن زلة وان صغرت ويعاقب على الصغيرة كما يعاقب على الكبيرة ولم يكن أحد يقدر على كلامه لفظاظته وغلظته ألا إن وزراءه كانوا أخيارا مترفّقين متعاونين فوُلد له بهرام الذى يقال له بهرام جُور فدفعه الى المنذر أبي النعمان ليحضنه فسار المنذر ببهرام الى الحيرة وكانت دارَه واختار له المنذر المراضع وأحسن حضانته فلما بلغ التأديب بعث اليه أبوه بمؤدّبين من الفرس وأحضره المنذر مؤدبين من العرب فأحكم الادبين وكمل فيهما ونشأ نشأ محمودا وبرع في الادب والفروسية وخرج عاقلا لبيبا جميلا بهيّا ومكّنه المنذر من اللهو والقِيان فكان يركب النجائب ويُركب وراءه الصنّاجات يُلهينه ويُطرِبنه وتجرّد لطرد الوحش على تلك الحال فضُرب به المثل فتوّةً ورخاء بال

(قتل عمرو بن تبع وملك صهبان اليمن)

قالوا ولما قتل عمرو بن تبّع أخاه حسّان بن تبّع وأشراف قومه تضعضع أمر الحميرية فوثب رجل منهم لم يكن من أهل بيت الملك يقال له صُهْبان ابن ذى خَرْب على عمرو بن تبّع فقتله واستولى على الملك

(مسير صهبان الى حرب العدنانيين بتهامة)

قال وهو الذى سار الى تهامة لمحاربة ولد معدّ بن عدنان وكان سبب ذلك أن معدّا لما انتشرت تباغت وتظالمت فبعثوا الى صهبان يسألونه أن

يُملّك عليهم رجلا يأخذ لضعيفهم من قويهم مخافةَ التعدّى فى الحروب فوجّه اليهم الحرث بن عمرو الكندىّ واختاره لهم لان معدا أخواله . أمّه امرأة من بنى عامر بن صَعْصَعة فسار الحرث اليهم بأهله وولده فلما استقرّ فيهم ولّى ابنه حُجْر بن عمرو وهو أبو امرئ القيس الشاعر على أسد وكنانة وولّى ابنه شرَحْبيل على قيس وتميم وولّى ابنه مَعْدِى كرب وهو جدّ الاشعث بن قيس على ربيعة فمكثوا كذلك الى أن مات الحرث بن عمرو فأقرّ صهبان كلّ واحد منهم فى ملكه فلبثوا بذلك مالبثوا ثم ان بني أسد وثبوا على ملكهم حُجر بن عمرو فقتلوه فلما بلغ ذلك صهبان وجّه الى مُضَر عمرو بن نابل اللخمىّ والى ربيعة لبيد بن النعمان الغسّانى وبعث برجل من حمير يسمى أوْفَى بن عُنُق الحيّة وأمره أن يقتل بنى أسد أبرحَ القتل فلما بلغ ذلك أسدا وكنانة استعدوا فلما بلغه ذلك انصرف نحو صهبان واجتمعت قيس وتميم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم فلحق بصهبان وبقى معدى كرب جدّ الأشعث ملكا على ربيعة فلما بلغ صهبان مافعلت مضر بعماله آلى ليغزوَنّ مضر بنفسه وبلغ ذلك مضر فاجتمع اشرافها فتشاوروا فى أمرهم فعلموا ألا طاقة لهم بالملِك الا بمطابقة ربيعة اياهم فأوفدوا وفودهم الى ربيعة منهم عوف ابن منقذ التّميمى وسُوَيد بن عمرو الاسدى جد عَبِيد بن الابرص والاحوص ابن جعفر العامرىّ وعُدَس بن زيد الحَنْظَلِىّ فساروا حتى قدموا على ربيعة وسيّدهم يومئذ كُلَيْب بن ربيعة التغلبىّ وهو كليب وائل فأجابتهم ربيعة الى نصرهم وولّوا الامر كليبا فدخل على مَلِكهم لبيد بن النعمان فقتله ثم

اجتمعوا وساروا فلقيهم الملك بالسُلاّن فاقتتلوا ففُلّت جموع اليمن وفى ذلك
يقول الفرزدق لجرير

لولا فوارسُ تغلبَ ابنةِ وائل   نزل العدوُّ عليك كلَّ مكانِ

وانصرف الملك الى أرضه مفلولا فمكث حولا ثم تجهز لمعاودة الحرب وسار
فاجتمعت معدّ وعليها كليب فتوافوا بخَزَازَى فوجّه كليب السَفّاحَ بن عمرو
أمامه وأمره اذا التقى بالقوم أن يُوقِد نارا علامةً جعلها بينه و بينه فسار السفّاح
ليلا حتى وافى معسكر الملك بخزازى فأوقد النار فأقبل كليب فى الجموع نحو
النار فوافاهم صباحا فاقتتلوا فقتل الملك صهبان وانفضّت جموعه وفى ذلك يقول
عمرو بن كلثوم

ونحن غداةَ أُوقِدَ فى خزازى   رفَدْنا فوق رَفْدِ الرافدِينا

فلما قُتل صهبان زاد حميرَ قتلُه اتضاعا ووهنا

(ملك ربيعة بن نصر اللخمى اليمن)

فجمع ربيعة بن نصر اللخميّ جدّ النعمان بن المنذر قومه ومن أطاعه من
ولد كَهْلان بن سبأ فاغتصب حميرَ الملكَ فاجتمعت له أرض اليمن فملكها
زمانا وهو ربيعة بن نصر بن الحرث بن عمرو بن نمم بن عدىّ بن مرّة بن
زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان فلما استجمع لربيعة بن نصر
أمرُ اليمن رأى فى منامه رؤيا هالته ووجل منها فبعث الى شِقّ وسَطيح
الكاهنين فأخبرهما بما رأى فأخبراه فى تأويلها بما يكون من غلبة السودان
على أرض اليمن و بغلبة فارس بعدهم ثم بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلما

سمع بذلك أوجس فى نفسه خيفةً فأحبّ أن يُخرج ولده وخاصّة أهـله من أرض اليمن

(مسير عمرو اللخمى الي الحيرة)

فوجه ابنه عمرا الى يزدجرد بن سابور ويقال بل كان ذلك فى عصر سابور ذى الاكتاف فأنزله الحيرة فيومئذ بنيت الحيرة فضمّ عمر واليه اخوته وأهل بيته فمن هناك وقع آل لخم الى الحيرة واتّصلوا بالاكاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطانا .

(ملك جذيمة الحيرة)

فلما مات خلفه من بعده ابنه جَذِيمة بن عمرو فزوّج جذيمة أختَه من ابن عمه عَدِىّ بن ربيعة بن نصر فولدت له عمرو بن عدى الذى استطار به الجن وله حديث فلم يزل جذيمة ملـكا بالخورنق زمانا حتى دعتـه نفسه الى تزويج مارية ابنة الزباء الغسانية وكانت ملـكة الجزيرة ملـكت بعد عمها الضيزن الذى قتـله سابور وكان له ولها حديث مشهور فقتلت جـذيمة ثم قتلها قصير مولاه

(ملك عمرو بن عدى)

فلما هلك خلفه ابن أخته وابن ابن عمه عمرو بن عدىّ وهو جد النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة . قالوا وكان ذلك فى عصر يزدجرد ابن سابور بن بهرام جور . قالوا وفى ذلك العصر توفّى عبد مناف بن قُصَيّ وخلفه فى سؤدده ابنه هاشم بن عبد مناف . قالوا وهلك يزدجرد الاثيم وقد

ملك احدى وعشرين سنة ونصفا و بهرام جور ابنه غائب بالحيرة عند المنذر بالخورنق فتعاهدت عظماء فارس ألاّ يملّكوا أحدا من ولد يزدجرد لما نالهم من سوء سيرته منهم بِسطام أصبَهْبَد السواد الذى تدعى مرتبته هزارفت ويَزْ دجُشْنَس فاذوسفان الزوابي وفيرك الذى تدعى مرتبته مِهْران وجُودرز كاتب الجند وجُشْنَساذريش كاتب الخراج وفنّاخسرو صاحب صدقات المملكة وغير هؤلاء من أهل الشرف والبيت فاجتمعوا واختاروا رجلا من عترة أردشير بن بابكان يقال له خُسْرَو فملكوه عليهم و بلغ ذلك بهرام جور وهو عند المنذر فأمر منذر بهرام بالخروج والطلب بتُراث أبيه ووجه معه ابنه النعمان فسار بهرام حتى قدم مدينة طيسفون فنزل قريبا منها فى الابنية والفساطيط والقباب فلم يزل النعمان يسفُر بينه و بين عظماء فارس وأشرافها الى أن أنابوا وثابوا الى بهرام

(ملك بهرام جور)

و بسط بهرام من آمالهم وشرط لهم المعدلة وحسن السيرة فخلوا بينه و بين الملك وسمعوا وأطاعوا . وحبَا بهرام المنذر والنعمان وأكرمهما وكافأه بيده عنده فى تربيته ومعاضدته ففوّض اليه جميع أرض العرب وصرفه الى مستقره من الحيرة . ولما استتبّ لبهرام الملك آثر اللهو على ما سواه حتى عتب عليه رعيّته وطمع فيه من كان حوله من الملوك فكان أوّل من شخص صاحبُ الترك فانه نهض فى جموعه من الأتراك حتى أوغل فى خراسان فشنّ فيها الغارات وانتهى النبأ الي بهرام فترك ما كان فيه من الاستهتار باللهو وقصد

لعدوّه فأظهر انه يريد اذر بيجان ليتصيّد هناك ويلهو فى مسيره اليها فانتخب
من أبطال رجاله سبعة آلاف رجل فحملهم على الابل وجنبوا الخيل واستخلف
على ملكه أخاه نَرْسَى ثمّ سار نحو اذر بيجان وأمر كل رجل من أصحابه
الذين انتخبهم أن يكون معه باز وكلب فلم يشكّ الناس أن مسيره ذلك
هزيمة من عدوّه واسلام للملكه فاجتمع العظماء والاشراف فتآمروا بينهم
فاتفق رأيهم على توجيه وفد منهم الى خاقان صاحب الترك بأموال يبعثون
بها اليه ليصدّوه عن استباحة البلاد و بلغ خاقان أن بهرام مضى هاربا وان
أهل المملكة مجمعون على الخضوع له فاغتر وأمِن هو وجنوده فأقام بمكانه
ينتظر الوفدوالاموال قالواوان بهرام أمر بذبح سبعة آلاف ثور وحمل جلودَها
وساق معه سبعة آلاف مُهر حَوْلى وجعل يسير الليلَ ويكمن النهارَ وأخذ
على طبرستان وتبطّن ضَفّة البحر حتى خرج الى جرجان ثم سار منها الى نَسَا ثم منها
الى مدينة مرو وكان خاقان معسكرا بها بكُشْمَيْهَن حتى اذا صار بهرام منهم
على منقلة وخاقان لا يعلم شيئا من علمه أمر بتلك الجلود فنُفخت وألقى فيها
الحصى وجُفّفت ثم علّقها فى أعناق تلك المهارة حتى دنا من عسكر خاقان
وكانوا نزولا على طرف المفازة على ستة فراسخ من مدينة مرو فخلّوا عن
تلك المهارة ليلا وطردوها من أدبارها فارتفع لتلك الجلود والحجارة التى فيها
وعدوِ المهارة بها وضربها ايّاها بأيديها أصواتٌ هائلة أشدّ من هدّة الجبال
والصواعق وسمعت الترك تلك الاصوات فراعتها ولا يدرون ماهى وجعلت
تزداد منهم قربا فأجلوا عن معسكرهم وخرجوا هُرّابا وبهرام فى الطلب فتقطّرت

دابّة خاقان بخاقان وأدركه بهرام فقتله بيده وغنم عسكره وكل ما كان فيه من الاموال وأخذ خاتون امرأة خاقان ومضى بهرام على آثار الترك ليلته ويومه كلّه يقتل ويأسر حتى انتهى الى آمُوية ثم عبر نهر بلخ يتبع آثارهم حتى اذا صار بالقرب أذعن له الترك وسألوه أن يبنى لهم حدّا يُعلِم بينه وبينهم لا يجاوزونه فحدّ لهم مكانا واغلا فى أرضهم وأمر بمنارة فبُنيت هناك وجعلها حدّا ثم انصرف الى دار المملكة ووضع عن الناس خراج تلك السنة وقسم فى أهل الضعف والمسكنة شطر ما غنم وقسم الشطر الآخر بين جنده الذين كانوا معه فعمّ السرور أهل مملكته فلهوا جذلا وابتهاجا فبلغ أجرُ اللُعّاب فى اليوم عشرين درهما وصار اكليل ريحان بدرهم . فلما أتى له فى الملك ثلاث وعشرون سنة خرج متصيّدا فرُفعت له عانةٌ من الوحش فدفع فرسه فى طلبها فذهبت به فرسه فى جُرف مُفضٍ الى غمر من الماء فارتطم فيه فغرق وبلغ ذلك أمه فجاءت الى ذلك المكان وأمرت بطلبه فى ذلك الهوْر فاستخرجوا تلالا من الحصي والرمل فلم يدركوه ويقال ان ذلك المكان بموضع من الماء يسمى داي مَرج سمى بامّه لانّ الأم بلسان الفرس تسمّى داى وهو مرج معروف وهذا الحديث مشهور فى الموضع هو كما وصفوا فى الحديث هناك كِواء تنفتح فى الارض الى ماء لايدرك له غور وذلك بقرب آجام وماء راكد

(ملك يزدجرد بن بهرام)

فلما هلك بهرام ملكوا ابنه يزدجرد بن بهرام فسار بسيرة أبيه سبع

عشرة سنةوحضره الموت وله ابنان فيروز وهرمزد وكان فيروز أكبر سنّا

(النزاع بين ولدى يزدجرد)

فاستأثر هرمزد بالملك دون أخيه فيروز فهرب فيروز حتى لحق ببلاد الهياطلة وهى تخارستان والصغانيان وكابلستان والارضون التى خلف النهر الاعظم مما يلى أرض بلخ فدخل على ملك تلك الارض فأخبره بظلم أخيه ايّاه واحتوائه على الملك دونه وهو أصغر سنّا منه وسأله ان يُمدّه بجيش حتى يسترجع الملك فقال لن أجيبك الى ما تسأل حتى تحلف أنك أكبر سنّا منه فحلف فيروز فأمدّه بثلاثين ألف رجل على أن يجعل له حدّا لترمذ فسار فيروز بالجيش واتّبعه جُلّ أهل المملكة ورأوا انه أحق بالملك من هرمزد لفظاظة هرمزد وشرارته فحاربه حتى استرجع الملك وأقال أخاه عثرته ولم يؤاخذه بما كان منه

(فيروز بن يزدجرد)

قالوا وكان فيروز ملكا محدودا وكان جلّ قوله وفعله فيما لا يُجدى عليه نفعه وان الناس قحطوا فى سلطانه سبع سنين متواليات فغارت الأنهار وغاضت المياه والعيون وقُحلت الأرض وجفّ الشجر ومُوّتت البهائم والطير وهلكت الأنعام وقلّ ماء دجلة والفرات وسائر الأنهار فرفع فيروز الخراج عن الرعيّة وكتب الى عمّاله أن يسوسوا الناس سياسة وتوعدهم انه ان هلك أحد فى أرض واحد منهم جوعا يُقيد العاملَ والوالىَ به فساس الناس فى تلك الأزمنة سياسة لم يعطب فيها أحد من الناس جوعا ونادى فى الناس

بالخروج الى فضاء من الأرض فخرج جميع الناس من الرجال والنساء والصبيان فاستسقى اللهَ فأغاثهم فأرسل السماء وعادت الأرض الى حسن الحال وجرت الأنهار وجاشت العيون ورجع الناس الى أحسن عادة الله عندهم فى الرفاغة والرفاهة والخصب وبنى فيروز مدينة الرىّ وسمّاها رام فيروز وابتنى باذربيجان مدينة اردبيل وسماها باذ فيروز ثم استعدّ وتأهب لغزو الترك وأخرج معه الموبذ وسائر وزرائه وحمل معه ابنته فيروزدُخت وحمل معه خزائن وأموالا كثيرة وخلّف على ملكه رجلا من عظماء وزرائه يُسمى شُوخَر وتدعى مرتبته قارن وسار حتى جاوز المنارة التى كان بهرام بناها حدًّا بينه وبين الترك وأخربها ووغل فى أرضهم وملك الاتراك يومئذ أخْشُوَان خاقان فأرسل ملك الترك الى فيروز يعلمه أنه قد تعدّى ويُحذّره عاقبة الظلم فلم يحفل فيروز بذلك فجعل خاقان يُظهر كراهة للحرب ويدافع الى أن هيّأ خندقا عمقه فى الأرض عشرون ذراعا وعرضه عشرة أذرع وبعّد ما بين طرفيه ثم غمّاه بأعواد ضعاف وألقى عليه قصبا وأخفاه بالتراب ثم خرج لمحاربة فيروز فواقعه ساعة ثم انهزم منه وطلبه فيروز فى جنوده فسلك خاقان مسالك قد فهمها بين ظهرَى ذلك الخندق وجاء فيروز على عَمياء فتورّط هو وجنوده فى ذلك الخندق وعطف عليه أخشوان وطراخنته فقتلوهم بالحجارة واحتوى اخشوان على معسكر فيروز وكل ما كان فيه من الأموال والحُرَم وأخذ الموبذ أسيرا وأخذ فيروزدخت ابنة فيروز ولحق الفَلّ بشوخر فأعلموه بمصاب فيروز وجنوده فاستنهض شوخر الناس للطلب بثأر ملكهم فخفّ له جميع الناس من

الجنود وأهل البلاد فسار فى جموع كثيرة حتى وغل فى بلاد الترك وهاب اخشوان ملك الترك الاقدام على شوخر لكثرة جموعه وعدّته فأرسل اليه يسأله الموادعة على أن يردّ عليه الموبذ وفيروزدخت وكل أسير فى يده وجميع ما أخذ من أموال فيروز وخزائنه وآلاته فأجابه شوخر الى ذلك وقبضه وانصرف الى بلاده وأرضه

(بلاس بن فيروز)

فملّك بعد فيروز ابنه بلاس بن فيروز فملك أربع سنين ثم مات فجعل شوخر الملكَ من بعده لأخيه قباذ بن فيروز

(ملك قباذ بن فيروز)

قالوا وفى ملك قباذ بن فيروز مات ربيعة بن نصر اللخمى ورجع الملك الى حمير

(ملك ذى نواس اليمن)

فوليهم ذو نُواس واسمه زُرعة بن زيد بن كعب كهف الظُلم ابن زيد ابن سهل بن عمرو بن قيس بن جُشَم بن وائل بن عبد شمس بن الغَوث ابن جدار بن قطن بن عَريب بن الرائش بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وانما سمى ذا نواس لذؤابة كانت تنوس على رأسه قالوا وكان لذى نواس بأرض اليمن نار يعبدها هو وقومه وكان يخرج من تلك النار عنق تمتد فتبلغ مقدار ثلاثة فراسخ ثم ترجع الى مكانها ثم ان من كان باليمن من اليهود قالوا لذى نواس أيها الملك ان عبادتك هذه النار باطلة وان

أنت دِنتَ بديننا أطفأناها باذن الله لتعلم أنك على غرر من دينك فأجابهم الى الدخول فى دينهم ان هم أطفؤها فلما خرجت تلك العنق أتوا بالتوراة ففتحوها وجعلوا يقرؤنها والنار تتأخر حتى انتهوا الى البيت الذى هى فيه فما زالوا يتلون التوراة حتى انطفأت فتهود ذو نواس ودعا أهل اليمن الى الدخول فيها فمن أبى قتله ثم سار الى مدينة نجران ليُهوّد من فيها من النصارى وكان بها قوم على دين المسيح الذى لم يُبدّل فدعاهم الى ترك دينهم والدخول فى اليهودية فأبوا فأمر بملكهم وكان اسمه عبد الله بن الثامر فضربت هامته بالسيف ثم أُدخل فى سور المدينة فضُمّ عليه وخَدّ للباقين أخاديد فأحرقهم فيها فهم أصحاب الاخدود الذين ذكرهم الله عز اسمه فى القرآن

(استيلاء الحبش على اليمن)

وأفلت دوس ذو ثَعْلبان فسار الى ملك الروم فأعلمه ماصنع ذو نواس بأهل دينه من قتل الاساقفة واحراق الانجيل وهدمه البِيَع فكتب الى النجاشى ملك الحبشة فبعث بأرياط فى جنود عظيمة وركب البحر حتى خرج على ساحل عدن وسار اليه ذو نواس فحار به فقُتِل ذو نواس ودخل أرياط صنعاء واسمها ذَمار وانما صنعاء كلمة حبشية أى وثيق حصين فبتلك سُميت صنعاء فلما اطمأن أريط وقتل اليهود وضبط اليمن درت عليه الاموال فجعل يؤثر بها من يحب فغضب حاشية الحبشة من ذلك فأتوا أبا يَكْسُوم أبرهة وكان أحد قادتهم فشكوا اليه الذى يصنع أرياط وبايعوه وانصرفت الحبشة فرقتين احداهما مع أرياط والأخرى مع أبرهة واصطفوا للحرب فدعاه أبرهة للبراز

فبرز اليه فدفع أرياط عليه حربته فوقعت فى وجه أبرهة فشرمته ولذلك سمى الأشرم وضرب أبرهة أرياط بالسيف على مفرق رأسه فقتله وانحازت الحبشة اليه فملكهم وأقره النجاشى عل سلطان اليمن فمكث على ذلك أربعين عاما وبنى بصنعاء بيعة لم ير الناس مثلها وآذن فى جميع أرض اليمن أن تحجها فاستفظعت العرب ذلك فدخل رجل من أهل تهامة ليلا فأحدث فيها فلما أصبح القوم نظروا الى السوْءة السوْآء فى الكنيسة فقال أبرهة من تظنونه فعل هذا قالوا لم يفعله الا بعض من غضب للبيت الذى بمكة لما أمرت بحج هذه البيعة فغضب أبرهة عند ذلك غضبا شديدا وتجهز للمسير الى مكة ليهدم الكعبة فأرسل الى النجاشى فبعث اليه بفيل كالجبل الراسى يقال له محمود

(مسير الحبشة لهدم الكعبة)

فسار الى مكة فكان من أمره ما قد قصّه الله فى سورة الفيل . قالوا ولما أهلك الله ابرهة خلفه فى ملكه بأرض اليمن ابنه يكسوم بن ابرهة فكان شرا من أبيه وأخبث سيرةً فلبث على اليمن تسع عشرة سنة ثم مات فملك من بعده أخوه مسروق وكان شرّا من أخيه وأخبث سيرة

(غلبة سيف على اليمن)

فلما طال ذلك على أهل اليمن خرج سَيف بن ذى يَزن الحميرىّ من ولد ذى نواس حتى أتى قيصر وهو بانطاكية فشكى اليه ما هم فيه من السودان وسأله أن ينصرهم وينفيهم عن أرضهم ويكون مُلك اليمن له فقال له قيصر أولئك هم على دينى وأنتم عبدة أوثان فلم أكن لانصركم عليهم فلما يئس منه

توجّه الى كسرى فقدم الحيرة على النعمان بن المنذر فشكى اليه أمره فقال له النعمان ما كان سبب اخراج جدّنا ربيعة بن نصر ايانا عن أرض اليمن واسكاننا بهذا المكان الا لهذا من الشان فاقِمْ فانّ لى وفادةً فى كلّ عام الى الملك كسرى بن قباذ وقد حان ذلك فاذا خرجت أخرجتك معى واستأذنت لك وتشفّعت لك اليه فيما قصدتَ له ففعل واستأذن وتشفّع فوجّه كسرى بحشَر ممن كان فى السجون وأمّر عليهم رجلا منهم يقال له وَهرِز بن الكامجار وكان شيخا كبيرا قد أناف على المائة وكان من فرسان العجم وابطالها ومن أهل البيوتات والشرف وكان أخاف السبيل فحبسه كسرى فسار وهرز بأصحابه الى الابُلّة فركب منها البحر ومعه سيف بن ذى يزن حتى خرجوا بساحل عدن وبلغ الخبر مسروقا فسار اليهم فلما التقوا وتواقفوا للحرب أسرع له وهرز بنُشّابة فرماه فلم يخطئ بين عينيه وخرجت من قفاه وخرّ ميتا وانفض جيشه ودخل وهرز صنعاء وضبط اليمن وكتب الى كسرى بالفتح فكتب اليه كسرى يأمره بقتل كل أسود باليمن وبتمليك سيف عليها وبالاقبال اليه ففعل وان بقايا من السودان قد كان سيف استبقاهم وضمهم الى نفسه يجمزون بين يديه اذا ركب شدوا على سيف يوما وهم بين يديه فى موكبه فضربوه بحرابهم حتى قتلوه

(ملك فارس اليمن)

فردّ كسرى وهرز الى أرض اليمن وأمره أن لا يدع بها أسود ولا من ضربت فيه السودانُ الاّ قتله فأقام بها خمسة أحوال فلما أدركه الموت دعا

بقوسه ونشابه ثم قال اسندوني ثم تناول قوسه فرمى وقال أنظروا حيث وقعت نشّابتى فابنوا لى هناك ناوُسا واجعلونى فيه فوقعت نشّابته من وراء الكنيسة وسمى ذلك المكان الى اليوم مقبرة وهرز ثم وجه كسرى الى أرض اليمن باذان فلم يزل ملكا عليها الى أن قام الاسلام. قالوا وكان قباذ عندما أفضى اليه الملك حدثَ السنّ من أبناء خمس عشرة سنة غير أنه كان حسن المعرفة ذكىّ الفؤاد رحيب الذراع بعيدَ الغور فولّى شُوخَر أمر المملكة فاستخفّ الناس بقباذ وتهاونوا به لاستيلاء شوخر على الأمر دونه فأغضى قباذ على ذلك خمس سنين من ملكه ثم أنف من ذلك فكتب الى سابور الرازى من ولد مِهران الاكبر وكان عامله على بابل وخُطَرْنية أن يقدم عليه فيمن معه من الجنود فلما قدم أفشى اليه ما فى نفسه وأمره بقتل شوخر فغدا سابور على قباذ فوجد شوخر عنده جالسا فمشى نحو قباذ مجاوزا لشوخر فلم يَأبَه له شوخر حتى أوهقه سابور فوقع الوَهَق فى عنقه ثم اجترّه حتى أخرجه من المجلس فأثقله حديدا واستودعه السجن ثم أمر به قباذ فقتل

(المذهب المزدكي)

فلما مضى لملك قباذ عشر سنين أتاه رجل من أهل اصطخر يقال له مَزْدَك فدعاه الى دين المزدكية فمال قباذ اليها فغضبت الفرس من ذلك غضبا شديدا وهمّوا بقتل قباذ فاعتذر اليهم فلم يقبلوا عذره وخلعوه من الملك وحبسوه فى محبسى ووكّلوا به وملّكوا عليهم جاماسف بن فيروز أخا قباذ وان أخت قباذ اندسّت لقباذ حتى أخرجته بحيلة فمكث أياما مستخفيا الى أن أمن الطلب

ثم خرج فى خمس نفر من ثقاته فيهم زَرْمِهْر بن شوخر نحو الهياطلة يستنصر ملكها فأخذ طريق الاهواز فانتهى الى أُرمشير ثم صار الى قرية فى حدّ الأهواز وأصبهان فنزلها متنكرا وكان نزوله عند دهقانها فنظر قباذ الى بنت لصاحب منزله ذات جمال فوقعت بقلبه فقال لزرمهر بن شوخرانى قدهويت هذه الجارية ووقعت بقلبى فانطلق الى أبيها فاخطبها علىّ ففعل فأرسل قباذ الى الجارية بخاتمه وجعل ذلك مهرها فهُيّئت وأُدخلت عليه فخلا بها قباذ وسُرَّ بها سرورا شديدا لما ألفاها ذات عقل وجمال وأدب وهيئة فأقام عندها ثلاثا ثم أمرها بحفظ نفسها وخرج سائرا حتى ورد على صاحب الهياطلة فشكي اليه صنيع رعيته به وسأله أن يمدّه بجيش ليسترجع ملكه فأجابه الى ذلك وشرط عليهم أن يسلم له حيّز الصغانيان ووجه معه بثلاثين ألف رجل فأقبل بهم يريد أخاه فأخذ على طريقه الذى شخص فيه بَدِيئا حتى نزل القرية التى تزوّج فيها بتلك المرأة فنزل على أبيها وسأله عنها فأخبره أنها ولدت غلاما فأمر بادخالها عليه مع ابنها فدخلت ومعها الغلام فابتهج به ورآه كأجمل ما يكون من الغلمان فسمّاه كسرى وهو كسرى أنوشَرْوان الذى تولى الملك من بعده فقال لزرمهر اخرج فسَلْ لى عن هذا الرجل أبى الجارية هل له قديم شرف فسأل عنه فأُخبر أنهم من ولد فريدون الملك ففرح بذلك قباذ وأمر بالجارية وابنها فحملا معه ولما انتهى الى مدينة طيسفون تلاومت العجم فيما بينها وقالوا إن قباذ تنصّل الينا من شأن مزدك ورجع عما كنا اتهمناه فلم نقبل ذلك منه وظلمناه حقه وأسأنا اليه فخرجوا اليه جميعا وفيهم جاماسف

أخوه الذى ملّكوه فاعتذروا اليه فقبل ذلك منهم وصفح عن أخيه جاماسف وعنهم وأقبل فدخل قصر المملكة ووصل الجيش الذى أقبل بهم وأجازهم وأحسن اليهم وردهم الى ملكهم وأمر بالجارية فأنزلت فى أفضل مساكنه ثم إن قباذ تجهز وسار فى جنوده غازيا بلاد الروم فافتتح مدينة آمِد وميّافارقين وسبى أهلها وأمر فبُنيت لهم مدينة فيما بين فارس والأهواز فأسكنهم فيها وسماها إبرقباذ وهى استان الأعلى وجعل لها أربعة طساسيج. طسّوج الانبار وكان منها هيت وعانات فضمها يزيد بن معاوية حين ملك الى الجزيرة. وطسّوج بادُورَيَا. وطسوج مَسكِن. وكوّر كورة بِهقُباذ الأوسط وبهقُباذ الأسفل وضم اليها ثمانية طساسيج لكل كورة أربعة طساسيج وهي الاستانات وشَقّ كورة أصبهان كورتين شقّ جيّ وشقّ التَّيْمُرَة وكان لقباذ عدَّة من الأولاد لم يكن فيهم آثر عنده من كسرى لاجتماع الشرف فيه غير أنه كانت بهظِنَّة أى سيّئ الظن فلم يكن قباذ يحمده عليها فقال له ذات يوم يا بُنيّ قد كملت فيك الخصال التى هى جماع أمور المُلك غير أن بك ظنّة وإن الظنة فى غير موضعها داعية الأوزار ومُحبطة للاعمال فاعتذر كسرى الى أبيه مما وقع فى قلبه من ذلك واستصلح نفسه عنده

(ملك كسرى أنوشروان)

فلما أتى لملك قباذ ثلاث وأربعون سنة حضره الموت ففوَّض الأمر الى ابنه كسرى وهو أنوشروان فملك بعد أبيه وأمر بطلب مزدك بن مازيّار الذى زين للناس ركوب المحارم فحرَّض بذلك السفل على ارتكاب السيئات وسهل

للعصبة الغصب وللظالمة الظلم فطُلِب حتى وُجد فأمر بقتله وصلبه وقتل من دخل فى ملّته ثم قسم كسرى أنوشروان المملكة أربعة أرباع ولى كل ربع رجلا من ثقاته فأحد الأرباع خراسان وسجستان وكرمان والثانى أصبهان وقُمّ والجَبَل وأذربيجان وأرمينية والثالث فارس والاهواز الى البحرين والرابع العراق الى حدّ مملكة الروم وبلغ بكل رجل من هؤلاء الاربعة غاية الشرف والكرامة ووجّه الجيوش الى بلاد الهياطلة وافتتح تُخارَستان وزابُلَستان وكابُلَستان والصغانيان وان ملك الترك سِنْجِبُو خاقان جمع اليه أهل المملكة واستعدّ وسار نحو أرض خراسان حتى غلب على الشاش وفرغانة وسمرقند وكشّ ونَسَف وانتهى الى بخارى وبلغ ذلك كسرى فعقد لابنه هرمز الذى ملك من بعده على جيش كثيف ووجهه لمحاربة خاقان التركى فسار حتى اذا قرب منه خلّى ما كان غلب عليه ولحق ببلاده فكتب كسرى الى ابنه هرمز بالانصراف

(حرب فارس والروم فى عهد كسرى)

قالوا وان خالد بن جبلة الغسانى غزا النعمان بن المنذر وهو المنذر الأخير وكانا منذرَين ونُعمانَين فالمنذر الاول هو الذى قام بأمر بهرام جور والمنذر الثانى الذى كان فى زمان كسرى أنوشروان وكانوا عُمال كسرى على تخوم أرض العرب فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة واستاق ابل المنذر وخيله فكتب المنذر الى كسرى أنوشروان يُخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة فكتب كسرى الى قيصر أن يأمر خالدا باقادة المنذر وما قتل من أصحابه وردّ ما أخذ من أمواله فلم يحفل قيصر بكتابه فتجهز كسرى لمحاربته فسار حتى

وغل فى بلاد الجزيرة وكانت اذ ذاك فى يد الروم فاحتوى على مدينة دارا ومدينة الرُّها ومدينة قِنَّسْرين ومدينة مَنْبِج ومدينة حلب حتى انتهى الى انطاكية فأخذها وكانت أعظم مدينة بالشام والجزيرة وسبى أهلها أهل انطاكية وحملهم الى العراق وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب طيسفون على بناء مدينة انطاكية بأزقّتها وشوارعها ودورها لا يُغادِر منها شيئا وسماها زَبرخُسرو وهى المدينة التى الى جانب المدائن تسمى الروميَّة ثم سُرّحوا فيها فانطلق كلّ انسان منها الى مثل داره بمدينة انطاكية وولّى القيام بأمرهم رجلا من نصارى الاهواز يقال له يَزدْفَنا وان قيصر كتب الى كسرى يسأله الصلح وردّ مااحتوى عليه من هذه المدن على ان يؤدّى اليه ضريبة موظفة عليه فى كلّ عام وكره كسرى البغي فأجابه الى مابذل ووكل بقبضه وتوجيهه اليه فى كل عام شَرْوين الدَسْتَبَاىّ فأقام مع ملك الروم هناك ومعهُ خُرّين مملوكه المشهور الخبر وكان نجدا فارسا بطلا . ولما قفل كسرى منصرفا من أرض الشام أصابه مرض شديد فمال الى مدينة حمص فأقام بها فى جنوده الى أن تماثل فكان قيصر يحمل اليه كفاية عسكره الى ان شخص . قالوا وكان لكسرى أنوشروان ابنٌ يسمى أنوش زاذ كانت أمه نصرانية ذات جمال وكان كسرى معجبا بها وأرادها على ترك النصرانية والدخول فى المجوسية فأبت فورث ذلك منها ابنها أنوش زاذ وخالف أباه فى الديانة فغضب عليه وأمر بحبسه فى مدينة جُنْدَيْسابور فلما غزا كسرى بلاد الشام وبلغ أنوش زاذ مرضه ومقامه بحمص استغوى أهل

الحبس و بثّ رسله فى نصارى جنديسابور وسائر كور الاهواز وكسر السجن وخرج واجتمع اليـه أولئك النصارى فطرد عمال أبيـه عن كور الاهواز واحتوى على الاموال وأشاع بموت أبيـه وتهيّأ للمسـير نحو العراق وكتب خليفتُه بمدينة طيسفون يُعلمه خبرَ ابنه وما خرج اليه فـكتب اليـه كسرى وجه اليه الجنود واكمِنْ فى حربه واحتَلْ لأخذه فان يأت القضاء عليه فيقتل فأهونُ دمٍ وأضيعُ نفس واللبيب يعلم ان الدنيا لايخلص صفوُها ولا يدوم عفوها ولو كان شئ يسـلم من شائبة أذن لـكان الغيث الذى يحيى الارض الميتة ولـكان النهار الذى يأتى الناس رقودا فيبعثهم وعُميا فيضىء لهم فـكم مع ذلك من متأذ بالغيث ومتداع عليه من البنيان وكم فى سيوله وبروقه من هالك وكم فى هواجر النهار من ضرر وفساد فاستأصـل الثُؤلُول الذى نجم بحدّك ولا يهولنّك كثرة القوم فليست لهم شوكة تبقى وكيف تبقي النصارى وفى دينهم ان الرجل منهـم ان لُطِم خـدّه الايسر أمكن من الأيمن فان استسلم أنوش زاذ وأصحابه فرُدّ من كان منهم فى المحابس الى محابسهم ولا تزِدهم على ما كانوا فيه من ضيق ونقص المطعم والملبس ومن كان منهم من الاساورة فاضرب عنقه ولا يكن منك عليهم رأفة ومن كان منهم من سِفَل الناس وأوغادهم فخلِّ سبيلهم ولا تعرض لهم وقد فهمتُ ماذكرتَ مما كان منك فى نـكال القوم الذين أظهروا شتم أنوش زاذ وذكروا أمه فاعـلم ان أولئك ذوو أحقاد كامنة وعداوة باطنة فجعلوا شتم أنوش زاذ ذريعةً لشتمنا ومرقاةً الى ذكرنا وقد وفقتَ فى تأديبك اياهم فلا ترخص لاحد فى مثـل

مقالتهم والسلام . ثم ان كسرى عوفى من مرضه فانصرف فى جنوده الى دار ملكه وقد أخذ ابنه أنوش زاذ أسيرا وانتهى فيه الى ما أمر به .

(الخراج فى عهد كسرى)

قالوا وكانت ملوك الاعاجم يضعون على غلات الارضين شيئا معروفا من المقاسمات النصفَ والثلث والربعَ والخمس الى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والريْع فهم قباذ باسقاط ذلك ووَضع الخراج فمات قبل ان يستتمّ المساحة فأمر كسرى أنوشروان باستتمامها فلما فرغ منها أمر الكُتّاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضائع ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان فى خدمة الملك ولم يلزم أحدا لم يأت له عشرون سنة أوجاز الخمسين وكتب تلك الوضائع فى ثلاث نسخ نسخة خلدها ديوانه ونسخة بعث بها الى ديوان الخراج ونسخة دفعت الى القضاة فى الكور ليمنعوا العمال من اعتداء مافى الدستور الذى عندهم وأمر أن يُجبى الخراج فى ثلاثة أنجم وسمى الدار التى يجبى فيها ذلك سراى سَمّره وتفسيره دار الثلاثة الأنجم وهى التى تعرف بالشمَرَّج اليوم وقد قيل فى تفسير ذلك غيرهذا أى انماهى دارالحساب والحساب شَمَرَّه وهذا كلام معروف فى لغة فارس الى اليوم يسمون الخراج الشمرّه بالشين على معنى الحساب ورفع خراج الرؤوس عن الفقراء والزّمْنى وكذلك خراج الغلات ورفعه عما نالته الآفة على قدر ماأصاب منها ووكل بكل ذلك قوما ثقات ذوى عدالة يُنْفِذونه ويحملون الناس منه على النَصَفَة

ولم يكن فى ملوك العجم ملك كان أجمعَ لفنون الادب والحكم ولا أطلبَ للعلم منه وكان يقرّب أهل الآداب والحكمة ويعرف لهم فضلهم وكان أكبر علماء عصره بُزُرْجِمِهْر بن البَخْتَكان وكان من حكماء العجم وعقلائهم وكان كسرى يفضله على وزرائه وعلماء دهره وكان كسرى ولّى رجلا من الكتاب نبيها معروفا بالعقل والكفاية يقال له بابك بن النِّهر وان ديوان الجند فقال لكسرى أيها الملك انك قد قلّدتَنى أمرا من صلاحه ان تحتمل لى بعض الغِلظة فى الأمور عَرْضَ الجنود فى كل أربعة أشهر وأخذَ كلّ طبقة بكمال آلتها ومحاسبةَ المؤدّبين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروسية والرمى والنظرَ فى مبالغتهم فى ذلك وتقصيرهم فان ذلك ذريعة الى اجراء السياسة مجاريَها فقال كسرى ما المجاب بما قال بأحْظَى من المجيب لاشتراكهما فى فضله وانفراد المجيب بعدُ بالراحة فحقّقْ مقالتك وأمر فبنيت له فى موضع العرض مسطبة وبُسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين أحد من المقاتلة الا حضر للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا وفعل ذلك فى اليوم الثانى ولم ير كسرى فانصرفوا فنادى فى اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفنّ من المقاتلة أحد ولا من أُكرِم بالتاج والسرير فانه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة وبلغ كسرى ذلك فتسلح سلاحَه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذى يؤخَذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا وبيضةً ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وجُرزا يلزمه منطقته وطبرزينا وعمودا وجَعْبَةً فيها قوسان بوترهما وثلاثين نشابة ووتَرَين ملفوفين يعلقهما الفارس

فى مغفره ظِهْرِيًّا فاعترض كسرى على بابك بسلاح تامّ خلا الوترين اللذين يُستَظهر بهما فلم يُجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلّقهما فى مغفره واعترض على بابك فأجاز على اسمه وقال لسيّد الكُماة أربعة آلاف درهم ودرهم وكان أكثر من له من الرزق أربعة آلاف درهم ففضّل كسرى بدرهم فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال أيها الملك لا تلمنى على ما كان من اغلاظى فما أردتُ به الا الدُربة للمعدلة والانصاف وحَسْمَ المحاباة قال كسرى ما غلظ علينا أحد فيما يريد به اقامة أَوَدنا أوصلاح ملكنا الا احتملنا له غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجو من منفعته . قالوا وكانت كَسكر كورة صغيرة فزاد كسرى أنوشروان فيها من كورة بَهُرَسير وكورة هُرْمز دخُرّه وكورة ميسان فوسّعها بذلك وجعلها طسّوجين طسّوج جُنديسابور وطسّوج الزَنْدَوَرْد وكوّر بجُوخى كورة خُسروماه وجعل لها ستّة طساسيج. طسّوج طيسفون وهى المدائن وطيسفون قرية على دجلة أسفل من قباب حُميد بثلاثة فراسخ يقال لها بالنبطيّة طيسفونج. وَطسّوج جازِر. وطسّوج كَلْواذى. وَطسّوج نَهر بوق . وَطسّوج جَلُولا. وطسّوج نَهر المَلك

(مقارنة التاريخ النبوى بتاريخ العجم)

وُولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر ملك أنوشروان فأقام بمكة الى أن بُعث بعد أربعين سنة منها سبع سنين بقيت من ملك أنوشروان وتسع عشرة سنة ملكها هرمز بن كسرى أنوشروان و بُعث وقد مضى من ملك كسرى

ابرويز ستّ عشرة سنة فأقام بمكة فى نبوّته صلى الله عليه وسلم وعلى عترته ثلاث عشرةسنة وهاجر الى المدينة وقدمضى من ملك ابرويز تسع وعشرون سنة فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفى صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليما بعد موت كسرى ابرويز فكان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وزعموا أن بناتِ آوَى ظهرت بالعراق فى آخر ملك أنوشروان وكانت سقطت اليها من بلاد الاتراك واستفظع الناس ذلك وتعجّبوا منه و بلغ ذلك كسرى فقال للموبذ قد كثر تعجبى من هذه السباع التى قد غزَتْ أرضنا فقال الموبذ بلغنى أيها الملك فيما يُؤثَر من أخبار الاوّلين انّ كلّ أرض يغلب جورُها عدلها تغزوها السباع فلما سمع ذلك ارتاب بسيرة عمّاله فوجّه ثلاثة عشر رجلا من أمنائه الذين لا يكتمونه شيئا الى آفاق مملكته متنكرين لا يُعرَفون فانصرفوا فأخبروه عن سوء سيرة عمّاله ما غمّه فأرسل الى تسعين رجلا منهم ذكروا بسوء السيرة فضرب أعناقهم فضبط عُمَّالُه أنفسهم ولزموا عدل السيرة

(ملك هرمزد)

وكان لكسرى انوشروان عدّة بنين وكانوا جميعا أولاد سُوقَة واماء الاّ ابنه هرمزد بن كسرى الذى مُلّك بعده فان أمه كانت ابنة خاقان الترك وأمّ أمّه خاتون الملكة فعزم أبوه على تمليكه من بعده فوضع عليه عيونا يأتونه بأخباره فكان يأتيه عنه ما يحبه فكتب له عهدا واستودعه رئيس نُسَّاكهم فى دينهم فلما تمّ لملكه ثمان وأربعون سنة مات فلما مات أنوشروان

ملك ابنه هرمزد بن كسرى فقال يومَ ملك الحِلمُ عمادُ المُلك والعقل عماد الدين والرفق ملاكُ الامر . والفطنة ملاكُ الفِكرة . أيها الناس ان الله خصّنا بالمُلك وعمكم بالعبوديّة وكرّم ملكتَنا فأعتقكم بها وأعزّنا وأعزّكم بعزّنا وقلّدنا الحكومة فيكم وألزمكم الانقياد لامرنا وقد أصبحتم فرقتين احداهما أهل قوّة والاخرى أهل ضعة فلا يستأكلنّ منكم قويّ ضعيفا ولا يغشّنّ ضعيف قويًّا ولا تتُوقنّ نفس أحد من الغَلَبَة الى ضيم أحد من أهل الضعة فان فى ذلك وهيا لمُلكنا ولا يرومنّ أهلٌ من أهل الضعة الاخذ بمأخذ الغَلَبة فان فى ذلك انتثارَ ما نحبّ نظامَه وزوالَ ما نُحاول قوامه وفوتَ ما نحاول دركه واعلموا أيها الناس ان من سَوْسنا العطفَ على الاقوياء من الغَلبة ورفَع مراتبهم والرحمةَ على الضعفاء والذبّ عنهم وحَسمَ الاقوياء عن ظلمهم والتعدى عليهم واعلموا أيها الناس أن حاجتكم الينا فى نفس حاجتنا اليكم وحاجتُنا اليكم هى مَسدٌّ لحاجتكم الينا وان الثقيل مما أنتم مُنزلوه بنا من أموركم عندنا خفيف والخفيفُ مما نحن مُجشّموكم ثقيلٌ لعجزكم عمَّا نحن مُضطلعون به واضطلاعنا لما أنتم عنه عاجزون وانما تحمدون حسنَ ملكتنا ايّاكم وفضل سيرتنا فيكم اذا حسمتم أنفسكم عمَّا نهينا كم عنه ولزمتم ما أمرنا كم به . أيها الناس مَيلوا بين الأمور المتشابهات . ولا تسمّوا النُسْك رِياءً . ولا الرياء مراقبةً . ولا الشرارة شجاعة . ولا الظلم حزما . ولا رحمة الله نقمة . ولا مخوفَ الفوت هُوَينا . ولا البرّ بالقُربى مَلقا . ولا العقوق مَوجِدَة . ولا الشك استبراءً . ولا الانصاف ضعفا . ولا الكرم مَعجزة . ولا التبرّم عادةً . ولا الاخذ

بالفضل ذلا . ولا الأدبَ عقلا . ولا العماية غَفْلة . ولا الغـدر ضرورة . ولا النزاهة تضييعا . ولا التصنّع عفافا . ولا الورع رهبةً . ولا الحذرجُبنا . ولاالشرهَ اجتهادا . ولا الجناية غُنما .ولا القَصْد تقتيرا . ولاالبخل اقتصادا . ولا السَرَف توسّعا . ولا السـخاء سرفا . ولا الصلَف بُعْدَ همّة . ولا النبل صلفا . ولا البذخَ تجلدا . ولا الحِرمان استحقاقا . ولا رفع الانذال صنيعة . ولا المجُون ظَرفا . ولا التخلّف تثبّتا . ولا التثبُّت بلادةً . ولا النميمة وسيلةً . ولا السّعاية دَرَكا . ولا اللين ضَعْفا . ولا الفُحْش انتصافا . ولا الهذَر بلاغة. ولا البلاغة تَفْقيها . ولا المَيْل فى هوَى الأَشرار شُكرا . ولاالمداهنةمُواتاةً. ولا الاعانة على الظـلم حِفاظا . ولا الزَهو مرُوءة . ولا اللهو فُـكاهة . ولا الحيف استقصاء . ولا الاستطالة عِزّا . ولا حسنَ الظنّ ِ تفريطا . ولاإيطاء العُشوة نصـيحة . ولا الغِشّ كَيْسا . ولا الرياء تعطّفا . ولا التوانى تُؤدة . ولا الحياء مهابة . ولا السفَه صرامة . ولاالدَغَل استقامة . ولاالبغي استعادة . ولا الحسد شفاء . ولا العُجْب كمالا . ولاالفَتْك حَمِيّة . ولا الحِقْد مَكْرُمة . ولاالضيق احتياطا . ولا التعسّف انـكماشا . ولا النزَق تيقظا . ولا الأَدب حِرْفة . ولا المعاتبة مفاسدة . ولا بُعْد القـدر سُمُوّا . ولا مجَارىَ التقادير أسـبابَ الذنوب . ولا مالا يكون كائنا . ولا كائنا ما لا يكون . اجتنبوا المرذولات من هذه الأمور المتشابهات وثابروا على ماتحظَوْن به عندنا فان وقوفـكم عند أمرنا منجاة لـكم من سخطنا وتنـكبكم معصيتنا سـلامة لـكم من عقابنا فأما العدل الذى نحن عليه مقتصرون و به نصلُح وتصلحون فأنتم

فيه عندنا مُستوون ستعرفون ذلك اذا قمعنا أهل القوّة عن أهل الضعف وتولينا بأنفسنا أمر المضطهدين الملهوفين وأخضعنا أهل الضعة لأهل العُلَى بانزالنا اياهم منازلهم ورددنا من رام من أهل الضعة مرتبة لايستوجبها الا المستحقون منهم الحياء والشرفَ لنجدة توجد عنده أو بلاء حسن يظهرمنه . واعلموا أيها الناس أنا فارقون بين سَوْطنا وسيفنا ومستعملوهما بتثبت وحسن روية فمن غمط نعمتنا وخالف أمرنا وحاول ما نهيناه عنه فانا لانكاد نصلح رعايانا ونضبط أمورنا الا بتنكيل من خالف أمرنا وتعدّى سيرتنا وسعى فى فساد سلطاننا ولا يطمعنّ أحد فى رُخصة منا ولا يرجونّ هوادةً عندنا فانا غير مداهنين في حق الله الذى قلّدنا فوطنوا أنفسكم على احدى خلّتين ما استقامةً بما تصلُحون واما مخافةً على ماتتلَفون فان الصلاح حُجّتان معتدان لكم عندنا فى تدبير ملكنا وضبطنا سلطاننا فلا تستصغروا وعيدْ وتهدّدنا ولا تحسبوا ان فعلنا يقصرعن قولنا وانما أحببنا ان نعلمكم رأينا فى اجتناب الرخص والمحاباة وحرصنا على الاعتذار قبل الايقاع والاخذ بقصد السيرةوالعدل فى الرعيةواختيارطاعتكم التى بهاتكون ألفتكم واستقامتكم فثقوا بما بدأنا به من وعد وخافوا ماأظهرنا من وعيد ونحن نسأل الله أن يعصمكم من استدراج الشيطان وضلاله وان يسددكم لما يقرّب من طاعته وبلوغ مرضاته والسلام عليكم . فلما سمع الناس ذلك تباشر به الضعفاء وأهل الضعة وفتّ ذلك فى أعضاء العِلْية وساءهم فتنكبوا ما كانوا فيه من الاستطالة على الضعفاء والقهر لأهل الضعة . وكان هرمزد ملكا متحريا لحسن السيرة مثابرا على

استصلاح الرعية رحيما بالضعفاء شديدا على الأقوياء وبلغ من عدله وتحرّيه الحقّ انه كان يسـير في كل عام الى أرض الماهين فيصيف بها وكان يأمر عند مسـيره اليها مناديَه فينادي فى عسكره أن يتحاموا الحروب ويتحاموا الاضرار بالدهاقين ويوكل بتعهد ذلك ومعاقبة من تعدّى أمره فيـه رجلا من ثقاته . وكان ابنه كسرى الذى ملك من بعده ويسمّى أبرويز معه فى مسيره فعار ذاتَ يوم مركب من مراكبه فوقع فى زرع على طريقـه فرتع فيه وأفسد فأخذ صاحب الزرع ذلك المركب فدفعه الى الموكل بذلك الامر فلم يمكنه معاقبة كسرى فرقّى أمره الى أبيه فأمر أن يُجْدَع أذنا الفرس ويُحْذَف ذنبه ويغرّم ابنه مقدار مائة ضعف مما أفسد الفرس من ذلك الزرع فخرج الموكل بذلك من عند الملك ليُنفذ أمر الملك فوجه كسرى رهطا من المرازبة والاشراف الى الموكل بذلك ليسألوه التغبيب عن ذلك ويدفع الف ضعف مما أفسد مركبه لما فى جَدْع اذن الفرس وتبتير ذنبه من الطِيَرة فلم يجبهم الموكل الى ذلك وأمر بالمركب فجُدعت أذناه وبُتّر ذنبـه وغُرّم كسرى ما أصاب صاحب الزرع كنحو ما كان يغرَمُ سائر الناس فـلم يكن للملك هرمزد بن كسرى همّة ولا نهمة الا استصلاح الضعفاء وانصافهم من الأقوياء فاستوى فى ملـكه القويّ والضعيف . وكان هرمزد منصورا مظفّرا لا يروم تناول شيء الا ناله لم يُهزَم له جيش قط وكان أكثر دهره غائبا عن المدائن اما بالسواد متشتّيا واما بالماه متصيّفا فلما كانت سنة احـدى عشرة من ملـكه حدق به الأعداء من كل وجه فاكتنفوه اكتناف الوَتَر سِيَتَى القوس اما

من ناحية المشرق فان شاهانشاه الترك أقبل حتى صار الى هراة وطرد عمال هرمزد وأما من قبل المغرب فان ملك الروم أقبل حتى شارف نصيبين ليستردّ آمد وميّا فارقين ودارا ونصيبين . وأما من قبل أرمينيّة فان ملك الخزَر أقبل حتى وغل فى أذربيجان فبثّ الغارات فيها فلما انتهى ذلك الى هرمزد بدأ بقيصر فردّ عليه المدن التى كان أبوه اغتصبه ايّاها وسأله الصلحَ والموادعة فأجابه قيصر الى ذلك فانصرف ثم كتب الى عماله بأرمينيّة وأذربيجان فاجتمعوا وصمدوا صمدَ صاحب الخزر حتى نفوه عن أرضه . فلما فرغ من ذلك كله صرف همّه الى صاحب الترك وكان أشدّ الاعداء عليه فكتب الى بهرام بن بهرام جُشْنَس عامله على ثغر أذربيجان وأرمينيّة وهو الملقّب بهرام شُوبِين يأمره بالقدوم عليه فما لبث أن قدم فأذن له فدخل عليه فرفع مجلسه وأظهر كرامته وخلا به وأخبره بالأمر الذى أراده له من التوجّه الى شاهانشاه الترك فسارع بهرام الى طاعته واتباع أمره فأمر هرمزد ان يُسلط بهرام على بيوت الأموال والسلاح وأن يسَلّم اليه ديوان الجند ليختار من أحبّ على عينه فأحضر بهرام الديوان وجمع اليه المرازبة والاشراف فانتخب اثنى عشر الف رجل من الفرسان ليس فيهم الا من أناف الاربعين وبلغ ذلك الملك فقال له لم لم تنتخب الا هذا المقدار وانما نريد أن تسير بهم الى ثلثمائة ألف رجل فقال بهرام ألم تعلم أيها الملك أن قابوس حين أسر فحبس فى حصن ماسفرى انما سار اليه رستم فى اثنى عشر الفا فاستنقذه من أيدي مائتى ألف وان اسفندياد انما سار الى أرجاسف ليطلب منه الوِتر الذى كان له عنده

فى اثنى عشر الفا . وان كيخسرو انما أرسل جودرز ليطلب بدم أبيه سِاوُش فى اثنى عشر الفا فظهر على ثلثمائة الف فأيّ جيش لا يُفَلّ باثنى عشر الفا لا يفلّ بشيء أبدا . فلما فصل بهرام بالجنود من المدائن ودّعه الملك وقال له اياك والبغيَ فان البغيَ مصرعه بصاحبه وعليك بالوفاء فان فيه نجاةً لمحاوله واياك أن تسير الا على تعبية الحرب فاذا نزلت فاحرس عسكرك بنفسك وامنع جنودك من العَيْث والفساد واياك أن تعزم حتى تُروّى ولا تُروّى حتى تستشير أهل النُصح والامانة . ثمّ انصرف الملك ومضى بهرام فأخذ على طريق الاهواز و بلغ ملك الترك قدوم الجيش لمحاربته وقد كان الملك هرمزد وجّه الى ملك الترك رجلا من مرازبته يسمى هرمزجُرابزين وكان من أدهى العجم وأشدّهم خلابةً وكيدا وأمره أن يُعلمه انه رسول الملك أرسله لمصالحته واعطائه الرضى فأتاه هرمزدجرابزين فاستعمل فيها الخديعة وكفه بها عن الفساد فى أرض خراسان فلما علم هرمزدانّ بهرام قد دنا من هراة خرج ليلا فلحق ببهرام .ولما بلغ ملك الاتراك ورود الجيش قال لصاحب حرسه انطلق فأتنى بهذا الفارسى الخدّاع فطلبوه فوجدوه قد هرب فى جوف الليل . وخرج خاقان من مدينة هراة للقاء بهرام وعلى مقدّمته أربعون ألفا فلما التقوا أرسل الى بهرام ان انضمَّ الى حتى أملّكك على ايران شهر وأجعلك أخص الناس بى فأرسل اليه بهرام كيف تملكنى على ايران شهر وانما مُلكها لاهل بيت فينا لا يجوز أن يعدوهم الى غيرهم ولكن هلمّ الى الحرب فغضب ملك الترك من ذلك وأمر فضُرب بوق الحرب وتزاحف الفريقان وملك الترك على سرير من

ذهب فوق راية يُشرف على الفريقين فلما استحرّت الحرب قصد بهرام لتل في مائة فارس من أبطال جنوده فانفضّ عنه من حول ملك الترك فلما رأى الملك ذلك دعا بمركبه واستبان لبهرام فرماه بنشّابة نفذته فخرّ صريعاً وانهزم الأتراك وقد كان شاهانشاه خلّف على ملكه ابنه يَلْتَكين فلما أتاه مقتل أبيه استجاش الترك وأقبل في دهم داهم من أمم الأتراك وانضمّ اليه الفلُّ وبلغ بهرام الخبر فأرسل فى أقطار خراسان فاجتمع اليه بشر كثير فسار مستقبلا ليلتكين فالتقوا على شاطئ النهر الأعظم مما يلي الترمذ وهاب كلّ واحد منهما صاحبه وجرت بينهما السفراء فى الصلح وأرسل بهرام اليه انكم معاشر الخاقانيّة قتلتم ملكنا فيروز فأهدرنا دمه وقبلنا الصلح منكم فكذلك فافعلوا بنا فأجابه يلتكين الى الصلح على حكم هرمزد الملك وأقاما بمكانهما فكتب بهرام الى هرمزد بذلك فكتب اليه هرمزد ان تُوجه اليّ يلتكين مكرّما فى خاصة طراخنته وعظماء جنوده فتوجّه يلتكين الى العراق فلما دنا من المدائن خرج هرمزد متلقّيا له وترجل كلّ واحد منهما لصاحبه وأظهر هرمزد اكرام يلتكين وأنزله معه فى قصره وأخذ كل واحد منهما عهدا وكيدا على صاحبه بالمسالمة ما بقيا ثم أذن له فانصرف الى مملكته . ولما وغل فى خراسان استقبله بهرام فى جنوده وسار معه الى حدّ مملكته وانصرف بهرام حتى أتى مدينة بلخ فنزلها ووجه الى الملك هرمزد ما كان غنمه من عسكر شاهانشاه ووجه اليه بذلك السرير الذهب فبلغ ماوجه اليه وقر ثلثمائة بعير . فلما وصلت الغنائم الى هرمزد وعرضت عليه وحوله وزراؤه وعظماء مرازبته قال يَزْدان

جُشْنَس رئيس وزرائه أيها الملك ما كان أعظم المائدة التي منها هذه اللقمة فوقعت هذه الكلمة في قلب هرمزد وارتاب بأمانة بهرام وظنّ أن الأمر كما قال يزدان جشنس فانظر كم داهية دهياء وحروب وبلاء جرّت هذه الكلمة ودخل هرمزد منها الغضبُ والغيظ على بهرام ما أنساه حسن بلائه فأرسل الى بهرام بجامعة ومِنطق امرأة ومِغزل وكتب اليه انه قد صح عندي انك لم تبعث اليّ من ملك الغنائم الا قليلا من كثير والذنب لي في تشريفي اياك وقد بعثت اليك بجامعة فضعها في عنقك ومنطق امرأة فتنطَّقْ بها ومغزل فليكن في يدك فان الغدر والكفران من أخلاق النساء فلما وصل ذلك الى بهرام كظم غيظه وعلم أنه انما أُتِي من الوشاة فوضع الجامعة في عنقه وصيَّرَ المنطق في وسطه وأخذ المغزل في يده ثم أذن لعظماء أصحابه فدخلوا عليه ثم أقرأهم كتاب الملك اليه فلما سمع أصحابه ذلك يئسوا من خير الملك وعلموا انه لم يشكر لهم حسن بلائهم فقالوا نقول كما قال أوّلو خوارجنا لاأردشير مَلِكٌ ولا يزدان وزير ونحن أيضا نقول لا هرمرد ملك ولا يَزْدان جُشْنَس وزيرٌ وكانت قصة أوّلي خوارجهم ان أردشير بابكان كان صار اليه بعض الحواريين فاستجاب له ودخل في دين المسيح صلى الله عليه وسلم وكان في عصره وشايعه على ذلك وزيره يزدان فغضب العجم لذلك وهموا بخلع أردشير حتى أظهر لهم الرجوع عما همّ به من ذلك فأقروه على الملك فقال أصحاب بهرام لبهرام ان أنت تابعتنا على خلع هرمرد والخروج عليه والا خلعناك ورأسنا غيرك فلما رأى اجتماعهم على ذلك أجابهم على أسف وهم وكراهية وخرج

هرمزدجرابزين ويزدك الكاتب من معسكر بهرام ليلا حتى قدما المدائن وأخبرا هرمزد الخبر . ثم ان بهرام سار فى جنوده نحو العراق لمحاربة هرمزد الملك حتى ورد مدينة الرىّ فأقام واتخذ سكة للدراهم بتمثال كسرى أبرويز ابن الملك وصورته واسمه وضرب عليه عشرة آلاف درهم وأمر بالدراهم فحملت سرا حتى ألقيت بالمدائن ففشت فى أيدى الناس و بلغ ذلك الملك هرمزد فلم يشكّ ان ابنه كسرى يحاول الملك وانه الذى أمر بضرب تلك الدراهم وذلك الذى أراد بهرام بما فعل فهمّ الملك بقتل ابنه كسرى فهرب كسرى من المدائن ليلا نحو آذربيجان حتى أتاها وأقام بها وهم الملك بندُوَية وبِسطاما وكانا خالى كسرى فسألهما عن كسرى فقالا لا علم لنا به فارتاب بهما فأمر بحبسهما ثم ان الملك جمع نصحاءه فاستشارهم فقالوا أيها الملك انك عجلت فى أمر بهرام وقد رأينا أن توجه الى بهرام يزدان جشنس فليس بهرام بقاتله اذا أتاه معتذرا اليه ربما بذنبه عنده وتكون قد طيبتَ بنفس بهرام ورددته الى الطاعة وحقنت بذلك الدماء فقبل الملك ذلك و بعث يزدان جُشْنَس الوزير فلما تهيأ للمسير أرسل اليه ابن عم له كان محبوسا فى حبس الملك ببعض الجرائم يسأله أن يستوهبه من الملك ويُخرجه معه فان عنده غناء ومعونة فى الامور ففعل يزدان جشنس وأخرجه معه فلما صار بمدينة همذان ارتاب بابن عمه ذلك وكتب كتابا الى الملك يعلمه انه قد ردّه اليه ليأمر بقتله أو يرده الى محبسه فانه فاجر فاتك وقال له انى قد كتبت الى الملك كتابا فى بعض الأمور فأغذ السير به حتى تدفعه اليه ولا تطلعنّ على ذلك أحدا فارتاب

الرجل بذلك فلما تغيّب عن يزْدان جشْنَس وفكّ الكتاب وقرأه فاذا فيه حتفه فرجع الى يزدان جشنس وهو مستخل فضرب به حتى قتله وأخذ رأسه فانطلق به الى بهرام وهو بالريّ فألقاه بين يديه وقال هذا رأس عدوّك يزدان جشنس الذى وشى بك الى الملك وأفسد قلبه عليك قال له بهرام يافاسق أقتلتَ يزدان جشنس فى شرفه وفضله وقد كان خرج نحوى ليعتذر اليّ مما كان منه ويصلح بينى وبين الملك ثم أمر به فضربت عنقه وبلغ من بباب الملك من العظماء والاشراف والمرازبة مقتل يزدان جشنس وكان عظيما فيهم فمشى بعضهم الى بعض وعزموا على خلع الملك وتمليك ابنه كسرى وكان الذى زين لهم ذلك وحملهم عليه بِنْدُوية وبِسطام خالا كسرى وكانا محتبسين فأرسلا الى العظماء ان أريحوا أنفسكم من ابن التركيّة يعنيان الملك هرمزد فقد قتل خيارنا وأباد سراتنا وذلك أنه كان مولعا بالعِلْية من أجل استطالتهم على أهل الضعف فقتل منهم خلقا كثيرا فاتفقوا على يوم يجتمعون فيه لذلك فأقبلوا جميعا حتى أخرجوا بندوية وبسطاما من الحبس وجميع من كان فيه.

(فتنة بهرام جوبين وتولية كسرى أبرويز)

ثم أقبلوا الى الملك هرمزد فنكَّسوه عن سريره وأخذوا تاجه ومنطقته وسيفه وقباءه فأرسلوا بها الى كسرى وهو بأذر بيجان فلما انتهى ذلك اليه سار مقبلا حتى ورد المدائن ودخل الايوان واجتمع اليه العظماء فقام فيهم خطيبا فكان مما قال المقاديرُ تُرِى المرء مالايخطر بباله والأسبابُ تأتي على

خلاف الهوى والبغي مصرعة لاهله والخائب من أورطته رغبتُه والحازم من قنع بما قضى له ولم تتُقْ نفسه الى أكثر منه . أيها الناس ثابروا على مايقرّبكم الينا من طاعتنا ومناصحتنا واياكم ومخالفة أمرنا والبغي علينا فانالكم بمنزلة العُرَى والأركان . فلما تفرّق الناس عنه قام يمشي حتى دخل على أبيه وهو فى بيت من بيوت القصر فقبّل يديه ورجليه وقال ياأبَتِ ماأحببت هذا الأمر فى حياتك ولا أردته ولو لم أقبله لصُرِف عنا وأُزِيل عنا الى غيرنافقال له أبوه صدقتَ وقد قبلتُ عذركَ فدونك الأمرَ فقم به وقد عرضت لى اليك حاجةٌ قال ياأبت وما عسى أن يعرِض لك الىّ قال تنظر الذين تولّوا نكسى عن السرير وأخذوا التاج عن رأسى واستخفوا بى وهم فلان وفلان وسماهم فعجِلْ قتلَهم واطلب لأبيك بثأره منهم قال كسرى هذا لايُمكن يومنا هذا حتى يقتل الله عدوّنا بهرام ويستدف لنا الامر فتنظر عند ذلك كيف أبيرهم وأنتقم لك منهم فرضى أبوه بذلك منه وخرج كسرى من عنده فجلس مجلس الملك . وبلغ بهرام ماجرى وهو بالرىّ وما كان من الأمر فغضب لهرمزد غضبا شديدا وأدركته له حَمِيّة ورِقّةٌ وذهب عنه الحقد فسار فى جنوده جادا مجدا ليقتل كسرى ومن والاه على أمره ويردّ هرمزد الى ملكه وبلغ كسرى فصوله من الرىّ وما يهم به فكتم ذلك من أبيه وسار متلقياً لبهرام فى جنوده وقدّم رجلا من ثقاته وأمره أن يأتى عسكر بهرام متنكرا فينظر سيرته ويعرف له كنه أمره فسار الرجل فاستقبل بهرام بهَمَذان فأقام فى عسكره حتى عرف جميع أمره ثم انصرف الى كسرى فأخبره أن بهرام

اذا سار كان عن يمينه مَرْدان سينه الرُوَيْدَشتى وعن يساره يَزْدجُشْنَس بن الحلبان وأن أحدا من جنوده لا يطمع نفسه فى اغتصاب أحد من الرعيّة مقدار حبة فما فوقها وانه اذا نزل المنزل دعا بكتاب كليلة ودمنة فلا يزال منكبا عليها طول نهاره فقال كسرى لخاليه بندوية و بسطام ما خفتُ بهرام قط كخوفى منه الساعة حين أُخبرت بادمانه النظر فى كتاب كليلة ودمنة لان كتاب كليلة ودمنة ينتج المرء رأيا أفضلَ من رأيه وحزما أكثر من حزمه لما فيه من الآداب والفطن . ثم ان كسرى وبهرام توافقا بالنهروان فعسكر كل واحد منهما بإزاء صاحبه فى خندق على نفسه ثم ان بهرام عقد جسرا وعبر الى كسرى ... الجانبان ... بهرام حتى دنا من صفوف كسرى ثم صاح بأعلى صوته ... العجم فى خلعكم ملككم أيها الناس توبوا الى ربكم ... وانحازوا الىّ بجماعتكم حتى نردّ السلطان على ملككم قبل أن يُنزل الله ... . فلما سمع أصحاب كسرى ذلك قال بعضهم لبعض قد ... الامر لعلى ماقال فهلموا بنا نتلافَ أمرَنا ونصلح ما كان ... مارأى فانحازوا جميعا فانضموا الى بهرام ولم يبق مع كسرى ... ية و بسطام وهرمزجرابزين والنخارجان وسابور ابن أ... كاتب الجند وباد بن فيروز وشروين بن كامجار وكُرْدى ابن بهرام ... أخو بهرام شوبين لأبيه وأمّه وكان من ثقات كسرى وأحبائه فقال هؤلاء لكسرى أيها الملك ماتفعل ألا ترى الى جميع الناس قد فارقوك وانحازوا الى عدوك فمضى نحو المدائن حتى اذا انتهى الى

قنطرة جوذرز التفت وراءه فاذا هو ببهرام وحده قد ترك الناس خلفه حتى دنا منه
ومن أصحابه فوقف له كسرى على طرف القنطرة ووتر قوسه وكان من رماة
الناس فوضع فيها نشابة وخاف أن يعمد برميته بهرام فلا يعمل السهم فيه
لجودة درعه فأراد أن يعمد وجهه فلم يأمن أن يتترس بدرقته أو يميل وجهه
عن سهمه فرمى جبهة فرسه فلم يخطئ وسط جبهته واستدار الفرس من
شدة الرمية ثم سقط وبقى بهرام راجلا فأمعن كسرى ركضا حتى دخل
المدائن [illegible] أباه ولم يعلمه ان بهرام انما يحاول ردّ الملك اليه غير
أنه قال له ان أصحابي جميعا مالوا اليه ثم قال ما الذى ترى قال أرى
لك أن [illegible] فانه سيجدك وينصرك حتى يسترجع لك ملكك
فنبل [illegible] أبيه ورجليه و[illegible] وسار نحو [illegible] أصحابه وكانوا
[illegible] قال بعضهم لبعض ان بهرام يوافي المدائن اليوم غدا فيملك
[illegible] كالم يزل ثم يكتب [illegible] الى قيصر فيرد [illegible] اليه فيقتلنا
[illegible] بملك ما دام أبرويز [illegible] فقال بندويه وبسطام خالا
[illegible] ذلك فانصرفا على [illegible] ثم أقبلا حتى دخلا قصر
[illegible] على هرمزد البيت الذى كان فيه وقد شغل الخدم بالبكا
[illegible] كسرى من عذره فألقيا عمامة فى عنقه فخنقاه حتى مات ثم
[illegible] لم يخبراه بذلك وساروا بالركض [illegible] يومهم مخافة الطلب
[illegible] حتى [illegible] مدينة هيت وانتهوا الى دير [illegible] فنزلوه فأتوهم بخبز
[illegible] الماء واكلوه وأتوهم بخلّ فمزجوه بماء وشربوا [illegible] واتكأ كسرى

على خاله بسطام فنام لشدّة ما أصابه من التعب فبيناهم كذلك اذ ناداهم الراهب من صومعته أيها النفر قد أتتكم الخيل وهم بالبُعد . وقد كان بهرام حين وافى المدائن فصادف هرمزد الملك قتيلا ازداد غيظا على كسرى وحنقا فوجّه فى طلبه بهرام بن سياوشان فى ألف فارس على الخيل العتاق فلما نظر كسرى وأصحابه الى الخيل سُقط فى أيديهم وأيسوا من أنفسهم فقال بندوية لكسرى انا أخلّصك بحيلتى غير أنى أُغرّر بنفسى قال له كسرى ياخال انك ان وقيتَنى بنفسك سلمتَ أو قُتلت فكفاك بذلك ذكرا باقيا وشرفاعاليافقد خاطر أرَسْناس بنفسه فى أمر مَنُوشِهر وأتى فراسيابَ ملكَ الاتراك وهو فى وسط جنوده فرماه بسهم فقتله وأراح زابَ الملك منه فأصاب بثأر منوشهر قتْل فبعُد صوتُه فى الناس وعظُم ذكره وقد خاطر جوذَرْز بنفسه بسبب سابور ذى الاكتاف حين قام بتدبير ملكه وضَبْط سلطانه فحسده الناس لذلك فلما أدرك سابور ملكه على جميع أموره وفوّض اليه سلطانه . قال له بندوية قم فالْقِ عنك قباءك ومنطقتك وحُلّ عنك سيفك وضع تاجك واركب فى سائر أصحابك فتبطّنوا هذا الوادى فاغذّوا فيه السير ودعونى والقومَ ففعل كسرى ماأمره وتبطّن الوادى وسار فى بقيّة أصحابه وعمد بندوية الى قباء كسرى فلبسه وتنطّق بمنطقته ووضع التاج على رأسه ثم قال للرهبان عليكم بالجبل فالحقوا به الى ان ينصرف هذا الخيل والا لم آمن ان يقتلوكم عن آخركم فتركوا الصومعة جميعا وخرجوا عن الدير وصعد بندوية فصارعلى سطح الدير وقد اغلق عليه الباب وهو لابس بِزّة كسرى فقام على رجليه

قائما حتى علم أن القوم قد رأوه جميعا ثم نزل الى الدير فخلع بزّة كسرى ولبس بزّة نفسه ثم عاد الى سطح الدير وقد حدقت به الخيل فقال ياقوم من أميركم فاني بهرام بن سياوُشان وقال انا أميرهم ماتشاء يابندوية قال ان الملك يُقرئك السلام ويقول انّا انما نزلنا آنفا وقد كللنا وتعبنا وليس عليك منّا فوت فدَعْنا على حالنا فى هذا الدير الى العشاء لنخرج اليك وننطلق معك الى بهرام فيحكم فينا بما يرى قال بهرام بن سياوشان ذلك له وعزازةً ثم نزل بندوية والقوم محدقون بالدير فلما أمسوا عادبندوية الى سطح الدير وقال لبهرام بن سياوشان ان الملك يقول لك هذا المساء وليست لنا أجنحة نطيربها وقد حدقتم بالدير فدعنا ليلتنا هذه لنستريح وامنن علينا بذلك فاذا أصبحنا خرجنا اليك ومضينا معك قال بهرام وذلك له وحبًّا وكرامةً ثم أمر أصحابه أن يكونوا فرقتين فرقة تنام وأخرى تحرس نوائبَ . فلما أصبح بندوية فتح الباب وخرج الى القوم وقال ان كسرى قد فارقنى لمنذ أمس هذا الوقت ولو كنتم على نجائب كالريح مالحقتموه وانما كان ما سمعتم منى مكيدة وحيلةً فلم يصدّقوه ودخلوا الدير ففتّشوه بيتا بيتا فسُقط فى يدى بهرام بن سياوشان ولم يدر ما يعتذر به الى بهرام شوبين فحمل بندوية وانصرف حتى دخل على بهرام شوبين وأخبره بالحيلة التى احتالها بندوية فدعا به بهرام وقال لم ترض بما كان منك من قتل الملك هرمزد حتى خلّصت الفاسق كسرى فنجا منىّ قال بندوية أما قتلى هرمزد فلست أعتذر منه اذ طغى و بغى وقتل صناديد العجم وألقى بأسهم بينهم وفرّق كلمتهم وأما حيلتى فى تخليص ابن أختي كسرى فلا لوم علىّ فى

ذلك اذ كان ولدى قال بهرام أما إنه ليس يمنعنى من تعجيل قتلك إلا ما
أرجو من ظفرى بالفاسق كسرى فأقتله وأقتلك على أثره ثم قال لبهرام بن
سياوشان احبسه عندك مقيّدًا الى أن أدعوك به ثم ان بهرام جمع اليه وجوه
المملكة فقال قد علمتم ما ارتكب كسرى من الوزر العظيم بقتل أبيه
وقد مضى هاربا فهل ترضون أن أقوم بتدبير هذا الملك حتى يُدرك شهريار
ابن هرمزد مدرك الرجال فأسلّمه اليه فرضى بذلك فريق وأباه فريق فممّن
أبى مُوسِيل الأرمنىّ وكان من عظماء المرازبة وقال لبهرام أيها الأصبهبذ ليس
لك أن تقوم بشىء من ذلك وكسرى صاحب الملك ووارثه فى الأحياء
فقال بهرام من لم يرض فليرتحل عن المدائن فانى إن صادفت بعد ثالثة أحدا
ممن لم يرض ثاويا بالمدائن ضربت عنقه فارتحل مرسيل الأرمنىّ فيمن كان
على رأيه وكانوا زهاء عشرين ألف رجل فساروا الى أذربيجان فنزلوها
ينتظرون قدوم كسرى من أرض الروم ولم يزل بندوية محتبسا عند بهرام
ابن سياوُشان فكان بهرام بن سياوُشان يُحسن اليه فى المطعم والمشرب
ليتّخذ بذلك زُلفة عنده لما ظنّ أن كسرى سينصرف ويرجع اليه الملك وكان
اذا جنّ عليه الليل أخرجه من محبسه فأجلسه معه على شرابه فقال بندوية
ذات ليلة لبهرام يا بهرامُ إن ما أنتم فيه سيضمحلّ ويذهب لظلم بهرام شوبين
واعتدائه فقال بهرام والله إنى لأعرف ما تقول وانى لأهمّ بأمر قال بندوية
وما هو قال أقتل غدا بهرام شوبين وأُريح الناس منه ليرجع الملك الى نظامه
وعنصره قال بندوية أما إذ كان رأيك فأطلقنى من قيدى وردّ علىّ دابّتى

وسلاحى ففعل ولما أصبح بهرام بن سياوشان تدرّع تحت ثيابه درعا واشتمل على السيف فأبصرت ذلك امرأته وكانت بنت أخت بهرام شوبين فاسترابت به فبعثت الى بهرام تعلمه ذلك وابتكر بهرام الى الميدان فكان لا يمرّ به أحد من أصحابه إلا ضرب جنبه بالصولجان فلم يسمع حسّ الدرع من أحد منهم حتى مرّ به بهرام بن سياوشان فضرب جنبه بالصولجان فلما سمع حسّ الدرع انتضى سيفه فضربه حتى قتله وتنادى الناس قُتل بهرام فى الميدان فظنّ بندوية أن بهرام شوبين المقتول فركب دابته ومضى نحو الميدان فلما علم أن المقتول صاحبه خرج متنكرا يسير الليل ويكمن النهار حتى أتى أذربيجان فأقام مع موسيل وأصحابه هناك ولما سار كسرى من الدير سار يوماً وليلة وتلقّاهم أعرابى فوقفوا عليه فسأله كسرى وكان يُحسن بالعربيّة شيئاً ممن هو فأخبر أنه من طيّ وان اسمه اياس بن قبيصة فقال له أين الحيّ فقال قريب قال فهل من قِرًى فقد بلغ منّا الجوع قال نعم فعدلوا معه الى الحيّ فنزلوا به وسرّحوا خيلهم ترتع وأقاموا عنده يومهم فأحسن قِراهم وزوّدهم وخرج بهم حين أمسوا يدلّهم الطريق حتى أخرجهم لثلاث بسالس من شاطئ الفرات ثم انصرف وسار كسرى حتى انتهى الى اليرموك فخرج اليه خالد بن جبلة الغسّانى فقراه ووجّه معه خيلا حتى بلغ قيصر فدخل عليه وأبثّه شأنه وماتوجّه له فيه بحيث أمّل من نصره ومعونته فقال له بطارقته أيها الملك قد علمت ما لقى من كان قبلك من آبائك من هؤلاء منذ زمان الاسكندر وكان آخر ما لقينا منهم اغتصاب جدّ هذا إيانا مدن الشاه التى لم تزل فى أيدينا إرثا من

آبائنامنذ ألف عامفردّها عليك أبوهذا حين أجلبت بخيلك ورجلك فدع القوم يشتغل بعضهم ببعض فان حرب العدوّ بعضهم بعضا فتح عظيم فقال قيصر يعظيم الأساقفة ما تقول أنت يا كبيرنا فقـال لا يحلّ لك خذلانه إذ كان مبغيا عليه والرأى أن تنصره ليكون لك سِلْما ما بقيت و بقى . قال قيصر وهل يجوز لملوك أن يُستجار بهم فلا يُجيروا فأخذ على كسرى العهود والمواثيق بالمسالمة وزوّجه ابنته مريم ثم عقد لابنه ثِيادُوس فى أبطال جنوده وفيهم عشرة رجال من الهَزَار مَرْدين وقوّاهم بالأموال والعتاد وأمرهم بالمسير معه وشيَّعهم ثلاثة أيام فسار كسرى بالجيش فأخذ على أرمينية حتى اذا صار باذربيجان انضم اليه خاله بندوية وموسيل الأرمنى ومن معـه من مرازبته ومرازبة فارس وبلغ خبره بهرام شوبين فسار جادّا بالجنود حتى وافاه باذربيجان فعسكر على فرسخ من معسكر كسرى ثم تزاحفوا ونُصب لـكسرى وثيادوس سرير من ذهب فوق راية تُشرف بهما على مجتلد القوم . ولما تواقفت الخيـلان أقبل رجل من الهزارمردين حتى دنا من كسرى فقال أرِنى هذا الذى غلبك على ملـكك فدخلت كسرى أنفة من تعييره إياه بذلك فكظمها غـير أنه أراه بهرام شوبين فقال هو صاحب الفرس الأبلق المعتجر بالعمامة الحمراء الواقف أمام أصحابه فمضى الرومى نحو بهرام شوبين فناداه أن هلمّ الى المبارزة فخرج اليه بهرام فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيف الرومى شيئاً فى بهرام لجودة درعه وضرب به بهرام على مفرق رأسه وعليه البيضة فقدّ البيضة وأفضى السيف الى صدر الرومى فقـدّه حتى وقع نصفين عن يمين وشمال وأبصر ذلك كسرى

فاستغرب ضحكا فغضب ثيادوس وقال ترى رجلا من أصحابى يُعدُّ بألف
رجل قد قُتل فتضحك كأنك مسرور بقتل الروم قال كسرى إن ضحكى لم
يكن سرورا منى بقتله غير أنه عيَّرنى بما قد سمعتَ فأحببتُ أن يعلم أن الذى
غلبنى على ملكى وهربتُ منه اليكم هذه ضربته وان القوم اقتتلوا يومين
فلما كان فى اليوم الثالث دعا بهرام كسرى الى المبارزة فهم كسرى أن يفعل
فمنعه ثيادوس وأبى كسرى فخرج الى بهرام فتطاردا ساعة ثم إن كسرى ولى
منهزماً وعارضه بهرام فاقتطعه عن أصحابه ومضى كسرى نحو جبل و بهرام فى
أثره يهتف به و بيده السيف وهو يقول الى أين يا فاسق فجمع كسرى نفسه
فساعدته القوة على تسنّم الجبل فلما نظر بهرام الى كسرى قد علا ذِروة الجبل
علم أنه قد نُصر عليه فانصرف خاسئاً وهبط كسرى من جانب آخر حتى أتى
أصحابه ثم ابتكر الفريقان على مصافهم فى اليوم الرابع فاقتتلوا فكان الظفر
لكسرى وانصرف بهرام فى جنوده منهزماً الى معسكره فقال بندوية
لكسرى أيها الملك ان الجنود الذين مع بهرام لو قد أمنوك على أنفسهم
انحازوا اليك فأذَنْ لى أن أُعطيهم الامان عنك فأذن له فلما أمسى
بندوية أقبل حتى وقف على رابية مشرفة على معسكر بهرام ثم نادى
بأعلى صوته أيها الناس! أنا بندوية بن سابور وقد أمرنى الملك كسرى
أن أُعطيكم الأمان فمن انحاز الينا منكم فى هذه الليلة فهو آمن على نفسه
وأهله وماله ثم انصرف فلما أظلم الليل على أصحاب بهرام تحملوا حتى لحقوا
بمعسكر كسرى الا مقدار أربعة آلاف رجل فانهم أقاموا مع بهرام . ولما

أصبح بهرام نظر الى معسكره خاليا قال الآن حسن الفرار فارتحل فى أصحابه الذين أقاموا معه وفيهم مرذان سينه ويزدجشنس وكانا من فرسان العجم فوجه كسرى فى طلبه سابور بن أبركان فى عشرة آلاف فارس فلحقه وعطف عليه بهرام فى أصحابه فاقتتلوا فانهزم سابور ومضى بهرام على وجهه فمر فى طريقه بقرية فنزلها ونزل هو ومردان سينه ويزدجشنس بيت عجوز فأخرجوا طعاما لهم فتعشوا وأطعموا فضلته العجوز ثم أخرجوا شرابا فقال بهرام للعجوز أما عندك شئ نشرب فيه قالت عندى قرعة صغيرة فأتتهم بها فجزوا رأسها وجعلوا يشربون فيها ثم أخرجوا نقلا وقالوا للعجوز أما عندك شئ نجعل فيه النقل فأتتهم بمنسف فألقوا فيه ذلك النقل فأمر بهرام فسقيت العجوز ثم قال لها ماعندك من الخبر أيتها العجوز قالت الخبر عندنا ان كسرى أقبل بجيش من الروم فحارب بهرام فغلبه واسترد منه ملكه قال بهرام فما قولك فى بهرام قالت جاهل أحمق يدعى الملك وليس من أهل بيت المملكة قال بهرام فمن أجل ذلك يشرب فى القرع ويتنقل من المنسف فجرى ذلك مثلا فى العجم يتمثلون به وسار بهرام حتى انتهى الى أرض قومس وبها قارن الجبلى النهاوندى وكان والى خراسان على حربها وخراجها الى قومس وجرجان وكان شيخا كبيرا قد أناف على المائة وكان على تلك الناحية من قبل كسرى أنوشروان ثم أقره هرمزد بن كسرى فلما أفضى الأمر الى بهرام عرف له قدره فى العجم وفضله فأقره مكانه فلما انتهى بهرام اليه وجه قارن ابنه فى عشرة آلاف فارس فحالوا بين بهرام و بين النفوذ فأرسل اليه بهرام ماهذا جزائى منك اذ

أقررتك على عملك فارسل اليه قارن ان ما على من حق الملك كسرى وحق آبائه أعظمُ ممّا عليّ من حقّك وكذلك عليك لو عرفتَ إذ شرّفك فكافأته أن خلعتَ طاعته وسعرت مملكةَ العجم نارا وحربا فكان قصاراك ان رجعتَ خائبا حسيرا وصرت أحدوثةً بجميع الامم فأرسل اليه بهرام ان العنز يساوى درهمين مرتين اذا كان عَناقا صغيرا واذا هرم وسقطت أسنانه لم يساو أيضا الاّ درهمين وكذلك أنت فى هرمك ونقصان عقلك فلما أتت قارن هذه الرسالة غضب وخرج فى ثلاثين ألف فارس وراجل من جنوده وتهيّأ الفريقان للحرب فلما التقوا قُتل ابن قارن فانهزم أصحابه حتى لحقوا بمدينة قُومس ومضى بهرام على خوارزم فعبر النهر ووغل فى بلاد الترك من ذلك الوجه يؤمّ خاقان ليستجير به فيُجيره ويمنع عنه وبلغ خاقان قدوم بهرام عليه فأمر طراخنته فاستقبلوه وأقبل حتى دخل على خاقان فحياه بتحية المُلك وقال انى أتيتك أيّها الملك مستجيرا بك من كسرى وأهل مملكته لتمنعنى وأصحابى فقال له خاقان الك ولاصحابك عندى الحماية والجوار والمواساة ثم ابتنى له مدينة وبنى فى وسطها قصرا فأنزله وأصحابه فيها ودوّن لهم وفرض الاعطيات فكان بهرام يدخل على خاقان كلّ يوم فيجلس منه مجلس اخوته وخاص أقاربه وكان لخاقان أخ يسمى بغاوير وكانت له نجدة وفروسية فرآه بهرام يتذرّع فى منطقه غير هائب من الملك ولا مُوقّر لمجلسه فقال ذات يوم لخاقان أيها الملك انى أرى أخاك بغاوير يتذرّع فى الكلام ولا يرعى لمجلسك ما يجب أن يُرعى لمجلس الملوك وعهدُنا بالملوك لا يتكلم اخوتهم

وأولادهم عندهم الا بما يُسألون عنه فقال خاقان ان بغاوير قد أعطى نجدة في الحروب وفروسية فهو يُدِل بذلك على انّه يتربّص بي الدوائر ويضمر لى الحسد والعداوة قال له بهرام أفتحبّ أيها الملك ان أريحك منه قال بماذا قال بقتله قال نعم ان أمكنك ذلك من وجه لا يكون علىّ فيه مَسَبّة قال بهرام سآتى من ذلك مالا يلزمك فيه عار ولا عيب فلما أصبحوا من غد أقبل بهرام فجلس عند خان مجلسه الذى كان فيه فأقبل بغاوير فجلس وجعل يتذرّع فى كلامه فقال له بهرام يا أُخىّ لِمَ لا توفى الملك حقه وتُظهر للناس هيبته واجلاله قال له بغاوير وما أنت وذاك أيها الفارسى الطريد الشريد قال له بهرام كأنك تصول بفروسية لست فيها بأكثر منى قال له بغاوير فهل لك الى مبارزتى فأعرفك نفسك قال له بهرام أما أنا فلا أحب ذلك فانى متى غلبتك لم أقتلك لمكانك من الملك قال بغاوير لكنى ان غلبتُك قتلتك فاخرج بنا الى الصحراء قال بهرام على النَصَفَة اذا قال ذلك لك قال بهرام وعلى أن لا قود علىّ ان قتلتك ولا لائمة من الملك وطراخنته قال نعم فقال خاقان مالك ولهذا الرجل المستجير بنا العائذ بجوارنا قال بغاوير أدعوه الى النصفة قال وأىُّ نَصَفة قال يَقف لى وأقف له على مائتي ذراع فأرميه ويرميني فأينا قتل صاحبه لم يكن عليه لوم ولا عقل قال له خاقان اربَعْ على نفسك لا أمَ لك قال والله ليفعلنّ أو لا فتكنّ به بين يديك قال فدونك اذاً فخرج بغاوير وبهرام فى نفر من الطراخنة الى الصحراء فوقف الطراخنة ينظرون ووقف بغاوير من بهرام على مائتى ذراع فقال بهرام للطراخنة لا تلوموني ان أنا قتلته فقد

بغى علىّ كما ترون فقالوا ليس عليك لوم فصاح بغاوير ببهرام أتبدأ أنت أم أبدأ أنا فناداه بهرام بل ابدأ أنت فارِم فأنت الباغى الظالم فوتر بغاوير قوسه ووضع فيها نشابة ثم نزع حتى أغرقها ثم أرسلها فصكت بهرام أسفل من سرّته فى وسط منطقته فنفذت المنطقة والدرع وسائر اللباس حتى انتهت الى صفاق بطنه الظاهر وأثرت فيه وبادر بهرام فانتزعها ووقف هُنَيهةً لايضرب بيده الى قوسه من شدّة ماأصابه من ألم الرمية وظنّ بغاوير بأن قد قتله فركض نحوه فصاح بهرام أن ارجع الى مكانك فقف لى كما وقفت لك فانصرف الى مكانه فوقف وأخرج بهرام قوسه فوترها وكان لايوترها سواه ثم وضع فيها نشابة ونزع حتى أغرقها ثم أرسلها فوقعت من بغاوير فى مثل الموضع الذى وقعت نشابته من بهرام فى وسط المنطقة والدرع فنفذت المنطقة والدرع وسائر اللباس ومرقت من الجانب الآخر لم يذهب شئ من ريشها ولا عقبها وسقط بغاوير ميتا وبلغ ذلك خاقان فقال لا يبعد الله غيره قد نهيته عن البغي فأبى ثم تقدم الى طراخنته وأهل بيته وقال لأعلمنَّ أحدا منكم نوى لبهرام سوءا ولا مكروها فلما خلا بهرام بخاقان شكر له ما كان منه وقال لقد أرحتنى ممن كان يتمنى موتى ليستبدّ بالملك دون ولدى ثم زاده اكراما ومنزلة وبرا وعظم قدر بهرام بأرض الترك واتخذ ميدانا على باب قصره واتخذ الجوارى والقيان والجوارح وكان من أكرم الناس على خاقان . وان كسرى عند انهزام بهرام وهربه أكرم ثيادوس ومن معه فأحسن جوائزهم وصلاتهم وسرّحهم الى بلادهم وولّى خاله بندويه دواوينه وبيوت أمواله وأنفذ أمره فى جميع المملكة

وولّى خاله بسطام أرض خراسان وقومس وجرجان وطبرستان ووجّه عماله في الآفاق ووضع عن الناس نصف الخراج ولما بلغ كسرى عظيم قدر بهرام عند خاقان وجسيم منزلته ببلاد الترك خافه أن يستجيش ويعود الى محاربته فوجه هرمزد جرابزين الى خاقان وافدا فى تجديد العهد ووجه معه بألطاف وطُرف وأمره أن يتلطف بخاقان حتى يفسد قلبه على بهرام فسار هرمزد جرابزين حتى دخل على خاقان ومعه كتاب كسرى وأوصل اليه هدايا كسرى وألطافه فقبلها خاقان وأمره بالمقام ليقضى حوائجه فكان هرمزد يدخل على خاقان مع وفود الملوك فيحييه بتحية الملك ثم انه دخل ذات يوم فرآه جالسا فقال أيها الملك انى أراك قد استصفيت بهرام وأسنيت منزلته ولم تفعل به من ذلك شيئاً الا وما كان فعل به ملكنا أكثر منه فكان جزاؤه منه ان خلعه وأراد سفك دمه وخرج على ابنه كسرى حتى نفاه عن مملكته وما أحسب قصارى أمرك منه الا الغدر ونكث العهد فأحذَره أيها الملك لا يفسد عليك ملكك فلما سمع خاقان منه ذلك غضب غضبا شديدا وقال لولا أنك وافد ورسول لمنعتك من الدخول الىّ لما استبان لى من خُرقك وعيبك بحضرتى أخى وصفيي فلا تعودنّ لمثل هذا فقال هرمزد جرابزين أما اذ كان أيها الملك هذا رأيك فيه فأسألك أن تكتم علىّ لا يبلغه ذلك فيقتلنى فقال هذا لك. فخرج هرمزد آيسا منه فاندسّ الى امرأته خاتون ومن النساء السخافةُ وكفرانُ النعم فدخل عليها ذات يوم فلم يصادف عندها أحدا يخافه فقال لها أيتها الملكة انكم قد اصطفيتم بهرام ورفعتموه فوق قدره وليس بمأمون أن يفسد

عليكم ملككم كما أفسده على هرمزد ملكنا ثم قصّ عليها ما كان منه وقال أيتها الملكة أقد أنسيت قتله عمك شاهان شاه واحتواءه على سريره وخزائنه فلم يزل يذكرها هذا وأشباهه حتى أوقع فى قلبها بغض بهرام والخوف منه على زوجها وولدها قالت ويحك وما الذى يمكننى فى أمره ومنزلته من الملك منزلته قال الرأى أن تدسى اليه من يقتله فتأمنى على زوجك وولدك فأمرت غلاما لها قد عرفته بالفتك والاقدام فقالت له انطلق الساعة حتى تدخل على بهرام وتتلطف لقتله ولا تأتينى الا بعد الفراغ منه فانطلق الغلام حتى استأذن على بهرام وفى حجزته خنجر قد ستره وكان ذلك اليوم يوم وَرْهام رُوز قالوا وقد كان المنجمون قالوا فى مولده ان منيته في ورهام روز فكان لايخرج ذلك اليوم من منزله ولا يأذن لأحد الا لثقاته وخاصته فدخل الآذن فأعلمه أن رسول الملكة يطلب الاذن فأذن له فدخل فحيا بهرام وقال ان الملكة قد وجهتنى اليك برسالة فأخلنى فقام مَن عند بهرام فخرجوا ودنا التركى منه كانه يريد أن يساره ثم استلّ الخنجر فبعجه به وخرج فركب دابته ومضى ودخل أصحاب بهرام فصادفوه يستدمى وبيده ثوب ينشف به الدم فلما رأوه بتلك الحال بهتوا وقالوا كيف لم تهتف بنا فنأخذه فقال انما كان كلما أُمر بشئ فنفذ له وقال لهم اذا جاء القدر لم يغن الحذر وقد خلفت عليكم أخى مردان سينه فأطيعوا أمره وأرسل الى خاقان يعلمه أمره فأقبل خاقان نحوه والهافصادفه قد مات فأراه فى ناوُس وهمّ بقتل خاتون فحجز عن ذلك لمكان ولده منها .

وان أصحاب بهرام تناظروا فيما بينهم فقالوا مالنا عند هؤلاء خير وما الرأى

الا الخروج عن أرضهم فانهم غدرة بالعهد كفُر للاحسان والانتقال الى بلد الديلم فانها أقرب الى بلادنا وأمكن للطلب بثأرنا من ملوكنا الذين شرّدونا فسألوا خاقان الاذن لهم فى الانصراف فأذن لهم وأحسن اليهم وقوّاهم وبذرقهم الى حدود أرضه . وكان مع بهرام أخته كُرْدية وكانت من أجمل نساء العجم وأبرعهنّ براعةً وأكملهنّ خَلقا وأفرسهن فروسيّة فخرج أصحاب بهرام وكردية امامهم على دابّة بهرام متسلّحة بسلاحه حتى انتهوا الى نهر جيحون مما يلى خوارزم فعبروا هنالك وانصرف عنهم الطراخنة وأخذ أصحاب بهرام على شاطئ النهر ثم انحطّوا الى جرجان وسلكوا طبرستان ثم لزموا ساحل البحر حتى انتهوا الى بلاد الديلم فسألوهم السُكنى معهم فى بلادهم فأجابوهم اليه وكتبوا بينهم كتابا أن لا يتأذّى أحد باحد فأقاموا آمنين واتخذوا المعايش والقرى والمزارع وأيديهم مع أيدى الديلم فى كل أمر . فلما قُتل بهرام رأى كسرى ان قد صفا له الملك فلم يكن له همّة الا الطلب بثأر أبيه هرمزد وأحبّ أن يبدأ بخاليه بندوية وبسطام ونسى أيادى بندوية عنده فمكث كسرى يكاشرهما عشر سنين وأنه خرج فى أيّام الرَّبيع كعادته يريد الجبل ليَصيف فيه فنزل حلوان وبندوية معه فأمر أن يُضرب له قبّة على الميدان لينظر الى المرازبة اذا لعبوا بالكرة فجلس على تلك القبة فرأى شيرزاد بن البهبُوذان يضرب بالكُرة ويُجيد فكان كلما ضرب فأجاد قال له كسرى زِهْ سُوار فأحصى الموكّل ذلك مائة مرة قالها فكتب له الى بندوية بأربعمائة ألف درهم لكلّ مرّة أربعة آلاف درهم فلما وصل

الصكّ الى بندوية قذفه من يده وقال ان بيوت الاموال لاتقوم لهذا التبذير
وبلغ كسرى قوله فجعل ذلك ذريعةً الى الوثوب به فأمر صاحب حرسه أن
يأتيه فيقطع يديه ورجليه فأقبل صاحب الحرس لينُفذ فيه أمر كسرى فاستقبله
بندوية يريد الميدان فأمر به فنكّس عن دابّته وقطع يديه ورجليه وتركه
متشحّطا فى دمه بمكانه فجعل بندوية يشتم كسرى ويشتم أباه ويذكر غدر
آل ساسان ونكثهم ويقال كلّ ذلك لكسرى فقال لمن حوله من وزرائه
يزعم بندوية أن آل ساسان غَدَرَةٌ نَكَثَةٌ وينسى نفسه فى غَدره بالملك
أبينا حين دخل عليه مع أخيه بسطام فألقيا العمامة فى عنقه ثمّ خنقاه بها ظلما
وعدوًا ليتقرّبا بذلك الىّ كأنه ليس لى بوالد ثم ركب الى الميدان فمر
ببندوية وهو ملقى على قارعة الطريق فأمر الناس أن يرجموه بالحجارة فرجموه
حتى مات وقال هذه حتى تأتى أختُها يعنى ما أراد من الحاق بسطام بأخيه
بندوية ثم أمر كاتب السرّ أن يكتب الى بسطام ليُخلّف على عمله ثقةً ويقدم
متَخفّفا ليناظره فى بعض الأمر ففعل بسطام ذلك وأقبل على البريد فلما
انتهى الى حدّ قومس استقبله مردَان بَهْ قهرمان أخيه بندوية فلما نظر اليه
من بعيد رفع صوته بالبكاء والعويل فقال له بسطام ما وراءك فأخبره بمقتل
أخيه فلم يجد مذهبا فى الارض فعدَل الى من بالديلم من أصحاب بهرام وبلغ
مردان سينه رئيس أصحاب بهرام قدوم بسطام عليه ففرح بذلك وخرج
متلقّيا له فى جميع أصحابه لشرف بسطام فى العجم وفضله ثم أقبلوا به حتى
أنزلوه منزلا بهيا وركب اليه أشراف تلك البلاد فأقام عندهم آمنا ثم ان

مردان سينه ويزدجشنس والعظماء قالوا لبسطام ما بال كسرى أحقّ بالملك منك وأنت ابن سابور بن خُرّبُنداد من صميم ولد بهمن بن اسفندياذ وانكم لاخوة بنى ساسان وشركاؤهم فى الملك فهلمّ نُبايعك ونزوّجك كُرْديّه أخت بهرام ومعنا سرير ذهب قد كان بهرام حمله من المدائن فاجلس عليه وادعُ لنفسك فان أهل بيتك من ولد دارا بن بهمن سينحلبون اليك واذا قويت شوكتك وكثر جنودك سرتَ الى الغادر كسرى فحاربته وحاولت ملكه فان نلتَ ما تريد فذاك الذى نحبّ وتحبّ وان قُتلتَ قتلت وأنت تحاول ملكا وأن ذلك أبعدُ لصوتك وأنبه لذكرك فلما سمع بسطام ذلك أصغى اليه وأجابهم الى ما عرضوا عليه فزوّجوه كُرديّة وأجلسوه على سرير الذهب وعقدوا على رأسه التاج وبايعوه عن آخرهم ودعوه مَلِكا وتابعه أشراف البلاد وانحلب اليه جيلان والببر والطيلسان وقوم كثير من أهل بيته من ناحية العراق ممن كان يهواه ويهوى أخاه حتى صار فى مائة ألف رجل فخرج الى الدَسْتَبى وأقام بها وبثّ السرايا فى أرض الجبل حتى بلغوا حُلوان والصَيْمرة وما سَبَذان وهرب عمّال كسرى وتحصّن الدهاقين فى الحصون ورؤس الجبال وبلغ ذلك كسرى فسُقط فى يده وعلم أنه لم يأخذ وجه الامر فى قتله بندوية فأخذ الامر من قِبَل الخديعة فكتب الى بسطام انه قد بلغنى مصيرك الى الغَدَرة الفَسَقة أصحاب الفاسق بهرام وتزيينهم لك مالايليق بك ثم حملوك على الخروج على المملكة والعيث فيها والفساد من غير ان تعلم ماأنوى لك وما أنطوى عليه فى بابك فدع التمادى فى الغي وأقبل

الىّ آمنا ولا يوحشنك قتل أخيك بندوية فأجابه بسطام ان قد أتانى كتابك بما خبرتَ به من خديعتك وسطرت من مكيدتك فمت بغيظك وذُق وبال أمرك واعلم انك لستَ بأحقّ بهذا الامر منى بل أنا أحق به منك لأنى ابن دارا بن دارا مقارع الاسكندر غير انكم يابنى ساسان غلبتمونا على حقنا وظلمتمونا وانما كان أبوكم ساسان راعى غنم ولو علم أبوه بهمن فيه خيرا مازوَى عنه الملك الى أخته خُمانى فلما ورد كتابه على كسرى علم ألاّ طمع فيه فوجّه اليه ثلاثة قوّاد فى ثلاثة عساكر كل عسكر اثنا عشر ألف رجل فنفذ العسكر الأول وعليه سابور بن ابركان ثم أردفه بالعسكر الثانى وعليه النُّخارجان ثم أردفهما بالثالث وعليه هرمزدجُرابزين فلما اتصل ببسطام فصول العساكر نحوه سار حتى أتى هَمَذان فأقام بها ووجّه الرجّالة الى روس العقاب ليمنعوا الناس من الصعود والنفوذ قال فأقامت العساكر دون الجبل بمكان يدعى قَلُوص وكتبوا الى كسرى يُعلمونه ذلك فخرج كسرى بنفسه فى خمسين ألف فارس حتى وافى جنوده وهم معسكرون بقلوص فأقام عندهم ريثما أراح ثم سار على رستاق يسمَّى شَرَّاه فنفذ منه الى همذان فى طريق لا جبل فيه ولا عقبة حتى أفضى الى بطن همذان فعسكر هناك وخندق على نفسه وسار اليه بسطام فى جنوده فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام لا ينهزم أحد من الفريقين عن صاحبه فلما رأى كسرى ذلك قال لكُردى بن بهرام جشنس أخى بهرام شوبين لأبيه وأمه وكان من أنصح المرازبة لكسرى وأشدّهم له ودّا وأسرعهم فى طاعته

نهوضا فقال قد ترى ما نحن فيه من شدّة هذه الحروب وانى قد رجوت الراحة مما نحن فيه بياب لطيف قال وما هو أيها الملك قال ان أختك كردية امرأة بسطام متشوّقة لا محالة الى الرجوع الى أهلها ووطنها وأنا أعلم أنها ان آثرَت قتلَ بسطام قدرت لطُمَأْ نينته اليها ولما بلغنى من صرامتها واقدامها وان هى قتلته فلها علىّ ذمة الله أن أتزوّجها وأجعلها سيدة نسائى وأجعل الملك من بعدى لولد ان كان لى منها وأنا كاتب ذلك بخطى فارسلْ اليها حتى تعرض ذلك عليها وتنظر ما عندها فيه قال له كردى أيها الملك فاكتب لها بخطك ما تطمئنّ اليه وتعرف صدق قولك فيه لأوجّه اليها بالكتاب مع امرأتى فاني لا أثِق بسواها فى كتمان السر فكتب لها كسرى بذلك وأكّد فأخذ كردى الكتاب ووجّه مع امرأته الى كردية وقد كان بسطام خرج بها معه لشدة وجده بها فلما قرأت كردية كتاب كسرى عرفت وثاقته فأفضت بسرّها الى ظؤرتها وثقاتها فزيّنّ لها ذلك لتشوّفهنّ الى أوطانهن ولم يُنكر بسطام بمجىء المرأة الى كردية لما عرف من إلف النساء وتزاورهنّ وان بسطام انصرف ذات عشاء الى مضربه الذى فيه كردية تَعِبًا قد مسه الكلال لشدّة الحرب فدعا بطعام فنال منه ثم دعا بشرابه فجعلت كردية تسقيه صرفا حتى غلبه السكر فنام فقامت الى سيفه فوضعت ظُبَته فى ثَندُوته وتحاملت عليه حتى خرج من ظهره ثم خرجت من ساعتها فتحملت فى حشمها وظؤرتها وقد كان أخوها كردى وقف لها على الطريق في خيل فلما انتهت اليه انطلق بها فأنزلها فى رحله . ولما أصبح أصحاب بسطام ووجدوه قتيلا ارتحلوا

هاربين نحو بلاد الديلم فوجّه كسرى سابور بن أبركان فى عشرة آلاف فارس
وأمره أن يُقيم بقزوين فتكون مَسلحة هناك وتمنع من أراد النفوذ من أرض
الديلم الى مملكته ثم تزوّج كردية وضمها اليه وانصرف الى المدائن ونزلت
كردية من قلبه بموضع محبّة شديدة وشكر لها ما كان منها وزاح عن كسرى
ما كان يجد فى نفسه من الغضاضة بانتقامه من قتلة أبيه واطمأن له ملكه
وهدأ واستقرّ .

(حروب ابرويز مع الروم)

قالوا ثم ان ابن قيصر ملك الروم قدم على كسرى ابرويز فأخبره أن
بطارقة الروم وعظماءها وثبوا على أبيه قيصر وأخيه ثِيادُوس بن قيصر فقتلوهما
جميعا وملّكوا عليهم رجلا من قومهم يسمى كُوكَسان وذكره بلاء أبيه وأخيه
عنده فغضب ابرويز له ووجّه معه ثلاثة قوّاد أحدهم شاهين فى أربعة وعشرين
ألف رجل فوغل فى أرض الروم وبثّ فيها الغارات حتى انتهي الى خليج
القسطنطينية فعسكر هناك والقائد الآخر بُوذ فسار نحو أرض مصر فأغار
وعاث وأفسد حتى انتهي الى الاسكندرية فافتتحها عنوة وسار الى البيعة
العظمى التى بالاسكندرية فأخذ أسقفها فعذّبه حتى دلّه على الخشبة التى تزعم
النصارى أن المسيح صُلب عليها وكانت مدفونة فى موضع قد زُرع فوقها
الرياحين والقائد الثالث شهريار فسار حتى أتى الشام فقتل أهلها قتلا ذريعا
حتى أخذها كلها عنوة فلما رأى عظماء الروم ما حلّ بهم من كسرى اجتمعوا
فقتلوا الرجل الذي كانوا ملّكوه وقالوا ان مثل هذا لا يصلح للملك وملّكوا

عليهم ابن عمّ لقيصر المقتول يسمى هرَقْل وهو الذي بنى مدينة هِرَقْلة فكانت هذه الغلبة التي ذكرها الله تعالى فى كتابه . وان هرقل الذي ملّكته الروم استجاش أهل مملكته وسار الى القائد الذي كان معسكرا على الخليج فحاربه حتى أخرجه من أرض الروم ثم صمد للذي كان بأرض مصر فطرده عنها ثم عطف على شهريار فأخرجه عن الشام فوافت العساكر كلها الجزيرة وسار هرقل نحوهم فواقعهم فهزمهم حتى بلغ بهم الموصل وذلك بلغ كسرى فخرج فى جنوده نحو الموصل وانضم اليه قوّاده الثلاثة وسار نحو هرقل فاقتتلوا فانهزم الفرس فلما رأى ذلك كسرى غضب على عظماء جنوده ومرازبته فأمر بهم فحبسوا ليقتلهم

(خلع ابرويز وملك ابنه شيرويه)

ولما رأى أهل المملكة ذلك تراسلوا وعزموا على خلع كسرى وتمليك ابنه شيرويه بن كسرى فخلعوه وملّكوا شيرويه وحبسوا كسري فى بيت من بيوت القصر ووكّلوا به جيلوس رئيس المستميتة وكان ذلك سنة تسع من هجرة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وان شيرويه أمر أن يُنقل بأبيه من دار المملكة فيحبس فى دار رجل من المرازبة يسمى هَرْسَفْته فقُنّع رأسه وحمل على برذون فانطُلق به الى تلك الدار فحُبس فيها ووُكل به جيلوس فى خمسمائة من الجند المستميتة ثم ان عظماء أهل المملكة دخلوا على شيرويه وقالوا انه لا يصلُح أن يكون علينا ملكان اثنان فاما أن تأمر بقتل أبيك وتنفرد بالأمر أو نخلعك ونردّ الأمر اليه كما كان فهدّت شيرويه هذه المقالة فقال أجّلونى يومى هذا

(مراسلة بين ابرويز وشيرويه)

ثم أمر يزدان جشنس رئيس كتّاب الرسائل فقال له انطلق عن رسالتنا الى أبينا وقل له ان الذى حلّ بك عقوبة من الله للذى سلف من سوء أعمالك أول ذلك ما كان منك الى أبيك هرمزد ومنها حَظْرك علينا معاشر أولادك ومنعك ايّانا البراح وحبسك ايّانا فى دار كهيئة المحبس بلا رقّة ولا رحمة ومنها كُفرانك انعام قيصر عليك وأياديه عندك فلم تحفظ فيه ابنه وأقاربه حتى أتوك يسألونك ان ترد عليهم خشبة الصليب التى بعث بها اليك شاهين من الاسكندرية فرددتهم عنها بلا حاجة منك اليها ولا دركَ لك فى حبسها ومنها ما أمرت به من قتل الثلاثين ألف رجل من مرازبتك وعظماء أساورتك بزعمك أنهم أول من انهزم عن الروم ومنها كثرة ما جمعتَ من الاموال وكنزتها فى خزائنك من جبايتكها عن الخراج بأعنف العُنْف وانما ينبغى للملوك أن يملؤا خزائنهم مما يغنمون من بلاد أعدائهم بنحور الخيل وصدور الرماح لا مما يسألونه من رعيتهم ومنها قتلك النعمان بن المنذر وصرفك ملكَ أرضه عن ولده وأهل بيته الى غيرهم يعنى اياس بن قبيصة الطائي فلم تحفظ فيهم ما كان يحفظه آباؤك من حضانته بهرام جور جدّك ومعونته بعد أن خرج الملك عنه حتى ردّه عليه فكل هذه ذنوب ارتكبتها وآثام اقترفتها لم يكن الله ليرضى منك فأخذك بها . فانطلق يزدان جشنس فأبلغ كسرى رسالة شيرويه لم يخرم منها حرفا فقال له كسرى قد أبلغتَ فأدّ الجواب كما أدّيت الرسالة قل لشيرويه القصير العُمر القليل الغُمر الناقص العقل نحن مجيبوك عن جميع

ما أرسلتَ به الينا من غير اعتذار لتزداد علما بجهلك أما رضانا بما ارتُكب من أبينا فانى ما اطلعتُ على ما دبّر القوم من الوثوب به وقد علمتَ لمّا استوطدَ لى السلطان أنى لم أدع أحدا مالأ على خلعه وأجلب عليه بارتكاب حقه الا قتلته وختمتُ ذلك بخالىّ بندوية و بسطام مع ما كان من قيامهما بأمرى وأما حظرى عليكم معاشر أبنائنا فانى فرّغتكم لتعلم الأدب ومنعتكم من الانتشار فيما لا يعنيكم ولم أقصّر فى مطاعمكم مع ذلك ومصارفكم وملابسكم وطيبكم ومراكبكم وأما أنت خاصةً فان المنجّمين قضوا فى مولدك بتثريب ملكنا وفَسْخ سلطاننا على يدك فلم نأمر بقتلك ومع ذلك كتاب قرميسيا ملك الهند الينا يُعلمنا ان فى انقضاء سنة ثمان وثلاثين من ملكنا يُفضى اليك هذا الأمر فكتمنا ذلك الكتاب عنك مع علمنا أنه لا يفضى اليك الا بهلا كنا وذلك الكتاب مع قضية مولدك عند شيرين صاحبتنا فان أردتَ فدونك فاقرأهما لتزداد حسرة وثبورا وأما ما ذكرتَ من كفرانى نعمة قيصر بمنعى ولده وأهل بيته خشبَ الصليب فأيها المائق ان أكثرَ من ذلك الخشب ثلاثون ألف ألف درهم فرّقتها فى رجال الروم الذين قدموا معى وألف ألف درهم هدايا وجّهتها الى قيصر ومثل ذلك وصلتُ ابنه ثيادُوس عند رجوعه الى مملكته أفكنتُ أجودلهم بخمسين ألف ألف درهم وأبخل بخشبة لا تساوى شيئاً انما احتبستها لأرتهن بها طاعتهم ولينقادوا لى فى جميع ما أريده منهم لعظيم قدر الخشبة عندهم وأما غضبى لقيصر وطلبى بثأره فقد قتلت به من الروم ما لم يُحصَ عدده وأما قولك فى أولئك المرازبة ورؤساء الأساورة الذين

هممت بقتلهم فان أولئك اصطنعتهم ثلاثين سنة وأسنيت أعطياتهم وأعظمت حُبُوَتهم فلم أحتج اليهم فى طول دهرى إلا ذلك اليوم الذى فشلوا فيه وخاموا فسلْ أيها الأخرق فقهاء هذه الملة عمن قصّر فى نُصرة ملكه وخام عن محاربة عدوّه فسيُخبر ونك انهم لا يستوجبون العفو ولا الرحمة فأما ما عنّفتنى به من جمع الاموال فان هذا الخراج لم يكن منى بدعة ولم يزل الملوك يجبونه قبلى ليكون قوّة للملك وظهرا للسلطان فان ملكا من ملوك الهند كتب الى جدى أنوشروان ان مملكتك شبيهة بباغ عامر عليه حائط وثيق و باب منيع فاذا انهدم ذلك الحائط أو تكسرت الأبواب لم يؤمن أن ترعى فيه الحمير والبقر وانما عنى بالحائط الجنود و بأبوابه لأموال فاحتفظ أيها السخيف العقل بتلك الأموال فانها حصنٌ للملك وقوامٌ للسلطان وظهيرٌ على الأعداء ومفخرة عند الملوك وأما مازعمتَ من قتلى النعمان بن المنذر وازالتى الملك عن آل عمرو بن عدىّ الى اياس بن قبيصة فان النعمان وأهل بيته واطؤا العرب وأعلموهم توكفهم خروج الملك عنّا اليهم وقد كانت وقعت اليهم فى ذلك كتبٌ فقتلته ووليت الأمر اعرابيا لا يعقل من ذلك شيئاً انطلقْ الى شيرويه فأخبره بذلك كله فأبلغه يزدان جشنس لم يخرم منه شيئاً فعلت شيرويه كآبةٌ ولما كان من الغد اجتمع عظماء أهل المملكة فدخلوا على شيرويه كما فعلوا بالأمس فخاف على نفسه فجعل يرسل الرجل بعد الرجل من مرازبته لقتل أبيه فلا يقدم عليه أحد حتى بعث بشابّ منهم يسمى يزدك بن مردان شاه مرزبان بابل وخُطَرْنِيَة فلما دخل عليه قال من أنت قال أنا ابن مردان شاه مرزبان بابل وخطرنية

قال له كسرى أنت لعمرى صاحبى وذلك انى قتلت أباك ظلما فضربه الغلام حتى قتله وانصرف الى شيرويه فأخبره فلطم شيرويه وجهه ونتف شعره وحبسه وانطلق فى عظماء أهل المملكة حتى استودعه الناوس ثم انصرف وأمر فقتل الغلام الذى قتل أباه . وفى ذلك العام الذى ملك فيه شيرويه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه . ثم ان شيرويه لما ملك عمد الى اخوته وكانوا خمسة عشر رجلا فضرب أعناقهم مخافة أن يفسدوا عليه ملكه فسلطت عليه الامراض والأسقام حتى مات وكان ملكه ثمانية أشهر

(ملك شيرزاد بن شيرويه)

فملّكت فارس عليها بعده ابنه شيرزاد بن شيرويه وكان طفلا ووكلوا به رجلا يحضنه ويقوم بتدبير الملك الى أن أدرك . ولما بلغ شهريار وهو مقيم فى وجه الروم مقتل كسرى أقبل فى جنوده حتى ورد المدائن وقد مات شيرويه وملك ابنه شيرزاد

(ملك شهريار)

فاغتصب الامر ودخل المدائن فقتل كلّ من مالأ على قتل كسرى وخلعه وقتل شيرزاد وحاضنه وتولى أمر الملك ودعا نفسه ملكا وذلك فى العام الثانى عشر من التاريخ .

(ملك جوان شير)

فلما تمّ لملك شهريار حول أنف عظماء أهل المملكة من أن يلى ملكهم

من ليس من أهل بيت المملكة فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا عليهم جُوَان شير بن كسرى وكان طفلا وأمه كرديّة أخت بهرام شوبين فملك حولا ثم مات .

(ملك بوران)

فملكوا عليهم بوران بنت كسرى وذلك أن شيرويه لم يدع من أخوته أحدا الا قتله خلا جوان شير فانه كان طفلا فعند ذلك وَهَى سلطان فارس وضعف أمرهم وفُلَّتْ شوكتهم

(ابتداء حرب العرب مع العجم)

قالوا فلما أفضى الملك الى بوران بنت كسرى بن هرمز شاع فى أطراف الارضين أنه لا ملك لأرض فارس وانما يلوذون بباب امرأة فخرج رجلان من بكر بن وائل يقال لاحدهما المثنى بن حارثة الشيبانىّ والآخر سُوَيد بن قطبة العجلىّ فاقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم فكانا يُغيران على الدهاقين فيأخذان ماقدرا عليه فاذا طُلبا أمعنا فى البرّ فلا يتبعهما أحد وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة وسويد من ناحية الأُبُلَة وذلك فى خلافة أبى بكر فكتب المثنى بن حارثة الى أبى بكر رضى الله عنه يُعلمه ضراوته بفارس ويُعرّفه وَهنهم ويسأله أن يُمدّه بجيش فلما انتهى كتابه الى أبى بكر رضى الله عنه كتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وقد كان فرغ من أهل الردّة أن يسير الى الحيرة فيحارب فارس ويضمّ اليه المثنى ومن معه وكره المثنى ورود خالد عليه وكان ظنّ ان أبا بكر سيولّيه الامر فسار خالد والمثنى باصحابهما حتى أناخا

على الحيرة وتحصن أهلها فى القصور الثلاثة ثم نزل عمرو بن بقيلة وحديثه مع خالد وانه وجد معه شيئا من البيش فاستفه على اسم الله ولم يضره ذلك معروف ثم صالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها فى كل عام الى المسلمين ثم ورد كتاب أبى بكر على خالد مع عبد الرحمن بن جميل الجمحى يأمره بالشخوص الى الشام ليمد أبا عبيدة بن الجراح بمن معه من المسلمين فمضى وخلف بالحيرة عمرو بن حزم الانصارى مع المثنى وسار على الانبار وانحط على عين التمر وكان بها مسلحة لاهل فارس فرمى رجل منهم عمرو بن زياد بن حذيفة بن هشام بن المغيرة بنشابة فقتله ودفن هناك وحاصر خالد أهل عين التمر حتى استنزلهم بغير أمان فضرب أعناقهم وسبى ذراريهم ومن ذلك السبى أبو محمد بن سيرين وحمران بن أبان مولى عثمان ابن عفان وقتل فيها خالد خفيرا كان بها من العرب يسمى هلال بن عقبة وصلبه وكان من النمر بن قاسط ومر بحى من بنى تغلب والنمر فأغار عليهم فقتل وغنم حتى انتهى الى الشام

(الفتوح فى عهد سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه)

ولم يزل عمرو بن حزم والمثنى بن حارثة يتطرفان أرض السواد ويغيران فيها حتى توفى أبى بكر رضى الله عنه وولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت ولاية عمر سنة ثلاث عشرة ثم ان عمر رضى الله عنه عزم على توجيه خيل الى العراق فدعا أبا عبيد بن مسعود وهو أبو المختار بن أبى عبيد الثقفى فعقد له على خمسة آلاف رجل وأمره بالمسير الى العراق وكتب الى المثنى

ابن حارثة ان ينضم بمن معه اليه و وجّه مع أبي عبيد سَليط بن قيس من بني النجار الانصاري وقال لابي عبيد قد بعثت معك رجلا هو أفضل منك اسلاما فاقبل مَشورته وقال لسليط لولا انك رجل عجل في الحرب لوليتك هذا الجيش والحرب لايصلح لها الا الرجل المكيث فسار أبو عبيد نحو الحيرة لايمرّ بحيّ من أحياء العرب الا استنفرهم فتبعه منهم طوائف حتى انتهى الى قُسّ الناطِف فاستقبله المثنى فيمن معه و بلغ العجم اقبال أبي عبيد فوجّهوا حردان شاه الحاجب في أربعة آلاف فارس فأمر أبو عبيد بالجسْر فعُقد ليعبر اليهم فقال له المثنى أيها الامير لاتقطع هذه اللّجة فتجعل نفسك ومن معك غرضا لأهل فارس فقال له أبو عبيد جبنتَ يا أخا بكر وعبر اليهم بمن معه من الناس وولى أبا مِحْجَن الثقفيّ الخيل وكان ابن عمه ووقف هو في القلب وزحف اليهم الفرس فاقتتلوا فكان أبو عبيد أول قتيل فأخذ الراية أخوه الحَكم فقُتِل ثم أخذها قيس بن حبيب أخو أبي محجن فقُتل وقُتل سليط ابن قيس الانصاري في نفر من الأنصار كانوا معه فأخذ المثنّى الراية وانهزم المسلمون فقال المثنّى لعُرْوة بن زيد الخيل الطائي انطلق الى الجسر فقف عليه وحُل بين العجم و بينه وجعل المثنى يقاتل من وراء الناس ويحميهم حتى عبروا ويوم جسر أبي عبيد معروف وسار المثنى بالمسلمين حتى بلغ الثعلبية فنزل وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عروة بن زيد الخيل فبكى عمر وقال لعروة ارجع الى أصحابك فمُرهم أن يقيموا بمكانهم الذي هم فيه فان المدد وارد عليهم سريعا وكانت هذه الوقعة في شهر رمضان يوم السبت سنة

ثلاث عشرة من التاريخ ثم ان عمر بن الخطاب استنفر الناس الى العراق فخفوا فى الخروج ووجّه فى القبائل يستجيش فقدم عليه مِخْنَفُ بن سُلَيم الازدى فى سبعمائة رجل من قومه وقدم عليه الحُصَين بن مَعْبَد بن زُرارة فى جمع من بنى تميم زهاء ألف رجل وقدم عليه عَدِىّ بن حاتم فى جمع من طيئ وقدم عليه المُنذر بن حسّان فى جمع من ضَبّة وقدم عليه أنَس بن هلال فى جمع من النمر بن قاسط فلما كثر عند عمر الناس عقد لجرير بن عبدالله البَجَلى عليهم فسار جرير بالناس حتى وافى الثعلبية فضمّ اليه المثنى فيمن كان معه وسار نحو الحيرة فعسكر بدَير هند ثم بثّ الخيل فى أرض السواد تُغير وتحصّن منه الدهاقين واجتمع عظماء فارس الى بُوران فأمرت أن يُتخيَّر اثنا عشر ألف رجل من أبطال الأساورة وولّت عليهم مِهران بن مهروية الهمذانى فسار بالجيش حتى وافى الحيرة وزحف الفريقان بعضهم لبعض ولهم زجل كزجل الرعد وحمل المثنى فى أول الناس وكان فى ميمنة جرير وحملوا معه وثار العجاج وحمل جرير بسائر الناس من الميسرة والقلب وصدقتهم العجم القتال فجال المسلمون جولة فقبض المثنّى على لحيته وجعل ينتف ما تبعه منها من الأسف ونادى أيها الناس إلىّ إلىّ أنا المثنى فثاب المسلمون فحمل بالناس ثانية والى جانبه مسعود بن حارثة أخوه وكان من فرسان العرب فقُتل مسعود فنادى المثنى يا معشر المسلمين هكذا مصرع خياركم ارفعوا راياتكم وحضّ عدى بن حاتم أهل الميسرة وحرّض جرير أهل القلب وذمّرهم وقال لهم يامعشر بجيلة لا يكونن أحد أسرع الى هذا العدوّ منكم فان لكم فى هذه البلاد إن فتحها

الله عليكم حُظوة ليست لأحد من العرب فقاتلوهم التماس إحدى الحُسْنَيين فتداعى المسلمون وتحاضّوا وثاب من كان انهزم ووقف الناس تحت راياتهم ثم زحفوا فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها وباشر مهران الحرب بنفسه وقاتل قتالا شديدا وكان من أبطال العجم فقُتل مهران وذكروا ان المثنى قتله فانهزمت العجم لما رأوا مهران صريعاً واتبعهم المسلمون وعبد الله ابن سُليم الأزدى يقدُمهم واتّبعه عروة بن زيد الخيل فصار المسلمون الى الجسر وقد جازه بعض العجم و بقى بعض فصار من بقى منهم في أيدى المسلمين ومضت العجم حتى لحقوا بالمدائن وانصرف المسلمون الى معسكرهم فقال عروة بن زيد الخيل فى ذلك

هاجَتْ لعُرْوة دارُ الحىّ أحزانا ... واستبدلَتْ بعدعبدِالقيسِ هَمْدَانا

وقد أرانا بهـا والشملُ مجتمعٌ ... إذ بالنُّخيلة قَتْلَى جُنْـدُ مِهرانا

أيامَ سار المثنىّ بالجنـود لهم ... فقتَّل القومَ من رَجْلٍ ورُكبانا

سَما لأجناد مِهرانٍ وشِيعته ... حتى أبادَهمُ مَثْـنى ووُحدانا

ما إن رأينا أميرًا بالعراق مَضى ... مثلَ المثنىّ الذى من آلِ شَيْبانا

إنّ المثنىّ الأميرُ القَرْمُ لا كذِبٌ ... فى الحرْب أشجعُ من ليثٍ بخَفَّانا

قالوا ولما أهلك الله مهران ومن كان معه من عظماء العجم استمكن المسلمون من الغارة فى السواد وانتقضت مسالح الفُرس وتشتّت أمرهم واجترأ المسلمون عليهم وشنُّوا الغارات مابين سُورَا و كَسْـكَر والصَّراة الى الفَلاليج والاستانات فقال أهل الحيرة للمثنىّ إن بالقرب منا قريةً فيهـا سوق عظيم تقوم فى كل

شهر مرّة فتأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد فان قدرت على الغارة على تلك السوق أصبت أموالا رغيبة يعنون سوق بغداد وكانت قرية تقوم بها سوق فى كل شهر فأخذ المثنى على البرّ حتى أتى الأنبار فتحصن منه أهلها فأرسل الى بسفرّوخ مرزبانها ليسير اليه فيكلمه بما يريد وجعل له الأمان فأقبل المرزبان حتى عبر اليه فخلا به المثنّى وقال انى أُريد أن أغير على سوق بغداد فأريد أن تبعث معى أدلاّء فيدلّونى على الطريق وتُسوّى لى الجسر لأعبر الفرات ففعل المرزبان ذلك وقد كان قطع الجسر لئلا تعبر العرب اليه فعبر المثنّى مع أصحابه و بعث المرزبان معه الأدلاّء فسار حتى وافى السوق ضحوةً فهرب الناس وتركوا أموالهم فملؤا أيديهم من الذهب والفضة وسائر الأمتعة ثم رجع الى الأنبار ووافى معسكره ولما بلغ سُوَيد بن قُطبة العجلى أمر المثنّى بن حارثة وما نال من الظفر يوم مهران كتب الى عمر بن الخطاب يُعلمه وهنَ الناحية التى هو بها و يسأله أن يمدّه بجيش فندَب عمر بن الخطاب لذلك الوجه عُتبة بن غَزْوان المازنى وكان حليفا لبني نوفل بن عبد مَناف وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمّ اليه ألفى رجل من المسلمين وكتب الى سوَيد بن قطبة يأمره بالانضمام اليه فلما سار عتبة شيّعه عمر رضى الله عنه فقال يا عتبة إن إخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها وعبرت خيلهم الفرات حتى وطئت بابل مدينة هاروت وماروت ومنازل الجبارين وإن خيلهم اليوم لتُغير حتى تُشارف المدائن وقد بعثتك فى هذا الجيش فاقصد قصدَ أهل الاهواز فاشغَلْ أهل تلك الناحية أن يمدّوا

أصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقاتلهم مما يلى الأُبلّة فسار
عتبة بن غزوان حتى أتى مكان البصرة اليوم ولم تكن هناك يومئذ إلا الخُرَيبة
وكانت منازل خربة وبها مسالح لكسرى تمنع العرب من العيث فى تلك
الناحية فنزلها عتبة بن غزوان بأصحابه فى الاخبية والقباب ثم سار حتى نزل
موضع البصرة وهى اذ ذاك حجارة سود وحصًى وبذلك سميت البصرة ثم
سار حتى أتى الأبلّة فافتتحها عنوة وكتب الي عمر رضى الله عنه أما بعد فان
الله وله الحمد فتح علينا الأبلّة وهى مَرْفَى سفن البحر من عُمان والبحرين
وفارس والهند والصين وأغنَمنا ذهبهم وفضتهم وذراريّهم وأنا كاتب اليك
ببيان ذلك إن شاء الله وبعث بالكتاب مع نافع بن الحرث بن كلَدَة الثقفى
فلما قدم على عمر رضى الله عنه تباشر المسلمون بذلك فلما أراد نافع الانصراف
قال لعمر يا أمير المؤمنين انى قد افتليتُ فِلاءً بالبصرة واتخذت بها تجارة
فاكتب الى عتبة بن غزوان أن يُحسن جوارى فكتب عمر بن الخطاب
رضى الله عنه الى عتبة أما بعد فان نافع بن الحرث ذكر أنه قد افتلى فِلاءً
وأحبّ أن يتخذ بالبصرة دارا فاحسنْ جواره واعرفْ له حقه والسلام فخط
له عتبة بالبصرة خطّة فكان نافع أول من خطّ خطّة بالبصرة وأول من افتلى
بها الافلاء وارتبط بها رِباطاً ثم ان عتبة سار الى المَذار وأظهره الله عليهم ووقع
مرزبانها فى يده فضرب عنقه وأخذ بِزّته وفى منطقته الزمرد والياقوت وأرسل
بذلك الى عمر رضى الله عنه وكتب اليه بالفتح فتباشر الناس بذلك وأكبّوا
على الرسول يسألونه عن أمر البصرة فقال ان المسلمين يهيلون بها الذهب

والفضة هيلا فرغب الناس اليها فى الخروج حتى كثروا بها وقوى أمرهم فخرج عتبة بهم الى فرات البصرة فافتتحها ثم سار الى دَستِ مَيسان فافتتحها بعد أن خرج اليه مرزبانها بجنوده فالتقوا فقُتِل المرزبان وانهزمت العجم فدخل مدينتها لا يمنعه شيء فخلف بها رجلا وسار الى أبرقباذ فافتتحها ثم انصرف الى مكانه من البصرة وكتب الى عمر رضى الله عنه بما فتح الله عليه من هذه المدن والبلدان و بعث بالكتاب مع أنس بن الشيخ بن النعمان فاختلفت القبائل اليها حتى كثروا بها ثم ان عتبة استأذن عمر فى القدوم عليه فأذن له فاستخلف المغيرة بن شعبة ثم خطب الناس حين أراد الخروج خطبة طويلة قال فيها أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وفي أعين الناس صغيرا وأنا سائر ولا قوة إلا بالله وستُجرّبون الأمراء بعدى فتعرفون وكان الحسن البصرى يقول اذا تحدث بهذا الحديث قد جرّبنا الأمراء بعده فوجدنا له الفضل عليهم . وان عمر رضى الله عنه أقرّ المغيرة على ثغر البصرة فسار بالناس نحو مَيسان فخرج اليه مرزبانها فحار به فأظهر الله المسلمين وافتتح البلاد عنوة وكتب الى عمر بالفتح ثم كان من أمر المغيرة والنفر الذين رموه ما كان و بلغ ذلك عمر رضى الله عنه فأمر أبا موسى الاشعرى بالخروج اليها وأن يصرف الخِطَط لمن هناك من العرب ويجعل كل قبيلة فى محلة وأن يأمر الناس بالبناء وأن يبني لهم مسجدا جامعاً وأن يشخص اليه المغيرة بن شعبة فقال أبوموسى يا أمير المؤمنين فوَجّه معى نفرًا من الأنصار فان مثل الانصار فى الناس كمثل الملح فى الطعام فوجه معه عشرة من الانصار فيهم أنس بن مالك والبَرَاء بن

مالك فقدم أبو موسى البصرة و بعث اليه بالمغيرة بن شعبة والنفر الذين شهدوا عليه فسألهم عمر رضى الله عنه فلم يصرّحوا فجلدهم وأمر المغيرة أن يلحق بالبصرة فيعاون أبا موسى على أمره ونظر أبو موسى الى زياد بن عبيد وكان عبدا مملوكا لثقيف فأعجبه عقله وأدبه فاتخذه كاتبا وأقام معه وقد كان قبل ذلك مع المغيرة بن شعبة

(ملك يزدجرد بن شهربار وواقعة القادسية)

قالوا فلما نظرت الفرس الى العرب قد حدقوا بهم و بثوا الغارات فى أرضهم قالوا فيما بينهم انما أُتينا من تملك النساء علينا فاجتمعوا على يَزْدَجِرْد ابن شهريار بن كسرى أبرويز فملكوه عليهم وهو يومئذ غلام ابن ست عشرة سنة وثبتت طائفة على آزرميدخت فتحارب الفريقان فكان الظفر ليزدجرد فخلعت آزرميدخت وتملّك يزدجرد فجمع اليه أطرافه واستجاش أقطار أرضه وولى أمرهم رُسْتُم بن هرمز وكان محنكا قد جرّبته الدهور فسار رستم نحو القادسية وبلغ ذلك جرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة فكتبا الى عمر رضى الله عنه يخبرانه فندب عمر الناس فاجتمع له نحو من عشرين الف رجل فولى أمرهم سعد بن أبى وقاص فسار سعد بالجيوش حتى وافى القادسية فضم اليه من كان هناك وتوفى المثنى بن حارثة رحمه الله فلما انقضت عِدّة امرأة المثنى تزوّجها سعد بن أبى وقاص وأقبل رستم بجنوده حتى نزل دير الاعور. وان سعدا بعث طليحة بن خويلد الاسدىّ وكان من فرسان العرب فى جمع ليأتيه بخبر القوم فلما عاينوا سوادهم ورأوا كثرتهم قالوا لطليحة انصرف بنا

فقال لا ولكنى ماض حتى أدخل عسكرهم وأعلم علمهم فاتهموه وقالوا له مانحسبك تريد الا اللحاق بهم وما كان الله ليهديك بعد قتلك عكاشة ابن محصن وثابت بن أقرم فقال لهم طليحة ملأ الرعب قلوبكم وأقبل طليحة حتى دخل عسكر الفرس ليلا فلم يزل يجوسه ليلته كلها حتى اذا كان وجه السحر مرّ بفارس منهم يعدّ بالف فارس وهو نائم وفرسه مقيد فنزل ففكّ قيده ثم شدّ مقوده بثفر فرسه وخرج من العسكر واستيقظ صاحب الفرس فنادى فى أصحابه وركب فى أثره فلحقوه وقد أضاء الصبح فبدر صاحب الفرس اليه ووقف له طليحة فاطعنا فقتله طليحة ولحقه فارس آخر فقتله طليحة ولحقه ثالث فأسره طليحة وحمله على دابته وأقبل به نحو عسكر المسلمين فكبر الناس ودخل على سعد وأخبره الخبر . وأقام رستم بدير الاعور معسكرا أربعة أشهر وأرادوا مطاولة العرب ليضجروا وكان المسلمون اذا فنيت أزوادهم وأعلافهم جردوا الخيل فأخذت على البرّ حتى تهبط على المكان الذى يريدون ويغيرون فينصرفون بالطعام والعلف والمواشى ثم ان عمر رضى الله عنه كتب الى أبى موسى يأمره أن يمدّ سعدا بالخيل فوجه اليه أبو موسى المغيرة بن شعبة فى الف فارس وكتب الى أبى عبيدة بن الجراح وهو بالشام يحارب الروم أن يمدّ سعدا بخيل فأمدّه بقيس بن هُبيرة المرادىّ فى ألف فارس وكان فى القوم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وكانت عينه فقئت يوم اليرموك وفيهم الأشعث بن قيس والأشتر النخعىّ فساروا حتى قدموا على سعد بالقادسية . وان يزدجرد الملك كتب الى رستم يأمره بمناجزة

العرب فزحف رستم بجنوده وعساكره حتى وافى القادسية فعسكر على ميل من معسكر المسلمين وجرت الرسل فيما بينه وبين سعد شهرا ثم أرسل الى سعد أن ابعث الىّ من أصحابك رجلا له فهم وعقل وعلم لأكلمه فبعث اليه بالمغيرة بن شعبة فلما دخل عليه قال له رستم ان الله أعظم لنا السلطان وأظهرنا على الأمم وأخضع لنا الأقاليم وذلّل لنا أهل الأرضين ولم يكن فى الأرض أمّة أصغر قدرا عندنا منكم لأنكم أهل قلة وذلة وأرض جدبة ومعيشة ضنك فما حملكم على تخطيكم الى بلادنا فان كان ذلك من قحط نزل بكم فانا نوسعكم ونفضل عليكم فارجعوا الى بلادكم فقال له المغيرة أما ماذكرت من عظيم سلطانكم ورفاهة عيشكم وظهوركم على الأمم وما أوتيتم من رفيع الشأن فنحن كل ذلك عارفون وسأخبرك عن حالنا ان الله وله الحمد أنزلنا بقفار من الأرض مع الماء النزر والعيش القشف يأكل قوينا ضعيفنا ونقطع أرحامنا ونقتل أولادنا خشية الاملاق ونعبد الأوثان فبينا نحن كذلك بعث الله فينا نبيا من صميمنا وأكرم أرومة فينا وأمره أن يدعو الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وأن نعمل بكتاب أنزله الينا فآمنا به وصدقناه فأمرنا أن ندعو الناس الى ما أمره الله به فمن أجابنا كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى ذلك سألناه الجزية عن يد فمن أبى جاهدناه وأنا أدعوك الى مثل ذلك فان أبيت فالسيف وضرب يده مشيرا بها الى قائم سيفه فلما سمع ذلك رستم تعاظمه ما استقبله به واغتاظ منه فقال والشمس لا يرتفع الضحى غدا حتى أقتلكم أجمعين . فانصرف المغيرة الى سعد فأخبره بما جرى بينهما وقال لسعد

استعد للحرب فأمر الناس بالتهيؤ والاستعداد فبات الفريقان يكتبون الكتائب ويعبُّون الجنود وأصبحوا وقد صفوا الصفوف ووقفوا تحت الرايات وكانت بسعد علة من خُرَّاج فى فخذه قد منعه الركوب فولى أمر الناس خالد بن عُرْفطة وولى القلب قيس بن هبيرة وولى الميمنة شرحبيل بن السمط وولى الميسرة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وولى الرجالة قيس بن خُرَيم وأقام هو فى قصر القادسية مع الحرَم والذرية ومعه فى القصر أبو محجن الثقفيّ محبوسا فى شراب شربه . ثم ان سعدا تقدم الى عمرو بن معدى كرب وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن السمط وقال انكم شعراء وخطباء وفرسان العرب فدوروا فى القبائل والرايات وحرضوا الناس على القتال . قال ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض وقد صف العجم ثلاثة عشر صفا بعضها خلف بعض وصفت العرب ثلاثة صفوف فرشقتهم العجم بالنشاب حتى فشت فيهم الجراحات فلما رأى قيس بن هبيرة ذلك قال لخالد بن عرفطة وكان أمير الامراء أيها الأمير انا قد صرنا لهؤلاء القوم غَرَضا فاحمل عليهم بالناس حملة واحدة فتطاعن الناس بالرماح مليا ثم أفضوا الى السيوف وكان زيد بن عبد الله النخعيّ صاحب الحملة الأولى فكان أول قتيل فأخذ الراية أخوه أرطاة فقتل ثم حملت بجيلة وعليها جرير بن عبد الله وحملت الازد وثار القتام واشتد القتال فانهزمت العجم حتى لحقوا برستم فترجل رستم وترجل معه الاساورة والمرازبة وعظماء الفرس وحملوا فجال المسلمون جولة وكلم أبو محجن أم ولد سعد فقال أطلقينى من قيدى ولك علىّ عهد الله أن لم أقتل أن أرجعَ الى محبسى هذا وقيدى

ففعلت وحملته على فرس لسعد أبلقَ فانتهى الى القوم مما يلي الازد وبجيلة مما يلي الميمنة فجعل يحمل ويكشف العجم وقد كانوا كثروا على بجيلة فجعل سعد يعجَب ولا يدرى من هو ويعرف الفرس . وبعث سعد الى جرير ابن عبد الله وكان معه لواء بجيلة والى الأشعث بن قيس ومعه لواء كندة والى رؤساء القبائل أن احملوا على القوم من ناحية الميمنة على القلب فحمل الناس عليهم من كل وجه وانتقضت تعبية الفرس وقتل رستم وولت العجم هاربة وانصرف الى محبسه أبو محجن وطلب رستم فى المعركة فأصيب بين القتلى وبه مائة جراحة مابين طعنة وضربة ولم يدر من قتله ويقال بل ارتطم فى نهر القادسية فغرق. وانتهت هزيمة العجم الى دير كعب فنزلوا هناك فاستقبلهم النخارجان وقد وجهه يزدجرد مددا فوقف بدير كعب فكان لايمرّ به أحد من الفلّ الا حبسه قبله . ثم عبى القوم وكتبوا كتائبهم ووقفوا مواقفهم حتى واقتهم العرب وتواقف الفريقان وبرز النخارجان فنادى مرد ومرد أى رجل ورجل فخرج اليه زهير بن سليم أخو مخنف بن سليم الأزدىّ وكان النخارجان سمينا بدينا جسيما وزهير رجلا مربوعا شديد العضدين والساعدين فرمى النخارجان بنفسه عن دابته عليه فاعتركا فصرعه النخارجان وجلس على صدره واستلّ خنجره ليذبحه فوقعت ابهام النخارجان فى فم زهير فمضغها واسترخى النخارجان وانقلب عليه زهير وأخذ خنجره وأدخل يده تحت ثيابه فبعجه وقتله . وكان برذون النخارجان مدَرّبا فلم يبرح فركبه زهير وقدسلبه سوارَيه ودرعه وقباءه ومنطقته فأتى به سعدا فأغنمه ايّاه وأمره سعد أن يتزيا بزيه

ودخل على سعد فكان زهير بن سليم أوّل من لبس من العرب السوارين .
وحمل قيس بن هبيرة على جيلوس رأس المستميتة فقتله وحمل المسلمون من
كل جانب فانهزمت العجم وبادر جرير بن عبد الله الى القنطرة فعطفوا
عليه فاحتملوه برماحهم فسقط الى الأرض ولحقه أصحابه وهربت عنه العجم
ولم يصبه شيء وعار فرسه فلم يلحق فأتى ببرذون من مراكب الفُرس فى عنقه
قلادة زمرد فركبه وذهبت العجم على وجوهها حتى لحقت بالمدائن وكتب
سعد الى عمر رضى الله عنه بالفتح وكان عمر رضى الله عنه يخرج فى كلّ يوم
ماشيا وحده لايدع أحدا يخرج معه فيمشى على طريق العراق ميلين أو
ثلاثة فلا يطلع عليه راكب من جهة العراق الا سأله عن الخبر فبيناهو كذلك
يوما طلع عليه البشير بالفتح فلما رآه عمر رضى الله عنه ناداه من بعيد ماالخبر
قال فتح الله على المسلمين وانهزمت العجم وجعل الرسول يُخبّ ناقته وعمر
يعدو معه ويسأله ويستخبره والرسول لايعرفه حتى دخل المدينة كذلك
فاستقبل الناس عمر رضى الله عنه يسلمون عليه بالخلافة وإمرة المؤمنين فقال
الرسول وتحير سبحان الله ياأمير المؤمنين ألا أعلمتنى فقال عمر لاعليك ثم
أخذ الكتاب فقرأه على الناس

(تمصير الكوفة)

وأقام سعد فى عسكره بالقادسيّة الى أن أتاه كتاب عمر يأمر أن يضع
لمن معه من العرب دارهجرة وان يجعل ذلك بمكان لا يكون بين عمر وبينهم
بحرٌ فسار الى الانبار ليجعلها دار هجرة فكرهها لكثرة الذباب بها ثم ارتحل

الى كُوَيْفة ابن عمر فلم يُعجبه موضعها فأقبل حتى نزل موضع الكوفة اليوم فخطّها خططا بين من كان معه و بنى لنفسه القصر والمسجد . و بلغ عمر أن سعدا علّق بابا على مدخل القصر فأمر محمد بن مَسْلَمة أن يسير الى الكوفة فيدعو بنار فيُحرق ذلك الباب و ينصرف من ساعته وأقبل محمد فسار حتى دخل الكوفة وفعل ما أُمر به وانصرف من ساعته وأُخبر سعد فلم يُحِر جوابا وعلم أن ذلك من أمر عمر فقال بشر بن أبي ربيعة

أَلَمَّ خيالٌ من أُمَيْمةَ مَوهِنًا ... وقد جعلَتْ احدَى النجوم تغورُ

ونحن بصَحراء العذَيْب ودُونها ... حِجازيّةٌ انّ المَحلّ شَطيرُ

فزارَتْ غريبًا نازحا جُلَ ماله ... جوادٌ ومفتوقُ الغِرارِ طريرُ

وحلّت بباب القادسيّة ناقتى ... وسعدُ بن وَقّاص علىَّ أميرُ

تذكّرْ هداكَ اللهُ وقعَ سيوفنا ... بباب قُدَيْسٍ والمَكَرُّ عَسيرُ

عَشيّةَ ودّ القومُ لو أنّ بعضَهم ... يُعارُ جَناحَىْ طائرٍ فيطيرُ

اذا برزَتْ منهم الينا كتيبةٌ ... أتَوْنا بأُخرَى كالجبال تَمُورُ

فضاربْتهم حتى تفرّق جمعُهم ... وطاعنتُ انى بالطعان بصيرُ

وعمرٌو أبو ثَوْرٍ شهيدٌ وهاشِمٌ ... وقيسٌ ونُعمانُ الفَتى وجَريرُ

وقال عُروة بن الوَرْد

لقد علمتْ عمرٌو ونبهانُ أنّنى ... أنا الفارسُ الحامى اذا القومُ أدبروا

وانّى اذا كرّوا شددتُ أمامَهم ... كأنّى أخو قَصباء جَهْمٌ غضنفَرُ

صبرتُ لأهل القادسيّة مُعلمًا ... ومِثلى اذا لم يصبرِ القِرْنُ يصبرُ

فطاعنتُهم بالرُمح حتى تبدَّدوا وضاربتُهم بالسيف حتى تَـكرَّ كَرُّوا
بذلك أوْصانى أبي وأبو أبي بذلك أوْصاه فلستُ أُقصّرُ
حمدتُ إلهى اذ هدَانى لدِينـه فلله أسعَى ما حييتُ وأشكرُ

وقال قيس بن هُبَيرة

جلبتُ الخيلَ من صنْعاء تَرْدِي بكلّ مُدجَّجٍ كالليْث حامِي
الى واد القُرَى فـديارِ كلْب الى اليَرْمُوك والبلدِ الشآمِي
فلما أنْ زَوَيْنا الرومَ عنها عطفْناها ضَوامرَ كالجِلامِ
فأُبنا القادسيّة بعـدَ شهْرٍ مُسوَّمـةً دَوابرُها دَوامِي
فناهَضْنا هُناكَ جموعَ كِسْرَى وأبْنـاءَ المَرَازِبةِ العظامِ
فلما أنْ رأيتُ الخيلَ جالَت قصدتُ لمَوْقِف الملكِ الهُمامِ
فاضْرِبُ رأسَه فَهوى صريعًا بسيفٍ لا أفـلّ ولا كَهامِ
وقد أبْلَى الالهُ هُناكَ خيرًا وفِعلُ الخير عنـد الله نامِي
نُفلّقُ هامَهـم بمُهنّداتٍ كأنّ فَراشَها قَيْضُ النَعامِ

(فتح المدائن)

قالوا ولما انهزمت العجم من القادسيّة وقُتل صناديدهم مرّوا على وجوههم حتى لحقوا بالمدائن وأقبل المسلمون حتى نزلوا على شطّ دجـلة بازاء المدائن فعسكروا هناك وأقاموا فيه ثمانيةً وعشرين شهرا حتى أكلوا الرطب مرّتين وضحَّوا أُضحيتّين فلما طال ذلك على أهل السواد صالحه عامّة الدهاقين بتلك الناحية . ولما رأى يزدجرد ذلك جمع اليـه عظماء مرازبته فقسم عليهم بيوت

أمواله وخزائنه وكتب عليهم بها القبالات وقال ان ذهب ملكُنا فأنتم أحق
به وان رجع رددتموه علينا ثمّ تحمّل فى حُرَمه وحشمه وخاصّة أهل بيته حتى
أتوا حُلوان فنزلها وولى خُرَّزاد بن هرمز أخا رستم المقتول بالقادسيّة الحرب
وخلّفه بالمدائن . و بلغ ذلك سعدا فتأهّب وأمر أصحابه أن يقتحموا دجلة
وابتدأ فقال بسم اللهودفع فرسه فيهاودفع الناس فسلموا عن آخرهم الاّ رجلا غرق
وكان على فرس شقراء فخرج الفرس تنفض عُرفَها وغرق راكبها وكان من
طيّ يسمى سُليك بن عبد الله فقال سَلْمان وكان حاضرا يومئذ يامعشر
المسلمين ان الله ذلّل لكم البحر كما ذلّل لكم البرّ أما والذى نفس سلمان بيده
ليُغيّرُنّ فيه وليبدّلُنّ قالوا ولما نظرت الفُرس الى العرب قد أقحموا دوابّهم
الماء وهم يعبرون تنادوا ديوان آمدند ديوان آمدند فخرج خرّزاد فى الخيل
حتى وقف على الشريعة ونادى يا معشر العرب البحر بحرنا فليس لكم أن
تقتحموه علينا وأقبلوا يرمون العرب بالنّشاب واقتحم منهم ناس كثير الماء
فقاتلوا ساعةً وكاثَرتهم العرب فخرجت الفرس من الشريعة وخرج المسلمون
وقاتلوهم مليًّا وانهزمت العجم حتى دخلت المدائن فتحصّنوا فيها وأناخ المسلمون
عليهم مما يلى دجلة فلما نظر خرّزاد الى ذلك خرج من الباب الشرقىّ ليلا
فى جنوده نحو جَلُولاء وأخلى المدائن فدخلها المسلمون فأصابوا فيها غنائم كثيرة
ووقعوا على كافور كثير فظنّوه ملحا فجعلوه فى خبزهم فأمر عليهم . وقال مخنَف
ابن سُلَيم لقد سمعت فى ذلك اليوم رجلا ينادى من يأخذ صحفة حمراء
بصحفة بيضاء لصحفة من ذهب لايعلم ماهى . وكتب سعد الى عمر رضى الله

عنه بالفتح وأقبل عِلج من أهل المدائن الى سعد فقال أنا أدلكم على طريق تدركون فيه القوم قبل أن يُمعنوا فى السير فقدّمه سعد امامه واتّبعته الخيل فقطع بهم مخايضَ وصحارى

(وقعة جلولاء)

ثمّ ان خرّزاد لما انتهى الى جلولاء أقام بها وكتب الى يزدجرد وهو بحُلوان يسأله المدد فأمدّه فخندق على نفسه ووجّهوا بالذرارى والاثقال الى خانقين ووجّه سعد اليهم بخيل وولى عليها عمرو بن مالك بن نَجَبَة بن نوفل ابن وهب بن عبد مناف بن زُهرة فسار حتى وافى جلولاء والعجم مجتمعونُ قد خندقوا على أنفسهم فنزل المسلمون قريبا من معسكرهم وجعلت الامداد تقدم على العجم من الجبل واصبهان فلما رأى المسلمون ذلك قالوا لاميرهم عمرو بن مالك ما تنتظر بمناهضة القوم وهم كلّ يوم فى زيادة فكتب الى سعد بن أبى وقّاص يُعلمه ذلك ويستأذنه فى مناجزة القوم فأذن له سعد ووجّه اليه قيس بن هُبيرة مددا فى ألف رجل أربعمائة فارس وستمائة راجل وبلغ العجم أن العرب قد أتاهم المدد فتأهبوا للحرب وخرجوا ونهض اليهم عمرو بن مالك فى المسلمين وعلى ميمنته حُجر بن عدىّ وعلى ميسرته زُهير ابن حُويّة وعلى الخيل عمر بن معدى كرب وعلى الرجالة طُليحة بن خويلد فتزاحف الفريقان وصبر بعضهم لبعض فتراموا بالسهام حتى أنفدوها وتطاعنوا بالرماح حتى كسروها ثم أفضوا الى السيوف وعَمَد الحديد فاقتتلوا يومهم ذلك كله الى الليل ولم يكن للمسلمين فيه صلاة الا ايماء والتكبير حتى اذا اصفرّت

الشمس أنزل الله على المسلمين نصره وهزم عدوّهم فقتلوهم الى الليل وأغنمهم الله عسكرهم بما فيه . فقال مِحْفَن بن ثعلبة فدخلتُ فى معسكرهم الى فُسطاط فاذا أنا بجارية على سرير فى جوف الفسطاط كأنّ وجهها دارة القمر فلما نظرت إلىّ فزعت وبكت فأخذتها وأتيت الأمير عمرو بن مالك فاستوهبته إياها فوهبها لى فاتخذتها أم ولد . وأصاب خارجة بن الصلت فى فسطاط من فساطيطهم ناقة من ذهب موشّحة باللؤلؤ والدرّ الفارد والياقوت عليها تمثال رجل من ذهب وكانت على كبر الظبية فدفعها الى المتولى لقبض الغنائم . قال ومرت الفرس على وجوهها لا تلوى على شيء حتى انتهت الى يزدجرد وهو بحُلْوان فسقط فى يديه فتحمّل بحُرَمه وحشمه وما كان معه من أمواله وخزائنه حتى نزل قُمّ وقاشان . وأصاب المسلمون يوم جلولاء غنيمة لم يغنموا مثلها قط وسبوا سبيا كثيرا من بنات أحرار فارس فذكروا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول اللهم انى أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات فأدرك أبناؤهن قتال صِفين . فخلّف عمرو بن مالك بجلولاء جرير بن عبد الله البجلى فى أربعة آلاف فارس مَسْلحةً بها ليردوا العجم عن نفوذها الى ما يلى العراق وسار ببقية المسلمين حتى وافى سعد بن أبى وقاص وهو مقيم بالمدائن فارتحل سعد بالناس حتى ورد الكوفة وكتب الى عمر رضى الله عنه بالفتح وأقام سعد أميرًا على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصفا ثم عزله عمر وولى مكانه عمّار بن ياسر على الحرب وعبد الله بن مسعود على القضاء وعمرو ابن حُنَيف على الخراج

(فتح تستر)

قالوا ولما انتهت هزيمة العجم الى حلوان وخرج يزدجرد هاربا حتى نزل قمّ وقاشان ومعه عظماء أهل بيته وأشرافهم قال له رجل من خاصته وأهل بيته يسمى هرمزان وكان خال شيرويه بن كسرى ابرويز أيها الملك ان العرب قد اقتحمت عليك من هذه الناحية يعنى حلوان ولهم جمع بناحية الاهواز ليس فى وجوههم أحد يردّهم ولا يمنعهم من العيث والفساد يعنى خيل أبى موسى الاشعري ومن كان معه قال يزدجرد فما الرأى قال الهرمزان الرأى أن توجّهنى الى تلك الناحية فأجمع إلىّ العجم وأكون ردءا فى ذلك الوجه وأجمع لك الأموال من فارس والأهواز وأحملها اليك لتتقوّى بها على حرب أعدائك فأعجبه ذلك من قوله وعقد له على الاهواز وفارس ووجّه معه جيشاً كثيفا فأقبل الهرمزان حتى وافى مدينة تُستَر فنزلها ورمّ حصنها وجمع الميرة فيها لحصار ان رَهِقه وأرسل فيمن يليه يستنجدهم فوافاه بشر عظيم فكتب أبو موسى الى عمر يخبره الخبر فكتب عمر رضى الله عنه الى عمّار بن ياسر يأمره أن يوجه النعمان بن مُقَرّن فى ألف رجل من المسلمين الى أبى موسى فكتب عمّار الى جرير وكان مقيما بجاولاء يأمره باللحاق بأبى موسى فخلّف جرير بجاولاء عروة ابن قيس البجلى فى ألفى رجل من العرب وسار ببقية الناس حتى لحق بأبى موسى . فكتب أبو موسى الى عمر يستزيده فى المدد فكتب عمر الى عمّار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة فى نصف الناس و يسير بالنصف الآخر حتي يلحق بأبي موسى فسار عمار حتى ورد على أبى موسى

وقد وافاه جرير من ناحية جلولاء فلما توافت العساكر عند أبي موسى ارتحل بالناس وسار حتى أناخ على تستر وتحصن الهرمزان منه فى المدينة ثم تأهب للحرب وخرج الى أبي موسى وعبّى أبو موسى المسلمين فجعل على ميمنته البراء ابن مالك أخا أنس بن مالك وعلى ميسرته مجزأة بن ثور البكرى وعلى جميع الناس أنس بن مالك وعلى الرجالة سلَمة بن رجاء وتزاحف الفريقان فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بين الفريقين ثم أنزل الله نصره فانهزمت الأعاجم حتى دخلوا مدينة تستر فتحصنوا بها وقُتل البراء بن مالك ومجزأة ابن ثور وقتل من الاعاجم فى المعركة ألف رجل وأسر منهم ستمائة أسير فقدّمهم أبو موسى فضرب أعناقهم. وأقام المسلمون على باب مدينة تُستر أياما كثيرة وحاصروا العجم بها فخرج ذات ليلة رجل من أشراف أهل المدينـة فأتى أبا موسى مستسرّا فقال تؤمنني على نفسى وأهلى وولدى ومالى وضياعى حتى أعمل فى أخذك المدينة عنوة قال أبو موسى ان فعلت فلك ذلك قال الرجل وكان اسمه سِينَة ابعث معى رجلا من أصحابك فقال أبو موسى أيها النـاس من رجل يَشرِى نفسَه ويدخل مع هذا العجمي مدخلا لا آمن عليه فيـه الهلاك ولعل الله أن يسلّمه فان يهلك فالى الجنة وإن يسلم عمَّت منفعتُه جميع الناس فقام رجل من بنى شيبان يقـال له الأشرَس بن عوف فقال أنا فقال أبو موسى أمضِ كلأك الله فمضى حتى خاض به دُجَيل ثم أخرجه فى سَرَب حتى انتهى به الى داره ثم أخرجه من داره وألقى عليـه طيلسانا وقال امش ورائى كأنك من خدمى ففعل فجعل سينة يمرّ به في أقطار المدينة طولا وعرضا حتى

انتهى به الى الاحراس الذين يحرسون أبواب المدينة ثم انطلق حتى مرّ به على الهرمزان وهو على باب قصره ومعه ناس من مرازبتـه وشمع أمامه حتى نظر الرجل الى جميع ذلك ثم انصرف الى داره وأخرجه من ذلك السرب حتى أتى به أبا موسى فأخبره الاشرس بجميع ما رأى وقال وجّهْ معى مائتى رجل حتى أقصـد بهم الحرس فاقتلهم وأفتح لك الباب و وافنا أنت بجميع الناس فقال أبو موسى من يشترى نفسه لله فيمضى مع الاشرس فانتدب مائتا رجل فمضوا مع الاشرس وسينة حتى دخلوا من ذلك النقب وخرجوا فى دار سينة وتأهّبوا للحرب ثمّ خرجوا والاشرس أمامهم حتى انتهوا الى باب المدينـة وأقبل أبو موسى فى جميع الناس حتى وافوا الباب من خارج وأقبل الاشرس وأصحابه حتى أتوا الاحراس فوضعوا فيهم السيف وتداعى الناس وأسندوا ظهورهم الى حائط السور وأبو موسى أصحابه يكبرون لتشتدّ بذلك ظهورهم وأفضى أصحاب الاشرس الى الباب فضربوا القُفْل حتى كسروه وفتحوا الباب ودخل أبو موسى والمسلمون فوضعوا فيهم السيوف وهرب الهرمزان فى عظماء مرازبته حتى دخلوا الحصن الذى فى جوف المدينة وأخذ أبو موسى المدينة بمافيها وحاصروا الهرمزان حتى فنى ما كان أعـدّ فى الحصن من الميرة ثم سأل الأمان فقال أبو موسى أؤمنك على حكم أمير المؤمنين فرضى بذلك وخرج فيمن كان معه من أهل بيته ومرازبته الى أبى موسى فوجه به وبهم أبو موسى الى عمر رضى الله عنه و وجه معه ثلثمائة رجل وأمَّر عليهم أنس بن مالك فساروا حتى انتهوا الى ماء يقال له السُمَينة فأقبل أهل الماء يمنعونهم من

النزول خوفا من أن يفنوا ماءهم فلما علموا أن أنسا صاحب القوم جاؤهم فنزلوا فقال رجل من أصحاب أنس لأنس أخبر أمير المؤمنين بما صنع هؤلاء بنا ليخرجهم من هذا الماء قال الهرمزان وان أراد مريد أن يحوّلهم الى مكان شر منه هل كان يجده ثم ساروا حتى وافوا المدينة فأتوا دار عمر وقد زينوا الهرمزان بقبائه ومنطقته وسيفه وسواريه وتوءمتيه وكذلك من كان معه لينظر عمر رضى الله عنه الى زىّ الملوك والمرازبة وهيئتهم فكان من خبره ماهو مشهور . وانصرف عمار بن ياسر فيمن كان معه من أصحابه الى أوطانهم بالكوفة وسار أبو موسى من تستر حتى أتوا السوس فحاصرها فسأله مرزبانها أنْ يؤمنه فى ثمانين رجلا من أهل بيته وخاصة أصحابه فأجابه الى ذلك فخرج اليه فعدَّ ثمانين رجلا ولم يعد نفسه فأمر أبو موسى به فضربت عنقه وأطلق الثمانين الذين عهدهم ثم دخل المدينة فغنم مافيها ثم بعث منجوف ابن ثور الى مهرجانقذق فافتتحها ومعه السائب بن الأقرع فانتهى السائب الى قصر الهرمزان صاحب تستر وكان موطنه الصيمرة فدخل القصر وكان من المدينة على ميل فنظر فى بعض البيوت الى تمثال فى الحائط مادا أصبعه مصوبها الى الارض فقال السائب ماصوّبت أصبعُ هذا التمثال الى هذا المكان الا لأمر أحفروا هاهنا فحفروا فأصابوا سفطا كان للهرمزان مملوء جوهرا فاحتبس منه السائب فصَّ خاتم وسرَّح بالباقى الى أبى موسى وأعلمه أنه أخذ منه فصا فسأله أن يهبه له ففعل أبو موسى ووجه بالسفط الى عمر رضى الله عنه فأرسل عمر الى الهرمزان وقال هل تعرف هذا السفط فقال

نعم أفقد منه فصا قال عمر ان صاحب المقسم استوهبه فوهبه له أبو موسى فقال ان صاحبكم لبصير بالجوهر ثم ان عمر ولى عثمان بن أبى العاص أرض البحرين فلما بلغه فتح الأهواز سار بمن كان معه حتى وغل فى أرض فارس فنزل مكانا يسمّى تَوّج فصيره دار هجرة وبنى مسجدا جامعا فكان يحارب أهل أردشير حتى غلب على طائفة من أرضهم وغلب على ناحية من بلاد سابور وبلاد اصطخر وأرّجان فمكث بذلك حولا ثم خلف أخاه الحكم ابن أبى العاص على أصحابه ولحق بالمدينة . وان مرزبان فارس جمع جموعا عظيمة وزحف الى الحكم فظفر به الحكم فقتله وكان اسمه سُهْرَك

(وقعة نهاوند)

ثم كانت وقعة نهاوَنْد سنة احدى وعشرين وذلك أن العجم لما قتلوا بجلولاء وهرب يزدجرد الملك فصار بقُمّ ووجه رسله فى البلدان يستجيش فغضب له أهل مملكته فانجلبت اليه الأعاجم من أقطار البلاد فأتاه أهل قومس وطبرستان وجُرجان ودُنباوند والرىّ وأصبهان وهمذان والماهين واجتمعت عنده جموع عظيمة فولى أمرهم مردان شاه بن هرمز ووجههم الى نهاوند وكتب عمار بن ياسر الى عمر بن الخطاب بذلك فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبيده الكتاب حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر العرب ان الله أيدكم بالاسلام وألف بينكم بعد الفرقة وأغناكم بعد الفاقة وأظفركم فى كل موطن لقيتم فيه عدوّكم فلم تفلوا ولم تغلبوا وأن الشيطان قد جمع جموعا ليطفئ نور الله وهذا كتاب عمار بن ياسر يذكر ان أهل

قومس وطبرستان ودنباوند وجرجان والرىّ وأصبهان وقمّ وهمذان والماهين وماسبذان قد أجفلوا الى ملكهم ليسيروا الىْ اخوانكم بالكوفة والبصرة حتى يطردوهم عن أرضهم ويغزوكم فى بلادكم فأشيروا علىّ فتكلم طلحة ابن عبيد الله فقال ياأمير المؤمنين ان الأمور قد حنكتك وان الدهور قد جرّبتك وأنت الوالى فمرنا نطع واستنهضنا ننهض ثم تكلم عثمان بن عفان فقال ياأمير المؤمنين أكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم والى أهل البصرة فيسيروا من بصرتهم وسِرْ أنت بأهل هذا الحرم حتى توافى الكوفة وقد وافاك المسلمون من أقطار أرضهم وآفاق بلادهم فانك اذا فعلتَ ذلك كنت أكثرمنهم جمعاوأعزّ نفرا فقال المسلمون من كل ناحية صدق عثمان فقال عمر لعلىّ رضى الله عنهما ماتقول أنت ياأبا الحسن فقال علىّ رضى الله عنه انك ان أشخصتَ أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان سيرت أهل اليمن من يمنهم خلفت الحبشة على أرضهم وان شخصت أنت من هذا الحرم انتقضت عليك الأرض من أقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهمّ اليك مما قدامك وان العجم اذا رأوك عيانا قالوا هذا ملك العرب كلها فكان أشدّ لقتالهم وانا لم نقاتل الناس على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم ولا بعده بالكثرة بل اكتب الى أهل الشام أن يُقيم منهم بشامهم الثلثان ويشخص الثلث وكذلك الى عُمان وكذلك سائر الامصار والكور فقال عمر هو الرأى الذى كنتُ رأيته ولكنى أحببت أن تتابعونى عليه فكتب بذلك الى الامصار

ثم قال لأُولينّ الحرب رجلا يكون غدا لاسنّة القوم جزرا فولى الامر النعمان
ابن مقرّن المُزَنىّ وكان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان على خراج كَسكر فدعا عمر السائب بن الاقرع فدفع اليه عهد النعمان
ابن مقرّن وقال له ان قُتل النعمان فولىُّ الأمرِ حُذيفة بن اليمان وان قُتل
حذيفة فولىُّ الأمر جرير بن عبد الله البجلى وان قتل جرير فالامير المغيرة
ابن شُعبة وان قتل المغيرة فالامير الاشعث بن قيس وكتب الى النعمان بن
مقرّن ان قبلك رجلين هما فارسا العرب عمر بن معدى كرب وطُليحة بن
خُوَيْلد فشاوِرْهما فى الحرب ولا تُولِّهما شيئا من الامر ثم قال للسائب ان أظفر
الله المسلمين فتولَّ أمرَ المَغنَم ولا ترفع الىَّ باطلا وان يهلك ذلك الجيش
فاذهب فلا أرينَّك فسار السائب حتى ورد الكوفة ودفع الى النعمان عهده
ووافت الامداد وُخلّف أبو موسى بالبصرة ثلثى الناس وسار بالثلث الآخر
حتى وافى الكوفة فتجهّز الناس وساروا الى نهاوند فنزلوا بمكان يسمى
الاسفيذهان من مدينة نهاوند على ثلاثة فراسخ قربَ قرية يقال لها قُديسجان
وأقبلت الاعاجم يقودها مردان شاه بن هُرمزد حتى عسكروا قريبا من
عسكر المسلمين وخندقوا على أنفسهم وأقام الفريقان بمكانيهما فقال النعمان
لعمرو وطليحة ما تريان فان هؤلاء القوم قد أقاموا بمكانهم لا يخرجون منه
وامدادهم تَترى عليهم كل يوم فقال عمرو الرأى أن تُشيع ان أمير المؤمنين
توفى ثم ترتحل بجميع من معك فان القوم اذا بلغهم ذلك طلبونا فنقف لهم
عند ذلك ففعل النعمان ذلك وتباشرت الاعاجم وخرجوا فى آثار المسلمين

حتى اذا قاربوهم وقفوا لهم ثم تزاحفوا فاقتتلوا فلم يُسمع الا وقع الحديد على الحديد وكثرت القتلى من الفريقين وحال بينهما الليل فانصرف كل فريق الى معسكرهم وبات المسلمون لهم أنين من الجراح ثم أصبحوا وذلك يوم الاربعاء فتزاحفوا واقتتلوا يومهم كلّه وصبر الفريقان ثم كان ذلك دأبهم يوم الخميس وتزاحفوا يوم الجمعة وتواقفوا وركب النعمان بن مقرن برذونا أشهب ولبس ثيابا بيضا وسار بين الصفوف يذمّر المسلمين ويحضهم وجعل ينتظر الساعة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل فيها ويستنزل النصر وهى زوال النهار ومهبُّ الرياح وسار فى الرايات يقول لهم انى هاز لكم الراية ثلاثا فاذا هززتُها أول مرّة فليشدّ كل رجل منكم حزام فرسه وليستلِم شكّته فاذا هززتها الثانية فصوّبوا رماحكم وهُزّوا سيوفكم فاذا هززتها الثالثة فكبروا واحملوا فانى حامل فلمازالت الشمس بأدنى صلوا ركعتين ركعتين ووقف ونظر الناس الى الراية فلما هزّها الثالثة كبروا وحملوا فانتقضت صفوف الاعاجم وكان النعمان أوّل قتيل فحمله أخوه سُويد بن مقرن الى فسطاطه فخلع ثيابه فلبسها وتقلّد سيفه وركب فرسه فلم يشك أكثر الناس انه النعمان وثبتوا يقاتلون عدوهم ثم أنزل الله نصره وانهزمت الاعاجم فذهبت على وجوهها حتى صاروا الى قرية من نهاوند على فرسخين تسمى دَزيزيد فنزلوها لان حصن نهاوند لم يسعهم وأقبل حُذيفة بن اليمان وقد كان تولى الامر بعد النعمان حتى أناخ عليهم فحاصرهم بها قال وانهم خرجوا ذَات يوم مستعدين للحرب فقاتلهم المسلمون فانهزمت الاعاجم وانقطع عظيم من عظمائهم يسمى دينار

فحال المسلمون بينه و بين الدخول الى الحصن واتبعه رجل من عبس يسمى سماك بن عبيد فقتل قوما كانوا معه واستسلم له الفارسى فاستأسره سماك فقال لسماك انطلق بى الى أميركم فانى صاحب هذه الكورة لاصالحه على هذه الارض وأفتح له باب الحصن فانطلق به الى حذيفة فصالحه حذيفة عليها و كتب له بذلك كتابا فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن نهاوند ونادى من فيه افتحوا باب الحصن وانزلوا فقد أمنكم الأمير وصالحنى على أرضكم فنزلوا اليه فبذلك سُميت ماه دينار وأقبل رجل من أشراف تلك البلاد الى السائب بن الاقرع وكان على المغانم فقال له أتُصالحنى على ضياعى وتؤمننى على أموالى حتى أدلّك على كنز لايُدْرى ما قدره فيكون خالصا لأميركم الاعظم لانه شئ لم يؤخذ فى الغنيمة. وكان سبب هذا الكنز ان النُخارجان الذى كان يوم القادسية أقبل بالمدد فألفى العجم قد انهزموا فوقف فقاتل حتى قتل كان من عظماء الاعاجم وكان كريما على كسرى أبرويز وكانت له امرأة من أجمل النساء جمالا وكانت تختلف الى كسرى فبلغ النخارجان ذلك فرفضها فلم يقربها و بلغ ذلك كسرى فقال يوما للنخارجان وقد دخل عليه مع العظماء والاشراف بلغنى أن لك عينا عذبة الماء وانك لا تشرب منها فقال النخارجان أيها الملك بلغنى ان الاسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها مخافة الأسد فاستحلى كسرى جواب النخارجان وعجب من فطنته فدخل دار نسائه وكانت له ثلاثة آلاف امرأة لفراشه فجمعهنّ وأخذ ما كان عليهنّ من حلِيّ فجمعه ودفعه الى امرأة النخارجان ودعا بالصاغة فاتخذوا للنخارجان تاجا من ذهب مكلّلا

بالجوهر الثمين فتوجّه به فبقى ذلك التاج وتلك الحلى عند ولد بنى تلك المرأة فلما وقعت الحروب بناحيتهم ساروا به الى قرية لابيهم سمّيت باسمه يقال لها الخوارجان وفيها بيت نارٍ فاقتلعوا الكانون ودفنوا الحلى تحته وأعادوا الكانون كهيئته فقال له السائب ان كنتَ صادقا فأنت آمن على أموالك وضياعك وأهلك وولدك فانطلق به حتى استخرجه فى سفطين أحدهما التاج والآخر الحلىّ فلما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال وفرغ حمل السفطين فى خُرجين على ناقته وقدم بهما على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان من أمرهما الخبر المشهور اشتراهما عمرو بن الحارث بعطاء المقاتلة والذرّيّة جميعا ثم حملهما الى الحيرة فباع بفضل كثير واعتقد بذلك أموالا بالعراق وكان أول قُرشى اعتقد بالعراق فقال عروة بن زيد الخيل يذكر أيامهم

الا طرقَتْ رَحلى وقد نام صُحبتى ... بايوان سيرينَ المُزَخرَفِ خُلّتى
ولو شهدَتْ يومىْ جلولاء حربَنا ... ويومَ نهاوندَ المهولَ استهلّتِ
اذاً لرأتْ ضربَ امرئٍ غيرِ خاملٍ ... مُجيدٍ بطعن الرُمح أروعِ مِصلَتِ
ولما دعَوْا ياعروةَ بن مُهلْهل ... ضربتُ جموعَ الفرْسِ حتى تولّت
دفعتُ عليهم رَجْلتى وفوارسى ... وجرّدت سيفى فيهمُ ثمَّ ألّتى
وكم من عدوٍّ أشوَسٍ مُتمرّدٍ ... عليه بخيلى فى الهياج أظلّتِ
وكم كُربة فرّجتُها وكريهةٍ ... شددتُ لها أزرى الى أن تجلّتِ
وقد أضحَت الدُنيا لدىَّ ذميمةً ... وسلّيتُ عنها النفسَ حتى تسلّتِ
وأصبح همّى فى الجهاد ونيّتى ... فلله نفسٌ أدبرَتْ وتولّتِ

فلا ثَرْوَةَ الدنيا نُرِيدُ اكتسابَها ألا انها عن وَفْرِها قد تجلَّتِ
وما ذا أُرَجِّي من كنوزٍ جمعتُها وهذي المنايا شُرَّعًا قد أظلَّتِ

(مقتل عمر وولاية عثمان رضي الله عنهما)

وتوفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الجمعة لاربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستّة أشهر واستُخلف عثمان بن عفّان فعزل عمّار بن ياسر عن الكوفة وولّى الوليد بن عُقبة ابن أبي مُعَيط وكان أخا عثمان لامّه أمّهما أرْوَى بنت أمّ حكيم بن عبد المطلب ابن هاشم وعزل أبا موسى الاشعرىّ عن البصرة وولاّها عبد الله بن عامر ابن كُرَيز وكان ابن خال عثمان وكان حدث السنّ واستعمل عمرو بن العاص على حرب مصر واستعمل عبد الله بن أبي سرح على خراجها وكان أخاه من الرضاعة ثمّ عزل عمرو بن العاص وجمع الحرب والخراج لعبد الله بن أبي سرح

(فتح سابور)

ثمّ كانت غزوة سابور من أرض فارس وافتتاحها وأميرها عثمان بن أبي العاص

(فتح افريقية)

ثم كان فتح افريقية سنة تسع وعشرين وأميرها عبد الله بن أبي سرح

(فتح قبرس)

ثم كان فتح قُبرُس وأميرها معاوية ين أبي سفيان

(خلع أهل اصطخر واعادة فتحها)

ثم ان أهل اصطخر نزعوا يدًا من الطاعة وقدمها يزدجرد الملك فى جمع من الأعاجم فسار اليهم عثمان بن أبى العاص وعبد الله بن عامر فكان الظفر للمسلمين

(وصول يزدجرد الى مرو ومقتله)

وهرب يزدجرد نحو خراسان فأتى مرو فأخذ عاملها وكان اسمه ماهُويَة بالأموال وقد كان ماهوية صاهر خاقان ملك الأتراك فلما تشدّد عليه أرسل الى خاقان يعلمه ذلك فأقبل خاقان فى جنوده حتى عبر النهر مما يلى آمُويَة ثم ركب المفازة حتى أتى مرو ففتح له ماهوية أبوابها وهرب يزدجرد على رجليه وحده فمشى مقدار فرسخين حتى انتهى فى السحر الى رحى فيها سراج يتقد فدخلها وقال للطحان آونى عندك الليلة قال الطحان أعطنى أربعة دراهم فانى أريد أن أدفعها الى صاحب الرحا فناوله سيفه ومنطقته وقال هذا لك ففرش له الطحان كساءه فنام يزدجرد لما ناله من شدّة التعب فلما استثقل نوما قام اليه الطحان بمنقار الرحا فقتله وأخذ سلبه وألقاه فى النهر . ولما أصبح الناس تداعوا فأجلبوا على الأتراك من كل وجه فخرج خاقان منهزما حتى وغل فى المفازة فطلبوا الملك فلم يجدوه فخرجوا يقفون أثره حتى انتهوا اليه فوجدوه قتيلا مطروحا فى الماء وأصابوا بزّته عند الطحان فأخذوها وقتلوا الطحان وذلك فى السنة السادسة من خلافة عثمان وهى سنة ثلاثين من التاريخ فعند ذلك انقضى ملك فارس فأرّخوا عليه تاريخهم الذى يكتبون به اليوم .

وهرب ماهوية حتى نزل أبرشهر مخافة أن يقتله أهل مرو فمات بها

(فتح سرخس)

وسار عبد الله بن خازم السلمى الى سَرْخَس فافتتحها أيضا وسار عبد الله ابن عامر الى كرمان وسجستان فافتتحهما

(مقتل عثمان وبيعة على رضي الله عنهما)

ثم قتل عثمان رضى الله عنه فلما قتل بقى الناس ثلاثة أيام بلا امام وكان الذى يصلّى بالناس الغافقىّ ثم بايع الناس عليا رضى الله عنه فقال أيها الناس بايعتمونى على مابويع عليه من كان قبلى وانما الخيارُ قبل أن تقع البيعة فاذا وقعت فلا خيارَ وانما على الامام الاستقامة وعلى الرعية التسليم وان هذه بيعةٌ عامةٌ من ردّها رغب عن دين الاسلام وانها لم تكن فلتةً . ثم ان عليا رضى الله عنه أظهر أنه يريد السير الى العراق وكان على الشام يومئذ معاوية بن أبى سفيان وليها لعمر بن الخطاب سبعا ووليها جميع ولاية عثمان رضى الله عنه اثنتى عشرة سنة فواتاه الناس على السير الا ثلاثة نفر سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصارى وبعث على رضى الله عنه عماله الى الامصار فاستعمل عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن حسان على الكوفة وكانت له هجرة واستعمل عبد الله بن عباس على جميع أرض اليمن واستعمل قيس بن سعد بن عبادة على مصر واستعمل سهل بن حنيف على الشام فأما سهل فانه لما انتهى الى تبوك وهى تخوم أرض الشام استقبله خيل لمعاوية فردّوه فانصرف الى علىّ فعلم علىّ رضى الله عنه

عند ذلك أن معاوية قد خالف وان أهل الشام بايعوه . وحضر الموسم فاستأذن الزبير وطلحة عليا في الحج فأذن لهما وقد كانت عائشة أمّ المؤمنين خرجت قبل ذلك معتمرة وعثمان محصور وذلك قبل مقتله بعشرين يوما فلما قضت عمرتها أقامت فوافاها الزبير وطلحة . وكتب عليٌّ رضى الله عنه الى معاوية أما بعد فقد بلغك الذى كان من مصاب عثمان رضى الله عنه واجتماع الناس علىّ ومبايعتهم لى فادخل فى السلم أو ائذنْ بحرب وبعث الكتاب مع الحجاج بن غَزِية الانصارىّ فلما قدم على معاوية وأوصل كتاب علىّ اليه فقرأه فقال انصرف الى صاحبك فان كتابى مع رسولى على أثرك فانصرف الحجاج وأمر معاوية بطومارين فوُصل أحدهما بالآخر ولفا ولم يكتب فيهما شيئاً الا بسم الله الرحمن الرحيم وكتب على العنوان من معاوية بن أبى سفيان الى علىّ بن أبى طالب ثم بعث به مع رجل من عبس له لسان وجسارة فقدم العبسىّ على علىّ فناوله الكتاب ففتحه فلم ير فيه شيئاً الا بسم الله الرحمن الرحيم وعند علىّ وجوه الناس فقام العبسى فقال أيها الناس هل فيكم أحد من عبس قالوا نعم قال فاسمعوا منى وافهموا عنى انى قد خلفت بالشام خمسين الف شيخ خاضبى لحاهم بدموع أعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على أطراف الرماح قد عاهدوا الله ألا يشيموا سيوفهم حتى يقتلوا قتلته أو تلحق أرواحهم بالله فقام اليه خالد بن زفر العبسى فقال بئس لعمر الله وافد أهل الشام أنت أتخوّف المهاجرين والأنصار بجنود أهل الشام وبكائهم على قميص عثمان فوالله ماهو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه

بالعراق . ثم ان المغيرة بن شعبة دخل على عليّ رضى الله عنه فقال ياأمير المؤمنين ان لك حق الصحبة فأقر معاوية على ماهو عليه من امرة الشام وكذلك جميع عمال عثمان حتى اذا أتتك طاعتهم وبيعتهم استبدلت حينئذ أو تركت فقال عليّ رضى الله عنه أنا ناظر فى ذلك وخرج عنه المغيرة ثم عاد اليه من غد فقال ياأمير المؤمنين انى أشرت أمس عليك برأى فلما تدبرته عرفت خطأه والرأى أن تعاجل معاوية وسائر عمال عثمان بالعزل لتعرف السامع المطيع من العاصى فتكافى كلا بجزائه ثم قام فتلقاه ابن عباس داخلا فقال لعلى رضى الله عنه فيم أتاك المغيرة فأخبره عليّ بما كان من مشورته بالامس وما أشار عليه بعد فقال ابن عباس أما أمس فانه نصح لك وأما اليوم فغشك وبلغ المغيرة ذلك فقال صدق ابن عباس نصحت له فلما رد نصحى بدّلت قولى ولما خاض الناس فى ذلك سار المغيرة الى مكة فأقام بها ثلاثة أشهر ثم انصرف الى المدينة . ثم ان عليا رضي الله عنه نادى فى الناس بالتأهب للمسير الى العراق فدخل عليه سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مَسلمة فقال لهم قد بلغنى عنكم هنات كرهتها لكم فقال سعد قد كان مابلغك فأعطنى سيفا يعرف المسلم من الكافر حتى أقاتل به معك وقال عبد الله بن عمر أنشدك الله أن تحملنى على ما لا أعرف وقال محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أقاتل بسيفى ماقوتل به المشركون فاذا قوتل أهلُ الصلاة ضربت به صخر أُحد حتى ينكسر وقد كسرته بالامس ثم خرجوا من عنده . ثم ان أسامة بن زيد دخل فقال

اعفنى من الخروج معك فى هـذا الوجه فانى عاهدت الله أن لا أقاتل من يشهد أن لا اله إلا الله وبلغ ذلك الاشتر فدخل على علىّ فقال يا أمير المؤمنين إنّا وان لم نكن من المهاجرين والأنصار فانّا من التابعين باحسان وان القوم وان كانوا أولى بما سبقونا اليه فليسوا بأولى مما شركناهم فيه وهـذه بيعة عامة الخارج منهـا طاعن مُستعتِب فعُضّ هؤلاء الذين يريدون التخلف عنك باللسان فان أبوا فأدّبهم بالحبس فقال علىّ بل أدَعهم ورأيهم الذى هم عليه .

ولما همّ علىّ رضى الله عنه بالمسير الى العراق اجتمع أشراف الانصار فأقبلوا حتى دخلوا على علىّ فتكلم عُقبة بن عامر وكان بدريًّا فقال يا أمير المؤمنين ان الذى يفوتك من الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والسعى بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق فان كنتَ انما تسير لحرب أهل الشام فقد أقام عمر فينا وكفاه سعد زحف القادسية وأبو موسى زحفَ الاهواز وليس من هؤلاء رجل إلا ومثله معك والرجال أشباه والأيام دوَل فقال علي ان الأموال والرجال بالعراق ولأهل الشام وثبة أحبّ أن أكون قريبا منها ونادى فى الناس بالمسير فخرج وخرج معه الناس

(مخرج طلحة والزبير ووقعة الجمل)

قالوا ولما قضى الزبير وطلحة وعائشة حجّهم تآمروا فى مقتل عثمان فقال الزبير وطلحة لعائشة إن أطعتنا طلبنا بدم عثمان قالت وممن تطلبون دمه قالا انهم قوم معروفون وانهم بطانة علىّ ورؤساء أصحابه فاخرجي معنا حتى نأتى البصرة فيمن تبعنا من أهل الحجاز وان أهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعا يدا

واحدة معك فأجابتهم الى الخروج فسارت والناس حولها يمينا وشمالا . ولما فصل علىّ من المدينة نحو الكوفة بلغه خبر الزبير وطلحة وعائشة فقال لاصحابه ان هولاء القوم قد خرجوا يؤمّون البصرة لما دبروه بينهم فسيروا بنا على أثرهم لعلنا نلحقهم قبل موافاتهم فانهم لو قد وافوها لمال معهم جميع أهلها قالوا سِرْبنا يا أمير المؤمنين فسار حتى وافى ذا قارٍ فأتاه الخبر بموافاة القوم البصرة ومبايعة أهل البصرة لهم الا بنى سعد فانهم لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس وقالوا لاهل البصرة لا نكون معكم ولا عليكم وقعد عنهم أيضا كعب بن سور فى أهل بيته حتى أتته عائشة فى منزله فأجابها وقال ا كره ألاّ أجيب أمى وكان كعب على قضاء البصرة ولما انتهى الخبر الى علىّ وجه هاشم بن عُتبة ابن أبى وقّاص ليستنهض أهل الكوفة ثم أردفه بابنه الحسن و بعمار بن ياسر فساروا حتى دخلوا الكوفة وأبو موسى يومئذ بالكوفة وهو جالس فى المسجد والناس مُحتوِشوه وهو يقول ياأهل الكوفة أطيعونى تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف أيها الناس ان الفتنة اذا أقبلت شبهت واذا ادبرت تبينت وان هذه هى الفتنة الباقرة لايُدرى من أين تأتى ولا من أين تؤتى شيموا سيوفكم وانزعوا أسنّة رماحكم واقطعوا أوتار قسيكم والزموا قعور البيوت أيها الناس ان النائم فى الفتنة خير من القائم والقائم خير من الساعى فانتهى الحسن بن على وعمار رضى الله عنهما الى المسجد الاعظم وقد اجتمع عالم من الناس على أبى موسى وهو يقول لهم هذا وأشباهه فقال له الحسن اخرج عن مسجدنا وامض حيث شئت ثمّ صعد

الحسن المنبر وعمّار صعد معه فاستنفرا الناس فقام حُجر بن عدىّ الكندى وكان من أفاضل أهل الكوفة فقال انفروا خفافا وثِقالا رحمكم الله فأجابه الناس من كل وجه سمعا وطاعة لأميرالمؤمنين نحن خارجون علي اليسر والعسر والشدة والرخاء فلما أصبحوا من الغد خرجوا مستعدين فأحصاهم الحسن فكانوا تسعة آلاف وستمائة وخمسين رجلا فوافوا عليا بذى قار قبل أن يرتحل . فلماهم بالمسير غلّس الصبح ثم أمر مناديا فنادى فى الناس بالرحيل فدنا منه الحسن فقال يا أبت أشرتُ عليك حين قُتـل عثمان وراح النـاس اليك وغدوا وسألوك أن تقوم بهذا الأمر ألا تقبله حتى تأتيك طاعة جميع الناس فى الآفاق وأشرتُ عليك حين بلغك خروج الزبير وطلحة بعائشـة الى البصرة أن ترجع الى المدينـة فتقيم فى بيتك وأشرتُ عليك حين حُوصر عـثمان أن تخرج من المدينة فان قُتل قُتل وأنت غائب فلم تقبـل رأيى فى شيء من ذلك فقال له علىّ أما انتظارى طاعة جميع النـاس من جميع الآفاق فان البيعة لا تـكون الا لمن حضر الحرمين من المهاجرين والانصار فاذا رضوا وسلموا وجب على جميع النـاس الرضا والتسليم وأما رجوعى الى بيتى والجلوس فيه فان رجوعى لو رجعت كان غـدرا بالأمة ولم آمن أن تقع الفرقة وتتصـدع عصا هذه الامة وأما خروجي حين حوصر عثمان فـكيف أمكننى ذلك وقد كان الناس أحاطوا بى كما أحاطوا بعثمان فاكفف يابنى عما أنا أعلم به منك .

ثم سار بالناس فلما دنا من البصرة كتب الـكتائب وعقـد الألوية والرايات وجعلها سبع رايات عقـد لحمير وهمـدان راية وولى عليهم سعيد بن قيس

الهمدانى وعقد لمذحج والاشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثى ثم عقد للطائى راية وولى عليهم عدى بن حاتم وعقد لقيس وعبس وذُبيان راية وولّى عليهم سعد بن مسعود بن عمرو الثقفي عم المختار بن أبي عبيد وعقد لكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة راية وولّى عليهم حجر بن عدى الكندى وعقد للأزد وبجيلة وخثعم وخزاعة راية وولّى عليهم مخنف بن سليم الأزدىّ وعقد لبكر وتغلب وأفناء ربيعة راية وولى عليهم محدوج الذهلىّ وعقد لسائر قريش والانصار وغيرهم من أهل الحجاز راية وولى عليهم عبد الله بن عباس فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهر وهم أسباع كذلك وكان على الرجالة جندب بن زهير الازدى . ولما بلغ طلحة والزبير ورود علىّ رضى الله عنه بالجيوش وقد أقبل حتى نزل الخريبة فعباهم طلحة والزبير وكتباهم كتائب وعقدا الألوية فجعلا على الخيل محمد بن طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير ودفعا اللواء الاعظم الى عبد الله بن حرام بن خويلد ودفعا لواء الازد الى كعب بن سور وولياه الميمنة ووليا قريشا وكنانة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ووليا أمر تميم هلال بن وكيع الدارمى وجعلاهم فى الميسرة وولّيا أمر الميسرة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وهو الذى قالت عائشة فيه وددتُ لو قعدت فى بيتى ولم أخرج فى هذا الوجه لكان ذلك أحبّ إلىّ من عشرة أولاد لو رُزقتُهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعقله وزُهده وولّيا على قيس مجاشع بن مسعود وعلى تَيم الرباب عمرو بن يَثربى وعلى قيس والأنصار

وثقيف عبد الله بن عامر بن كُرَيز وعلى خُزاعة عبد الله بن خَلَف الخزاعى وعلى قُضـاعة عبد الرحمن بن جابر الراسبى وعلى مَذحِج الربيع بن زياد الحارثى وعلى ربيعة عبد الله بن مالك . قالوا وأقام علىّ رضى الله عنه ثلاثة أيام يبعث رسله الى أهل البصرة فيدعوهم الى الرجوع الى الطاعة والدخول فى الجماعة فلم يجد عند القوم اجابة فزحف نحوهم يوم الخميس لعشر مضين من جمادى الآخرة وعلى ميمنته الاشـتر وعلى ميسرته عمّار بن ياسر والراية العظمى فى يد ابنـه محمد بن الحَنَفيّة ثم سار نحو القوم حتى دنا بصـفوفه من صفوفهم فواقفهم من صلاة الغداة الى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم وأهل البصرة وقوف تحت راياتهم وعائشة فى هودجها أمام القوم . قالوا وان الزبير لما علم أن عمارا مع علىّ رضي الله عنهم ارتاب بمـا كان فيه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقّ مع عمّار وتقتلك الفئة الباغية . قالوا ثم ان عليـا دنا من صفوف أهـل البصرة وأرسل الى الزبير يسأله ليدنو فيكلمه بمـا يريد وأقبل الزبير حتى دنا من عليّ رضى الله عنـه فوقفا جميعا بين الصفين حتى اختلفت أعناق فرسـيهما فقال له علىّ ناشدتك الله يا أبا عبد الله هل تذكر يوما مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ويدى فى يدك فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم أتُحبه قلتَ نعم يا رسول الله فقال لك أمَا انك تقاتله وأنت له ظالم فقـال الزبير نعم أنا ذاكر له ثم انصرف عليّ الى موقفه وقال لأصحابه احمـلوا على القوم فقد أعذَرنا اليهم فحمل بعضهم على بعض فاقتتلوا بالقنا والسيوف . وأقبل الزبير حتى دنا من ابنه عبد الله وبيده الراية

العظمى فقال يا بُنيّ أنا منصرف قال وكيف يا أبت قال ما لى فى هذا الأمر من بصيرة وقد أذكرنى عليّ أمرًا قد كنت غفلت عنه فانصرف يابنيّ معى فقال عبد الله والله لا أرجع أو يحكم الله بيننا فتركه الزبير ومضى نحو البصرة ليتحمّل منها ويمضى نحو الحجاز . ويقال ان طلحة لما علم بانصراف الزبير همّ بأن ينصرف فعلم مروان بن الحكم ما يريده فرماه بسهم فوقع فى ركبته فنُزف حتى مات . وأقبل الزبير حتى دخل البصرة وأمر غلمانه أن يتحملوا فيلحقوا به وخرج من ناحية الخُرَيبة فمر بالاحنف بن قيس وهو جالس بفناء داره وحوله قومه وقد كانوا اعتزلوا الحرب فقال الاحنف هذا الزبير ولقد انصرف لأمر فهل فيكم من يأتينا بخبره فقال له عمرو بن جُرْموز أنا آتيك بخبره فركب فرسه وتقلّد سيفه ومضى فى أثره وذلك قبل صلاة الظهر فلحقه وقد خرج من دور البصرة فقال له أبا عبد الله ما الذى تركتَ عليه القوم قال الزبير تركتهم و بعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف قال فأين تريد قال أنصرف لحال بالى فمالى فى هذا الأمر من بصيرة قال عمرو بن جرموز وأنا أيضا أريد الخرَيبة فسر بنا فسارا حتى دنا وقت الصلاة فقال الزبير ان هذا وقت الصلاة وأنا أريد أن أقضيها قال عمرو وأنا أريد أن أقضيها قال الزبير أنت منى فى أمان فهل أنا منك كذلك قال نعم فنزلا جميعا وقام الزبير فى الصلاة فلما سجد حمل عليه عمرو بالسيف فضربه حتى قتله وأخذ درعه وسيفه وفرسه وأقبل حتى أتى عليًّا وهو واقف والناس يجتلدون بالسيوف فألقى السلاح بين يديه فلما نظر عليّ رضي الله عنه الى السيف قال ان هذا السيف طالما

فرّج به صاحبه الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشِرْ يا قاتل ابن صفية بالنار فقال عمرو تقتل أعداءكم وتُبشرُوننا بالنار . قالوا ثم ان عليّا أمر ابنه محمد بن الحنفية فقال تقدّم برايتك وكان معه الراية العظمى فتقدّم بها وقد لاثِ أهل البصرة بعبد الله بن الزبير وقلّدوه الأمر فتقدّم محمد بالراية فاستقبله أهل البصرة بالقنا والسيوف فوقف بالراية فتناولها منه عليّ رضي الله عنه وحمل وحمل معه الناس ثم نلولها ابنه محمدا واشتدّ القتال وحميت الحرب وانكشف الناس عن الجمل وقُتل كعب بن نور وثبتت الازد وضبة فقاتلوا قتالا شديدا فلما رأى عليّ شدّة صبر أهل البصرة جمع اليه حُماة أصحابه فقال ان هؤلاء القوم قد مَحِكوا فأصدقوهم القتال فخرج الاشتر وعديّ بن حاتم وعمرو بن الحَمِق وعمّار بن ياسر فى عددهم من أصحابهم فقال عمرو بن يثربى لقومه وكانوا فى ميمنة أهل البصرة ان هؤلاء القوم الذين قد برزوا اليكم من أهل العراق هم قَتَلة عثمان فعليكم بهم وتقدّم أمام قومه بنى ضبة فقاتل قتالا شديدا وكثرت النبل فى الهودج حتى صار كالقنفذ وكان الجمل مجففا والهودج مُطبق بصفائح الحديد وصبر الفريقان بعضهم لبعض حتى كثرت القتلى وثار القتام وطلّت الألوية والرايات وحمل عليّ بنفسه وقاتل حتى انثنى سيفه وخرج فارس أهل البصرة عمرو بن الاشرف لا يخرج اليه حد من أصحاب عليّ الا قتله وهو يرتجز ويقول

يا أُمّنا يا خيرَ أمّ نعلمُ ... والأُمُّ تغذو وُلْدَها وتَرْحَمُ
ألا تَرَيْنَ كم جوادٍ يُكلَمُ ... وتُختلى هامَته والمِعصَمُ

فخرج اليه من أهل الكوفة الحرث بن زهير الأزدىّ وكان من فرسان علي فاختلفا ضربتين فأوهط كل واحد منهما صاحبه فخرا جميعا صريعين يفحصان بأرجلهما حتى ماتا . قالوا وانكشف أهل البصرة انكشافة وانتهى الاشترُ الى الجمل وعبد الله بن الزبير آخذ بخطامه فرمى الأشتر بنفسه على عبد الله بن الزبير فصار تحته فصاح عبد الله بن الزبير اقتلونى وما لكا فثاب الى ابن الزبير أصحابه فلما خاف الاشتر على نفسه قام عن عبد الله ابن الزبير وقاتل حتى خلص الى أصحابه وقد عار فرسه فقال لهم ماأنجانى الا قول اقتلونى ومالكا فلم يدر القوم من مالك ولو قال اقتلونى والأشتر لقتلونى وقاتل عدى بن حاتم حتى فقئت احدى عينيه وقاتل عمرو بن الحمق وكان من عباد أهل الكوفة ومعه النساك قتالا شديدا فضرب بسيفه حتى انثنى ثم انصرف الى أخيه رياح فقال له رياح يأخى ماأحسن مانصنع اليوم ان كانت الغلبة لنا . قالوا ولما رأى على لوث أهل البصرة بالجمل وانهم كلما كشفوا عنه عادوا فلاذوا به قال لعمار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن عبادة والاشتر وابن بديل ومحمد بن أبى بكر وأشباههم من حماة أصحابه ان هؤلاء لايزالون يقاتلون مادام هذا الجمل نصب أعينهم ولو قد عقرفسقط لم تبت له ثابتة فقصدوا بذوى الجد من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه وأفضى اليه رجل من مرّاد الكوفة يقال له أعين بن ضبيعة فكشف عرقوبه بالسيف فسقط وله رغاء فغرق فى القتلى ومال الهودج بعائشة فقال علىّ لمحمد بن أبى بكر تقدم الى أختك فدنا محمد فأدخل يده فى

الهودج فنالت يده ثياب عائشة فقالت انا لله من أنت ثكلتك أمك فقال أنا أخوك محمد ونادى علي رضى الله عنه فى أصحابه لاتتبعوا موليا ولا تجهزوا على جريح ولا تنتهبوا مالا ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن قال فجعلوا يمرون بالذهب والفضة فى معسكرهم والمتاع فلا يعرض له أحد الا ما كان من السلاح الذى قاتلوا به والدواب التى حاربوا عليها فقال بعض أصحابه ياأمير المؤمنين كيف حلّ لنا قتالهم ولم يحلّ لناسبيهم وأموالهم فقال عليّ رضى الله عنه ليس على الموحّدين سبي ولا يغنم من أموالهم الا ما قاتلوا به وعليه فدعوا مالا تعرفون والزموا ماتؤمرون. قال وأمر عليّ محمد بن أبي بكر أن ينزل عائشة فأنزلها دار عبد الله بن خلف الخُزاعيّ وكان عبد الله فيمن قُتل ذلك اليوم فنزلت عند امرأته صَفِيَة وقال عليّ رضى الله عنه لمحمد انظر هل وصل الى أختك شئ قال أصاب ساعدها خدشُ سهم دخل بين صفائح الحديد . ودخل عليّ رضى الله عنه البصرة فأتى مسجدها الاعظم واجتمع الناس اليه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله ذو رَحمة واسعة وعِقاب أليم فما ظنكم بى يا أهل البصرة جند المرأة واتباعَ البهيمة رغا فقاتلتم وعُقر فانهزمتم أخلاقكم دِقاق وعهدكم شقاق وماؤكم زُعاقٌ أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء وأيْمُ الله ليأتينّ عليها زمان لا يُرَى منها الا شُرُفات مسجدها فى البحر مثل جُؤجؤ السفينة انصرفوا الى منازلكم ثمّ نزل وانصرف الى معسكره وقال لمحمد بن أبي بكر سر مع أختك حتى توصلها الى المدينة وعجل اللحوق بى بالكوفة فقال اعفنى من ذلك يا أمير

المؤمنين فقال علي لا أعفيك ومالك بُدّ فسار بها حتى أوردها المدينة وشخص علي عن البصرة واستعمل عليها عبد الله بن عباس فلما انتهى الى المربد التفت الى البصرة ثم قال الحمد لله الذي أخرجني من شر البِقاع ترابا وأسرعها خرابا وأقربها من الماء وأبعدها من السماء ثم سار فلما أشرف على الكوفة قال ويحك يا كوفان ما أطيب هواءك وأغذى تُرْبتك الخارج منك بذنب والداخل اليك برحمة لاتذهب الأيام والليالي حتى يجيء اليك كلّ مؤمن ويُبغض المُقام بك كلّ فاجر وتَعمَرين حتى ان الرجل من أهلك ليُبكّر الى الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة . قالوا وكان مقدمُه الكوفة يومَ الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقيل له ياأمير المؤمنين أتنزل القصر قال لا حاجة لي في نزوله لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يبغضه ولكني نازل الرَحْبة ثمّ أقبل حتى دخل المسجد الاعظم فصلّى ركعتين ثم نزل الرحبة فقال الشنّيّ يحرض عليّا على المسير الى الشام

قُل لهذا الامام قد خَبَتِ الحر ... ب وتَمّتْ بذلك النعماء

وفرغْنا من حَرب من نكث العهـ ... ـدَ وبالشام حَيّةٌ صَمّاء

تَنفُثُ السمَّ ما لِمَن نَهشَتْه ... فارمِها قبلَ أن تَعَضَّ شفاء

قالوا وان أوّل جمعة صلّى بالكوفة خطب فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه وأومن به وأتوكّل عليه وأعوذ بالله من الضلالة والردى من يهده الله فلا مُضِلّ له ومَن يُضْلل فلا هادي لهُ وأشهد أن لااله الاّ الله وحده لاشريك له وأشهدُ أن محمدا عبده ورسوله انتخبه لرسالته واختصّه لتبليغ

أمره أكرم خلقه عليه وأحبهم اليه فبلّغ رسالة ربه ونصح لأمّته وأدى الذى عليه صلى الله عليه وسلم أوصيكم عباد الله بتقوى الله فان تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله وأقرب به لرضوان الله وأفضله فى عواقب الامور عند الله وبتقوى الله أمرتم وللاحسان خلقتم فاحذروا من الله ماحذركم من نفسه فانه حذّر بأسًا شديدا واخشوا الله خشيةً ليست بتعذير واعملوا فى غير رياء ولا سُمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ماعمل ومن عمل مخلصا له تولاّه الله وأعطاه أفضل نيّته واشفقوا من عذاب الله فانه لم يخلقكم عبثًا ولم يترك شيئا من أمركم سُدًى قد سمى آثاركم وعلم أسراركم وأحصى أعمالكم وكتب آجالكم فلا تُغرّنكم الدنيافانها غرّارة لاهلها والمغرور من اغترّبها والى فناء مّاهى وان الآخرة هى دار القرار نسأل الله منازل الشهداء ومرافقة الانبياء ومعيشة السعداء فانما نحن به وله . ثم وجّه عمّاله الى البلدان فاستعمل على المدائن وجُوخَى كلها يزيد بن قيس الارحبّى وعلى الجبل وأصبهان محمد بن سُلَيم وعلى البهقُباذات قُرط بن كعب وعلى كسكر وحيزها قُدامة بن عجلان الازدى وعلى بَهُرَسير واستانها عدىّ بن الحارث وعلى استان العالى حسّان بن عبد الله البكرىّ وعلى استان الزوابى سعيد بن مسعود الثقفىّ وعلى سجستان وحيزها رِبْعِىّ بن كاسٍ وعلى خراسان كلها خُليد بن كاسٍ . فأما خليد بن كاس فانه لما دنا من خراسان بلغه ان أهل نيسابور خلعوا يدا من طاعة وانه قدمت عليهم بنتٌ لكسرى من كابُل فمالوا معها فقاتلهم خليد فهزمهم وأخذ ابنة كسرى بأمان وبعث بها الى علىّ فلما أُدخلت

عليه قال لها أتحبين أن أزوّجك من ابنى هذا يعنى الحسن قالت لا أتزوّج أحدا على رأسه أحد فان أنت أحببت رضيتُ بك قال انى شيخ وابنى هذا من فضله كذا وكذا قالت قـد أعطيتُك الجُملة فقام رجل من عظماء دهاقين العراق يسمى نرسى فقال ياأمير المؤمنين قدبلغك أنى من سنْخ المملكة وأنا قرابتها فزَوّجنيها فقال هى أملكُ بنفسها ثم قال لها انطلقى حيث شئتِ وانكحى من أحببت لا بأس عليك . واستعمل على الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمدوميّا فارقين وهيت وعانات وما غلب عليها من أرض الشام الاشتر فسار اليها فلقيه الضحاك بن قيس الفهرى وكان عليهامن قبل معاوية بن سفيان فاقتتلوا بين حَرّان والرَقّة بموضع يقال له المرج الى وقت المساء و بلغ ذلك معاوية فأمـد الضحاك بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى خيل عظيمة و بلغ ذلك الاشتر فانصرف الى الموصل فأقام بها يقاتل من أتاه من اجناد معاوية

(وقعة صفين)

ثم كانت وقعة صفيّن . قالوا وضربت الركبانُ الى الشام بنعى عثمان وتحريض معاوية على الطلب بدمه فبينا معاوية ذات يوم جالس اذ دخـل عليه رجل فقال السلام عليك ياأمير المؤمنين فقال معاوية وعليك من أنت لله أبوك فقد روعتنى بتسليمك علىّ بالخلافة قبل أن أنالها فقال أنا الحجاج بن خزيمة بن الصـمة قال فيم قدمت قال قدمت قاصـدا اليـك بنعى عثمان ثم أنشأ يقول

انّ بنى عمك عبــدِ المطلب　　　هم قتلوا شيخكم غيرَ الـكذِب

وأنت أولى الناس بالوثبِ فثب وسر مسير المحزَئلّ المتلئب

قال ثم انى كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد لنصر عثمان فلم نلحقه فلقيت رجلا ومعى الحارث بن زفر فسألناه عن الخبر فأخبرنا بقتل عثمان وزعم انه ممن شايع على قتله فقتلناه وانى أخبرك انك تقوى بدون مايقوى به على علىّ لان معك قوما لايقولون اذا سكتّ و يسكتون اذا نطقتَ ولا يسألون اذا أمرت ومع علىّ قوم يقولون اذا قال و يسألون اذا سكت فقليلك خير من كثيره وعلىّ لا يرضيه الا سخطك ولا يرضى بالعراق دون الشام وأنت ترضى بالشام دون العراق فضاق معاوية بما أتاه به الحجاج بن خزيمة ذرعا فقال

أتانى أمرٌ فيه للناس غمةٌ وفيه بكاءٌ للعيون طويلُ
مصابُ أمير المؤمنين وهذه تكاد لها صُمُّ الجبال تزول
فلله عينا من رأى مثل هالك أصيب بلا ذحل وذاك جليل
تداعت عليه بالمدينة عصبةٌ فريقان منهم قاتلٌ وَخذُولُ
دَعاهم فصموا عنه عند دعائه وذاك على مافى النفوس دليل
سأنعى أبا عمرو بكل مثقف و بيض لها فى الدارعين صليلُ
تركتك للقوم الذين تظافروا عليك فماذا بعد ذاك أقولُ
فلست مقيما ماحييت ببلدة أجرّ بها ذيلى وأنت قتيلُ
وأما التى فيها مودّةٌ بيننا فليس اليها ماحييت سبيل
سألقحها حربا عوانا ملحة وانى بها من عامنا لكفيلُ

وكتب علىّ الى جرير بن عبد الله البجلى وكان عامل عثمان بأرض الجبل

مع زَحْر بن قيس الجعفى يدعوه الى البيعة له فبايع وأخذ بيعة من قبله وسار حتى قدم عليه الكوفة وكتب الى الأشعث بن قيس بمثل ذلك وكان مقيما بأذربيجان طول ولاية عثمان بن عفان وكانت ولايته مما عتب الناس فيه على عثمان لانه ولاه عندمصاهرته اياه وتزويج ابنة الاشعث من ابنه ويقال ان الاشعث هو الذى افتتح عامّة اذربيجان وكان له بها أثرٌ ونصحٌ واجتهاد وكان كتابه اليه مع زياد بن مرحب فبايع لعلىّ وسار حتى قدم عليه الكوفة وان عليا أرسل جرير بن عبد الله الى معاوية يدعوه الى الدخول فى طاعته والبيعة له أو الايذان بالحرب فقال الاشتر ابعث غيره فانى لا آمن مداهنته فلم يلتفت الى قول الاشتر فسار جرير الى معاوية بكتاب علىّ فقدم على معاوية فألفاه وعنده وجوه أهل الشام فناوله كتاب علىّ وقال هذا كتاب علىّ اليك والى أهل الشام يدعوكم الى الدخول فى طاعته فقد اجتمع له الحرمان والمصران والحجازان واليمن والبحران وعمان واليمامة ومصر وفارس والجبل وخراسان ولم يبق الا بلادكم هذه وان سال عليها واد من أوديته غرّقها وفتح معاوية الكتاب فقرأه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علىّ أمير المؤمنين الى معاوية بن أبى سفيان اما بعد فقد لزمك ومن قِبَلك من المسلمين بيعتى وانا بالمدينة وأنتم بالشام لانه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فليس للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وانما الامر فى ذلك للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل مسلم فسموه اماما كان ذلك لله رضًى فان خرج من أمرهم أحد بطعن

فيه أو رغبة عنه رُدّ الى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غيرَ سبيل المؤمنين وولاه الله ماتولى ويُصلِه جهنمَ وساءتْ مصيرًا فادخُلْ فيما دخل فيه المهاجرون والانصار فان أحبَّ الامور فيك وفيمن قبلك العافية فان قبلتَها والاَّ فائذنْ بحرب وقد أكثرتَ في قتَلَة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكِمِ القوم اليّ أحمِلْك وايّاهم على مافى كتاب الله وسنّة نبيّه فاماتلك التى تريدها فانما هى خُدْعة الصبيّ عن الرضاع. فجمع معاوية اليه أشراف أهل بيته فاستشارهم فى أمره فقال أخوه عُتبة ابن أبي سفيان استعِنْ على أمرك بعمرو بن العاص وكان مقيما فى ضيعة له من حيز فلسطين قد اعتزل الفتنة فكتب اليه معاوية انه قد كان من أمر عليّ فى طلحة والزبير وعائشة أمّ المؤمنين مابلغك وقد قدم علينا جرير بن عبد الله فى أخْذنا ببيعة عليّ فحبستُ نفسى عليك فاقبِلْ أُناظرك فى ذلك والسلام. فسار ومعه أبناه عبد الله ومحمد حتى قدم على معاوية وقد عرف حاجة معاوية اليه فقال له معاوية أبا عبد الله طرقَتْنا فى هذه الأيام ثلاثة أمور ليس فيها وِرْدٌ ولا صَدْرٌ قال وماهنّ قال امّا أوّلهنّ فان محمد بن حُذيفة كسر السجن وهرب نحو مصر فيمن كان معه من أصحابه وهو من أعدى الناس لنا وأما الثانية فان قيصر الروم قد جمع الجنود ليخرج الينا فيحاربنا على الشام وأما الثالثة فان جريرا قدم رسولا لعليّ بن أبي طالب يدعونا الى البيعة له أو ايذان بحرب. قال عمرو أما ابن أبي حذيفة فما يغُمّك من خروجه من سجنك فى أصحابه فأرسلْ فى طلبه الخيل فان قدرتَ عليه قدرت وان لم تقدر عليه لم يضرّك وأما قيصر فاكتب اليه تُعلمه أنك تردّ

عليه جميع من فى يديك من أسارى الروم وتسأله الموادعة والمصالحة تجده سريعا الى ذلك راضيا بالعفو منك وأما علىّ بن أبى طالب فان المسلمين لا يُساوون بينك و بينه قال معاوية انه مالأ على قتل عثمان وأظهر الفتنة وفرّق الجماعة قال عمرو انه وان كان كذلك فليست لك مثل سابقته وقرابته ولكن مالى ان شايعتُك على أمرك حتى تنال ماتريد قال حكمك قال عمرو اجعل لى مصر طعمةً مادامت لك ولاية فتلكأ معاوية وقال ياأبا عبد الله لو شئت أن أخدعك خدعتك قال عمر وماثلى يخدع قال له معاوية ادن منى أُسارّك فدنا عمرو منه فقال هذه خُدعة هل ترى فى البيت غيرى وغيرك ثم قال ياأبا عبد الله أما تعلم أن مصر مثل العراق قال عمرو غير أنها انما تكون لى اذا كانت لك الدنيا وانما تكون لك اذا غلبتَ عليّا فتلكأ عليه وانصرف عمرو الى رحله فقال عُتبة لمعاوية أما ترضى أن تشترى عمرا بمصر ان صَفَت لك فِليتك لاتُغلَب على الشام وقال معاوية بِتْ عندنا ليلتَك هذه فبات عتبة عنده فلما أخذ معاوية مضجعه أنشأ عتبة

أيُّها المانعُ سيفًا لم يُهَزّ ... انما ملتَ على خزٍّ وقَزّْ

انمـا أنت خرُوفٌ ناعمٌ ... بين ضَرْعين وصُوف لم يُجَزّ

ذالك الخير فخذ مِن درّه ... شُخبه الاوَل واترُكْ ماعزَزْ

واترك الحِرْص عليها ضِنّةً ... واشبُبِ النارَ لمقرور يُكَزْ

انّ مصرًا لعلىٍّ أوْ لنا ... يُغلب اليومَ عليها من عجز

وسمع معاوية ذلك فلما أصبح بعث الى عمرو فأعطاه ما سأل وكتب بينهما

فى ذلك كتابا ثم ان معاوية استشار عمرًا فى أمره وقال ماترى قال عمرو انه قد أتاك فى هذه البيعة خبرُ أهل العراق من عند خير الناس ولستُ أرى لك أن تدعو أهل الشام الى الخلاف فان ذلك خطر عظيم حتى تتقدّم قبل ذلك بالتوطين للاشراف منهم واشراب قلوبهم اليقين بأن عليًا مالأ على قتل عثمان واعلم ان رأس أهل الشام شُرَحْبيلُ بن السِمْط الكندىُّ فارسل اليه ليأتيك ثمَّ وَطّن له الرجال على طريقه كله يُخبرونه بأن عليا قتل عثمان وليكونوا من أهل الرضا عنده فانها كلمةٌ جامعة لك أهلَ الشام وان تعلَقْ هذه الكلمةُ بقلبه لن يخرجها شئٌ أبدًا فدعا يزيدَ بن أسد وبُسر بن أبى ارطاة وسفيان بن عمرو ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك وحابس بن سعيد وغير هؤلاء من أهل الرضا عند شُرَحْبيل بن السمط فوطّنهم له على طريقه ثم كتب اليه يأمره بالقدوم عليه . فكان يلقى الرجل بعد الرجل من هؤلاء فى طريقه فيخبرونه أن عليا مالأ على قتل عثمان ثم أشْرَبوا قلبَه ذلك فلما دنا من دمشق أمر معاوية أشراف الشام باستقباله فاستقبلوه وأظهروا تعظيمه فكان كلّما خلا برجل منهم ألقى اليه هذه الكلمة فأقبل حتى دخل على معاوية مغضبا فقال أَبى الناس الاّ أن ابن أبى طالب قتل عثمان والله لئن بايعتَه لنُخرجنّك من الشام فقال معاوية ما كنتُ لاخالف أمركم وانما أنا واحد منكم قال فاردُدْ هذا الرجل الى صاحبه يعنى جريرا فعلم عند ذلك معاوية أن أهل الشام مع شرحبيل فقال لشرحبيل ان هذا الذى تهمّ به لا يصلح الا برضا العامة فسِر فى مدائن الشام فاعلمْهم ما نحن عليه من الطلب بثأر خليفتنا

وبايعهم على النصرة والمعونة فسار شرحبيل يستقرى مدن الشام مدينةً بعد مدينة ويقول أيها الناس ان عليا قتل عثمان وانه غضب له قوم فلقيهم فقتلهم وغلب على أرضهم ولم يبق الاهذه البلاد وهو واضعٌ سيفه على عاتقه وخائض به غمرات الموت حتى يأتيكم ولا يجدُ أحداً أقوى على قتاله من معاوية فانهضوا أيها الناس بثأر خليفتكم المظلوم فأجابه الناس كلّهم الاّ نفرا من أهل حمص نُسّاكا فانهم قالوا نلزم بيوتنا ومساجدنا وأنتم أعلم فلما ذاق معاوية أهل الشام وعرف مبايعتهم له قال لجرير الحقْ بصاحبك واعلِمْه أنى وأهل الشام لانُجيبه الى البيعة ثم كتب اليه بأبيات كعب بن جُعَيل

أرى الشام تكرَهُ مُلكَ العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا
وكلٌّ لصاحبه مُبغضٌ ... يرَى كل ما كان من ذاك دينا
وقالوا علىٌّ امامٌ لنا ... فقُلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرَى أن تَدِينوا لنا ... فقُلنا لهم لا نرى أن ندينا
وكلٌّ يُسَرُّ بما عنده ... يرى غَثَّ ما فى يدَيْه سمينا
وما فى علىّ لمُستَعتِب ... مَقالٌ سوَى ضَمّه المُحْدِثينا
وليس براضٍ ولا ساخطٍ ... ولا فى النُهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سره ... ولا بُدّ من بعض ذا أن يكونا

فلما قرأ علىّ رضى الله عنه قال للنجاشىّ أجِبْ فقال

دَعنَّ معاوِىّ ما لَنْ يكونا ... فقد حقّق الله ما تحذَرونا
أتاكم علىٌّ بأهلِ العراق ... وأهل الحجازِ فما تَصنعونا

يرَوْن الطِعان خلالَ العَجاج وضربَ القوانسِ فى النَقْع دينا
هم هزموا الجمعَ جمعَ الزبير وطلحة والمعشرَ النا كثينا
فانْ يكْره القومُ ملكَ العراق فقدمًا رَضينا الذى تكرهونا
فقولوا لكعب أخى وائلٍ ومَن جعل الغثَّ يومًا سمينا
جعلتم عليًا وأشياعه نظيرَ ابن هندٍ أما تستَحونا

ولما رجع جرير الى علىّ كثر قول الناس فى التهمة له واجتمع هو والأشتر عند علىّ فقال الأشتر أما والله يا أمير المؤمنين لو أرسلتنى فيما أرسلت فيه هذا لما أرخيت من خناق معاوية ولم أدع لهُ بابا يرجو فتحه الاّ سددته وَلأعجلته عن الفكرة قال جرير فما يمنعك من اتيانهم قال الاشتر الآن وقد أفسدتهم والله ما أحسبُك أتيتهم الاّ لتتخذ عندهم مودّة والدليل على ذلك كثرة ذكرك مساعدتهم وتخويفًا بكثرة جموعهم ولو أطاعنى أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك من أهل الظنّة محبسا لاتخرجون منه حتى يستتبّ هذا الأمر فغضب جرير مما استقبله به الأشتر فخرج من الكوفة ليلا فى أناس من أهل بيته فلحق بقَرْقيسيا وهى كورة من كور الجزيرة فأقام بها وغضب على لخروجه عنه فركب الى داره فأمر بمجلس له فأُحرق فخرج أبو زُرْعَة ابن عمرو بن جرير فقال ان كان انسان قد أجرم فان فى هذه الدار أناسا كثيرًا لم يُجرموا اليك جُرْما وقد روّعتهم فقال علىّ رضي الله عنه أستغفر الله ثمّ خرج منها الى دار لابن عمّ جرير يقال له ثُوَيْر بن عامر وقد كان خرج معه فشعث فيها شيئا ثم انصرف . قالوا ولما فرغ علىّ رضى الله عنه

من أصحاب الجمل خافه عُبَيد الله بن عمر أن يقتله بالهُرمزان فخرج حتى لحق بمعاوية فقال معاوية لعمرو قد أحيا الله لنا ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقدوم عبيد الله ابنه علينا قال فأراده معاوية على أن يقوم فى الناس فيلزم عليا دمَ عثمان فأبى فاستخفّ بمعاوية ثم أدناه بعدُ وقرّبه . قالوا ولما عزم أهل الشام على نصر معاوية والقيام معه أقبل أبو مسلم الخَولانىّ وكان من عُبَّاد أهل الشام حتى قدم على معاوية فدخل عليه فى الناس من العُبَّاد فقال له يا معاوية قد بلغنا أنك تهمّ بمحاربة علىّ بن أبى طالب فكيف تُناويه وليست لك سابقته فقال لهم معاوية لست أدعى أنى مثله فى الفضل ولكن هل تعلمون أن عثمان قتل مظلوما قالوا بلى قال فليدفع الينا قتلتَه حتى نسلّم اليه هذا الامر قال أبو مسلم فاكتب اليه بذلك حتى أنطلق أنا بكتابك فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبى سفيان الى علىّ بن أبى طالب سلام عليك فانى أحمدُ اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان الخليفة عثمان قتل معك فى المحلّة وأنت تسمع من داره الهَيعة فلا تدفَع عنه بقول ولا بفعل وأقسم بالله قسما صادقا لوقمتَ فى أمره مقاما صادقا فنهنهتَ عنه ما عدَل بك مَن قِبلنا من الناس أحدا وأخرى أنت بها ظنينٌ ايواؤك قتلته فهم عضدك ويدك وَأنصارك وبطانتك وبلغنا أنك تبنّهل من دمه فان كنتَ صادقا فأمكنّا من قتلته نقتلهم به ونحن أسرع الناس اليك والا فليس لك ولا لاصحابك عندنا الا السيف فوالله الذى لا اله غيره لنطلبنّ قتلةَ عثمان فى البر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله والسلام . فسار أبو مسلم بكتابه

حتى ورد الكوفة ودخل على علىّ فناوله الكتاب فلما قرأه تكلّم أبومسلم فقال يا أبا الحسن انك قد قمتَ بأمرٍ ووليتَه ووالله ما نُحبّ أنه لغيرك ان أعطيتَ الحق من نفسك ان عثمان رضى الله عنه قُتل مظلوما فادفع الينا قتلَته وأنت أميرنا فان خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة وألسنتُنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحجّة فقال له علىّ اغدُ علىّ بالغداة وأمر به فأُنزل وأُكرم فلما كان من الغد دخل الى علىّ وهو فى المسجد فاذا هو نزهاء عشرة آلاف رجل قد لبسوا السلاح وهم ينادون كلّنا قتلة عثمان فقال أبو مسلم لعلىّ انى لأرى قوما مالك معهم أمر وأحسب أنه بلغهم الذى قدمت له ففعلوا ذلك خوفا من أن تدفعهم الىّ قال علىّ انى ضربتُ أنفَ هذا الامر وعينه فلم أر يستقيم دفعهم اليك ولا الى غيرك فاجلس حتى أكتب جواب كتابك ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علىّ أمير المؤمنين الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فانّ أخا خَوْلان قد قدم علىّ بكتاب منك تذكر فيه قطعى رحم عثمان وتأليبى الناس عليه وما فعلتُ ذلك غير أنه رحمه الله عتَب الناس عليه فمن بين قاتل وخاذل فجلست فى بيتى واعتزلت أمره الا أن تتجنى فتجنّ مابدالك فأما ما سألتَ من دفعى اليك قتلته فانى لا أرى ذلك لعلمى بأنك انما تطلب ذلك ذريعةً الى ماتأمل ومِرقاة الى ما ترجو وما الطلبَ بدمه تريد ولعمرى لئن لم تنزع عن غَيك وشقاقك لينزلن بك ما ينزل بالشاق العاصى الباغى والسلام . وكتب الى عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علىٍّ أمير المؤمنين الى عمرو بن

العاص أما بعد فان الدنيا مَشْغلة عن غيرها صاحبها منهوم فيها لا يصيب منها شيئا الا ازداد عليها حرصا ولم يستغن بما نال عمّا لا يبلغ ومن وراء ذلك فراق ماجمع والسعيد من اتّعظ بغيره فلا تحبط عملك بمجاراة معاوية فى باطلة فانه سفه الحقّ واختار الباطل والسلام . فكتب اليه عمرو بن العاص من عمرو ابن العاص الى علىّ بن أبى طالب أما بعد فان الذى فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تجيب الى ماندعوك اليه من شورَى تحملنا وايّاك على الحق و يعذرُنا الناس لها بالصدق والسلام . قالوا ولما أجمع علىّ على المسير الى أهل الشام وحضرت الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس سيروا الى أعداء السنن والقرآن سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار سيروا الى الجفاة الطَغام الذين كان اسلامهم خوفا وكرها سيروا الى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن المسلمين بأسهم . فقام اليه رجل من فزارة يسمى أرْبد فقال أتريد أن تسير بنا الى اخواننا من أهل الشام فنقتلهم كما سرت بنا الى اخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلاّ ها الله اذًا لا نفعل ذلك فقام الاشتر فقال أيها الناس من لهذا فهرب الفزارى وسعى شؤبوب من الناس فى أثره فلحقوه بالكناسة فضربوه بنعالهم حتى سقط ثم وطئوه بأرجلهم حتى مات فأخبر بذلك علىّ رضى الله عنه فقال قتيل عميّةٍ لا يُدرى من قتله فدفع ديته الى أهله من بيت المال وقال بعض شعراء بنى تميم

أعوذ بربى أن تكون منيّتى ... كما مات فى سوق البراذين أربد
تعاوره همدان خصفَ نعالهم ... اذا رُفعتْ عنه يدٌ وقعت يدُ

وقام الاشتر فقال ياأمير المؤمنين لا يؤنسنك من نصرتنا ما سمعت من هـذا الخائن ان جميع من ترى من الناس شيعتك لا يرغبون بأنفسهم عنـك ولا يحبون البقاء بعدك فسر بنا الى أعدائك فوالله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من أحبه ولا يعيش بالامل الا المغرور فأجابه جـل الناس الى المسير الا أصحاب عبـد الله بن مسعود وعَبيدة السَلْمانى والربيع بن خُثيم فى نحو من أربعمائة رجل من القُراء فقالوا ياأمير المؤمنين قد شككنا فى هـذا القتال مع معرفتنا فضلك ولا غـنى بك ولا بالمسلمين عمن يقاتل المشركين فولّنا بعض هذه الثغور لنقاتل عن أهله فولاّهم ثغر قَزْوين والرى وولى عليهم الربيع بن خثيم وعقد له لواء وكان أول لواء عقد بالكوفة. قالوا وبلغ عليا ان حُجرَ بن عدِى وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام فأرسل اليهما أن كُفّا عما بلغنى عنكما فاتياه فقالا ياأمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل قال بلى ورب الكعبة المسدّنة قالوا فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم قال كرهت لكم أن تكونوا شتّامين لعّانين ولكن قولوا اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلحْ ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق مَن جهله ويرعوى عن الغىّ من لَحجَ به قالوا ولما عزم علىّ رضى الله عنه على الشخوص أمر مناديا فنادى بالخروج الى المعسكر بالنخيلة فخرج الناس مستعدين واستخلف علىّ على الكوفـة أبا مسعود الانصارى وهو من السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العَقبة وخرج علىّ رضى الله عنـه الى النخيلة وأمامـه عمّار بن ياسر فأقام بالنخيلة مُعسكرا

وكتب الى عمّاله بالقدوم عليه . ولما انتهى كتابه الى ابن عباس ندب الناس وخطبهم وكان من تكلم الأحنف بن قيس ثم قام خالد بن المعمَّر السَدُوسىّ ثم قام عمرو بن مرحوم العَبدىّ وكلهم أجاب وسارع فخلف على البصرة أبا الأسود الديلى وسار بالناس حتى قدم على علىّ بالنخيلة فلما اجتمع الى علىٍّ قواصيه وانضمّت اليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيلة ودعا زياد بن النضْر وشُرَيح بن هانئ فعقد لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وقال ليسر كل واحد منكما منفردا عن صاحبه فان جمعَتكما حرب فأنت يازياد الامير واعلما أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدّمة طلائعهم فايّا كما أن تَسأما عن توجيه الطلائع ولا تسيرا بالكتائب والقبائل من لدن مسيركما الى نزولكما الا بتَعبية وحذر واذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم فى أشرف المواضع ليكن ذلك لكم حصنا حصينا واذا غشيكم الليل فحفّوا عسكركم بالرماح والتِرَسَة وليَلِيَهم الرماة وما أقمتم فكذلك فكونوا لان لا يصاب منكم غرّة واحرساعسكركما بأنفسكما ولا تذوقا نوما الا غِرارًا ومضمضة وليكن عندى خبركما فانى ولاشئ الا ما شاء الله حثيث السير فى أثركما ولا تقاتلا حتى تُبْدَآ أو يأتيكما أمرى ان شاء الله . فلما كان اليوم الثالث من مخرجهما قام فى أصحابه خطيبا فقال يا أيها الناس نحن سائرون غدًا فى آثار مقدمتنا فايا كم والتخلف فقد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعىّ وجعلته على الساقة وامرته أن لا يدع أحدا الا ألحقه بنا فلما أصبح نادى فى الناس بالرحيل وسار فلما انتهى الى رسوم مدينة بابل قال لمن كان يسايره من أصحابه ان هذه مدينة قد خُسف بها

مرارا فحرّكوا خيلكم وأرخوا أعنّتها حتى تجوزوا موضع المدينة لعلنا ندرك العصر خارجا منها فحرك وحركوا دوابهم فخرج من حد المدينة وقدحضرت الصلاة فنزل فصلى بالناس ثم ركب وسار حتى انتهى الى دير كعب فجاوزه وأتى ساباط المدائن فنزل فيه بالناس وقدهيئت له فيه الانزال فلما أصبح ركب وركب الناس معه وانهم لثمانون ألف رجل أو يزيدون سوى الاتباع والخدم ثم سار حتى أتى مدينة الانبار فلما وافى المدائن عقد لمعْقل بن قيس فى ثلاثة آلاف رجل وأمره أن يسير على الموصل ونصيبين حتى يوافيه بالرّقة فسار حتى وافى حديثة الموصل وهى اذ ذاك المصر وانما بنى الموصل بعد ذلك مروان ابن محمد . فلما انتهى معقل لليها اذا هو بكبشين يتناطحان ومع معقل رجل من خَثعم يزجر فجعل الخثعمى يقول ايه ايه فأقبل رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فقاده وانطلق به فقال الخثعمىّ لمعقل لاتُغلبون ولاتغلِبون فقال معقل يكون خيرا ان شاء الله ثم مضى حتى وافى عليا وقد نزل البليخ فأقام ثلاثا ثم أمر بجسر فعقد وعبر الناس ولما قطع علىّ رضى الله عنه الفرات أمر زياد بن النضر وشرَيح بن هانئ ان يسيرا أمامه فسارا حتى انتهيا الى مكان يُدعى سور الروم لقيهما أبو الاعور السلمى فى خيل عظيمة من أهل الشام فأرسلا الى علىّ يُعلمانه ذلك فأمر علىّ الاشتر أن يسير اليهما وجعله أميرا عليهما فسار حتى وافى القوم فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض حتى جنّ عليهم الليل وأنسل أبو الاعور فى جوف الليل حتى أتى معاوية وأقبل معاوية بالخيل نحو صفين وعلى مقدمته سفيان بن عمرو وعلى ساقته بُسر بن أبى ارطاة العامرى فأقبل

سفيان بن عمرو ومعه أبو الاعور حتى وافيا صفين وهى قرية خراب من بناء الروم منها الى الفرات غلوة وعلى شط الفرات مما يليها غيضة ملتفة فيها نزوز طولها نحو من فرسخين وليس فى ذينك الفرسخين طريق الى الفرات الا طريق واحد مفروش بالحجارة وسائر ذلك خلاف وغرب ملتف لا يُسلك وجميع الغيضة نزُوزٌ ووحلٌ الا ذلك الطريق الذى يأخذ من القرية الى الفرات . فأقبل سفيان بن عمرو وأبو الاعور حتى سبقا الى موضع القرية فنزلا هناك مع ذلك الطريق ووافاهما معاوية بجميع الفيلق حتى نزل معهما وعسكر مع القرية وأمر معاوية أبا الاعور أن يقف فى عشرة آلاف من أهل الشام على طريق الشريعة فيمنع من أراد السلوك الى الماء من أهل العراق وأقبل علىّ رضى الله عنه حتى وافى المكان فصادف أهل الشام قد احتووا على القرية والطريق فأمر الناس فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية وانطلق السقاؤون والغلمان الى طريق الماء فحال أبو الاعور بينهم وبينه وأُخبر علىّ رضى الله عنه بذلك فقال لصعصعة ابن صوحان ائت معاوية فقل له انا سرنا اليكم لنعذر قبل القتال فان قبلتم كانت العافية أحبّ الينا وأراك قد حلت بيننا وبين الماء فان كان أعجب اليك أن ندع ما جئنا له وندر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال الوليد أمنعهم الماء كما منعوه أمير المؤمنين عثمان أقتلهم عطشا قتلهم الله فقال معاوية لعمرو بن العاص ما ترى قال أرى أن تخلى عن الماء فان القوم لن يعطشوا وأنت ريّان فقال عبد الله بن أبى سرح وكان أخا عثمان لامه امنعهم الماء الى الليل لعلهم أن ينصرفوا الى طرف الغيضة فيكون

انصرافهم هزيمة فقال صعصعة لمعاوية ماالذى ترى قال معاوية ارجع فسيأتيكم رأيي فانصرف صعصعة الى عليّ فأخبره بذلك وظل أهل العراق يومهم ذلك وليلتهم بلا ماء الا من كان ينصرف من الغلمان الى طرف الغيضة فيمشى مقدار فرسخين فيستقى فغمّ عليا رضى الله عنه أمر الناس غما شديدا وضاق بما أصابهم من العطش ذرعا فأتاه الاشعث بن قيس فقال ياأمير المؤمنين ايمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا ولنى الزحف اليه فوالله لا أرجع أو أموت ومُر الاشتر فلينضمّ الىّ فى خيله فقال له علىّ ائت فى ذلك مارأيت. فلما أصبح زاحف أبا الأعور فاقتتلوا وصدقهم الأشترُ والأشعثُ حتى نفيا أبا الاعور وأصحابه عن الشريعة وصارت فى أيديهما فقال عمرو بن العاص لمعاوية ماظنك بالقوم اليوم ان منعوك الماء كما منعتهم أمس فقال معاوية دع مامضى ماظنك بعلىّ قال ظنى انه لا يستحل منك مااستحللت منه لانه أتاك في غير أمر الماء . ثم توادع الناس وكف بعض عن بعض وأمر علىّ أن لا يمنع أهل الشام من الماء فكانوا يسقون جميعا ويختلط بعضهم ببعض ويدخل بعضهم فى معسكر بعض فلا يعرض أحد من الفريقين لصاحبه الا بخير ورجوا أن يقع الصلح . وأقبل عبيد الله بن عمر بن الخطاب حتى استأذن على علىّ فأذن له فدخل عليه فقال له علىّ أقتلتَ الهرمزان ظلما وقد كان أسلم على يدى عمى العباس وفرض له أبوك فى الفين وترجو أن تسلم منى فقال له عبيد الله الحمد لله الذى جعلك تطلبنى بدم الهرمزان وأنا أطلبك بدم أمير المؤمنين عثمان فقال له علىّ ستجمعنا واياك الحرب فتعلم . قال فلم

يزالوا يتراسلون شهرى ربيع وجمادى الاولى ويفزعون فيما بين ذلك يزحف بعضهم الى بعض فيحجز بينهم القراء والصالحون فيفترقون من غير حرب حتى فزعوا فى هذه الثلاثة الاشهر خمسا وثمانين فزعة كل ذلك يحجز بينهم القراء فلما انقضت جمادى الاولى بات على رضى الله عنه يعبي أصحابه ويكتب كتائبه وبعث الى معاوية يؤذنه بحرب فعبى معاوية أيضا أصحابه وكتب كتائبه فلما أصبحوا تزاحفوا وتواقفوا تحت راياتهم فى صفوفهم ثم تحاجزوا فلم تكن حرب وكانوا يكرهون أن يلتقوا بجميع الفيلقين مخافة الاستئصال غير أنه يخرج الجماعة من هؤلاء الى الجماعة من أولئك فيقتتلون بين العسكرين فكانوا كذلك حتى أهلى هلال رجب فأمسك الفريقان . قالوا وأقبل أبو الدرداء وأبو أُمامة الباهلىّ حتى دخلا على معاوية فقالا على ما تقاتل عليا وهو أحق بهذا الامر منك قال أقاتله على دم عثمان قالا أو هو قتله قال آوَى قتلته فسلوه أن يسلم الينا قتلتَه وأنا أوّل من بايعه من أهل الشام فأقبلا الى علىّ رضى الله عنه فأخبراه بذلك فاعتزل من عسكر علىّ زهاء عشرين ألف رجل فصاحوا نحن جميعا قتلنا عثمان فخرج أبو الدرداء وأبو أُمامة فلحقا ببعض السواحل ولم يشهدا شيئاً من تلك الحروب . وان معاوية بعث الى شرحبيل ابن السمط وحبيب بن مسلمة ومَعن بن يزيد بن الاخنس وقال انطلقوا اليه وسلوه أن يسلم الينا قتلة عثمان ويتخلى مما هو فيه حتى نجعلها شُورَى بين المسلمين يختارون لانفسهم من رضوا وأحبوا فأقبلوا حتى دخلوا على علىّ رضى الله عنه فبدأ حبيب بن مسلمة فتكلّم بما حمله معاوية فقال له علىّ وما أنت

وذاك لاأُمَّ لك فلست هناك فقام حبيب مغضبا فقال والله لترينى بحيث تكره فقال شرحبيل أفلا تسلم الينا قتلة عثمان قال علىّ انى لا أستطيع ذلك وهم زهاء عشرين الف رجل فقاما عنه فخرجا . قالوا فمكث الناس كذلك الى أن انسلخ المحرَّم وفى ذلك يقول حابس بن سعد الطائىّ وكان صاحب لواء طيّئ مع معاوية

فما بين المنايا غيرُ سبع بقين من المحرم أو ثمان

ألم يعجبك انا قدهجمنا واياهم على الموت العيان

أينهانا كتاب الله عنهم ولا ينهاهم آى القُران

فلما انسلخ المحرَّم بعث علىّ مناديا فنادى فى عسكر معاوية عند غروب الشمس انّا أمسكنا لتنصرم الاشهر الحرم وقد تصرَّمت وانّا نَنبذ اليكم على سواء ان الله لايحب الخائنين فبات الفريقان يكتّبون الكتائب وقد أوقدوا النيران فى العسكرين فلما أصبحوا تزاحفوا وقد استعمل علىّ على الخيل عمّار ابن ياسر وعلى الرجّالة عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعىّ ودفع الراية العظمى الى هاشم بن عُتبة المِرقال وجعل على الميمنة الاشعث بن قيس وعلى الميسرة عبد الله بن عبّاس وعلى رجّالة الميمنة سُليمان بن صُرَد وعلى رجّالة الميسرة الحرث بن مُرّة العبدى وجعل فى القلب مضر وفى الميمنة ربيعة وفى الميسرة أهل اليمن وضمّ قريشا وأسدا وكنانة الى عبد الله بن عبّاس وضمّ كندة الى الاشعث وضمّ بكر البصرة الى الحُضين بن المنذر وضمّ تميم البصرة الى الأحنف بن قيس وولى أمر خُزاعة عمرو بن الحَمِق وولى بكر

الكوفة نُعَيم بن هُبيرة وولى سعد رباب البصرة خارجة بن قُدَامة وولى
بَجيلة رِفاعة بن شدّاد وولى ذهل الكوفة رُويما الشيبانى وولى حنظلةالبصرة
أعيَن بن ضبَيعة وجعل على قضاعة كلها عدىّ بن حاتم وجعل على لهـازِم
الكوفة عبد الله بن بُدَيل وعلى تميم الكوفة عمير بن عُطارد وعلى الأزد
جندُب بن زهير وعلى ذهل البصرة خالد بن مَعْمَرْ وعلى حنظلة الكوفة
شَبَثَ بن رِبعىّ وعلى هَمْدان سعد بن قيس وعلى لهازِم البصرة خزَيمة بن
خازم وعلى سعد رِباب الكوفة أبا صِرْمة واسمه الطفَيل وعلى مَذْحج الاشتر
وعلى عبد قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل وعلى عبد قيس البصرة عمر و بن
حنظلة وعلى قيس البصرة شدّادا الهلالى وعلى اللفيف من القواصى القاسم بن
حنظلة الجهَنى . واستعمل معاوية على الخيل عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى
الرجَلة مُسلم بن عُقبة لعنه الله وعلى الميمنة عُبيد الله بن عمر بن الخطاب وعلى
الميسرة حبيب بن مَسلمة ودفع اللواء الأعظم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
واستعمل على أهل دمشق الضحاك بن قيس وعلى أهل حِمص ذا الكَلاع
وعلى أهل قِنسرين زفَر بن الحرث وعلى أهل الأردنّ سفيان بن عمرو وعلى
أهل فِلسطين مَسلمة ابن خالد وعلى رجّالة دمشق بُسر بن أبى أرطاة وعلى رجّالة
حمص حَوْشبا ذا ظليم وعلى رجالة قنسرين طريف بن حابس وعلى رجالة الأردن
عبد الرحمن القَينىّ وعلى رجالة فلسطين الحرث بن خالد الازدى وعلى قيس
دمشق همّام ابن قَبيصة وعلى قيس حمص هلال بن أبى هُبيرة وعلى رجالة الميمنة
حابس ابن ربيعة وعلى قضاعة دمشق حسّان بن بَحدَل وعلى قضاعة حمص عبَّاد

ابن يزيد وعلى كندة دمشق عبد الله بن جون السكسكي وعلى كندة حمص يزيد بن هبيرة وعلى النمر بن قاسط يزيد بن أبى أسد العجلى وعلى حمير هانئ بن عمير وعلى قضاعة الاردن مخارق بن الحرث وعلى لخم فلسطين نابل بن قيس وعلى همدان الاردن حمزة بن مالك وعلى غسان الاردن زيد ابن الحرث وعلى أهل القواصى القعقاع بن أبرهة وعلى الخيل كلها عمرو بن العاص وعلى الرجلة كلها الضحاك بن قيس واصطف كل فريق منهم سبعة صفوف صفين فى الميمنة وصفين فى الميسرة وثلاثة صفوف فى القلب فكان الفريقان أربعة عشر صفا فوقفوا تحت راياتهم لا ينطق أحد منهم بكلمة فخرج رجل من أهل العراق يسمى جحل بن أثال وكان من فرسان العرب فوقف بين صفوف أهل العراق وأهل الشام ثم نادى هل من مبارز وهو متقنع بالحديد فخرج اليه أبوه أثال وكان من معدودى فرسان أهل الشام متقنعا بالحديد ولم يعلم واحد منهما من صاحبه فتطاردا والناس قد شخصت أبصارهم ينظرون فطعن كل واحد منهما صاحبه فلم يصنعا شيئا لكمال لامتيهما فحمل الأب على الابن فاحتضنه حتى أشاله عن سرجه فسقط وسقط الاب عليه فانكشفت وجوههما فعرف كل واحد منهما صاحبه فانصرفا الى عسكريهما ثم تفرق الناس يومئذ ولم يكن بينهما غير هذا . فلما أصبحوا عادوا الى مواقفهم كما كانوا بالامس فخرج عتبة بن أبى سفيان حتى وقف على فرسه بين الصفين فدعا جعدة بن هبيرة بن أبى وهب القرشى ليخرج اليه فأقبل جعدة حتى دنا من عتبة فتجاريا ما هم فيه وتقاولا حتى أغضب جعدة عتبة فتناوله عتبة

بلسانه فانصرفا مغضبين وعبّى كل واحد منهما لصاحبه كتيبة فاقتتلوا بين الصفين وأعين الناس اليهم وباشر جعدة القتال فانهزم عتبة وانصرف الفريقان لم يكن بينهم يومئذ الا ذاك فقال النجاشي يذكر ما كان بينهما

ان شتمَ الكريم يا عُتبَ خطْبٌ . فاعلمنهُ من الخطوب عظيم

أمه أم هانئٍ وأبوه من لؤيٍّ بن غالب الصميم

انه للهُبيرة بن أبي وَهب أقرّت بفضله مخزوم

وقال أيضا

مازلتَ تنظرُ فى عطفيك أُبَّهةً لا يرفعُ الطرف منك التيه والصلَفُ

لمّا رأيتهمُ صُبحًا حسبتَهم أُسدَ العَرينِ حَمى أشبالها الغَرَفُ

ناديتَ خَيلك اذ عضّ السيوف بها عوجي الىّ فما عاجوا وما وقفوا

هلاّ عطفتَ الى قَتلى مصرّعةً منها السكونُ ومنها الازْدُ والصدَفُ

قد كنت فى منظر عن ذا ومُستَمع يا عُتب لولا سفاهُ الرأى والترف

قالوا وخرج الاشعث فى يوم من الايام فى خيل من ابطال أهل العراق فخرج اليه حبيب بن مَسلمة فى مثل ذلك من أهل الشام واقتتلوا بين الصفين مليًا حتى مضى جلّ النهار ثم انصرفوا وقد انتصف بعضهم من بعض . وخرج يوما آخر المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فى خيل فخرج اليه أبو الاعور السُلمىّ فى مثل ذلك فاقتتلوا بين الصفين جل النهار فلم يفرّ أحد عن أحد وخرج يوما آخر عمّار بن ياسر فى خيل من أهل العراق فخرج اليه عمرو بن العاص فى مثل ذلك ومعه شُقة سوداء على قناة فقال الناس هذا لواء عقده

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علىّ رضى الله عنه أنا مخبركم بقصة هذا اللواء هذا لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يأخذه بحقّه فقال عمرو وما حقه يا رسول الله فقال لا تفرّ به من كافر ولا تقاتل به مسلما فقد فرّ به من الكافرين فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قاتل به المسلمين اليوم فاقتتل عمرو وعمار ذلك اليوم كله لم يولّ واحد منهما صاحبه الدبرَ .

وخرج فى يوم آخر محمد بن الحنفية فخرج اليه عبيد الله بن عمر فى مثل عدده من أهل الشام فقال عبيد الله لابن الحنفية ابرُزْ لى فقال محمد نَزالِ قال وذاك فنزلا جميعا عن فرسيهما ونظر علىّ اليهما فحرّك فرسه حتى دنا من محمد ثم نزل وقال لمحمد أمسك علىَّ فرسى ففعل ومشى الى عبيد الله فولى عنه عبيد الله وقال مالى فى مبارزتك من حاجة انما أردت ابنك فقال محمد يا أبت لو تركتَنى أبارزه لرجوت أن أقتله قال لو بارزتَه لرجوت ذلك وما كنتُ آمنا أن يقتلك واقتتلت خيلاهما الى أنصاف النهار ثم انصرفت وكلٌّ غير غالب

وخرج فى يوم آخر عبد الله بن عباس فى خيل من أهل العراق فخرج اليه الوليد بن عتبة فى مثلها من أهل الشام فقال الوليد يا ابن عباس قطعتم أرحامكم وقتلتم امامكم ولم تدركوا ما أملتم فقال له ابن عباس دع عنك الأساطير وابرز الىّ فأبى الوليد وقاتل ابن عباس يومئذ بنفسه قتالا شديدا ثم انصرفا مستصفَين

وخرج فى يوم آخر عمرو بن العاص فى خيل من أهل الشام فخرج اليه سعد ابن قيس الهمدانى فى مثل ذلك من أهل العراق وعمرو يرتجز

لا تأمننَّ بعدها أبا حسنْ طاحنةً تدُقُّكم دقَّ الطَّحَنْ

انا نُمِرُ الحربَ امرارَ الرَّسنْ

فبـدر ممن كان مع عمرو فتى من أهل الشام يسمى حُجر الشرّ فدعا للبراز فبرز اليه حجر بن عدىّ فاطّعنا فطعنه حجر الشر طعنة أذراه عن فرسه وحماه أصحابه فانصرفا وقد جرحه السنان فخرج اليه الحكم بن أزهر وكان من أشراف الكوفة فاختلفا ضربتين فضربه حجر الشر فقتله ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه ابن عمّ للحكم يسمى رفاعة بن طليق فضرب حجر الشر فقتله فقال علىّ الحمد لله الذى قتل هذا

(مقتل عبد الله بن بديل)

وخرج فى يوم آخر عبد الله بن بُديل الخزاعىّ وكان من أفاضل أصحاب علىّ فى خيل من أهل العراق فخرج اليه أبو الاعور السُّلَمى فى مثل ذلك من أهل الشام فاقتتلوا هُوِيًّا من النهار فترك عبد الله أصحابه يمتركون فى مجالهم وضرب فرسه حتى أحماه ثم أرسله على أهل الشام فشقّ جموعهم لا يدنو منه أحد إلا ضربه بالسيف حتى انتهى الى الراية التي كان معاوية عليها فقام أصحاب معاوية دونه فقال معاوية ويحكم ان الحديد لم يؤذَن له فى هذا فعليكم بالحجارة فرُثّ بالصخر حتى مات فأقبل معاوية حتى وقف عليه فقال هذا كبش القوم هذا كما قال الشاعر

أخو الحرب إنْ عضّتْ به الحرب عضّها وان شمَّرَت عن ساقها الحرب شمَّرَا
كليثِ عرِينٍ بات يَحمى عرينَه رَمته المنايا قصْدَها فتقطرَا

قالوا وكان فارس معاوية الذى ينتهىْ به حُرَيْث مولاه وكان يلبس بزّة

معاوية ويستلئم سلاحه ويركب فرسه ويحمل متشبّها بمعاوية فاذا حمل قال الناس هذا معاوية وقد كان معاوية نهاه عن علىّ وقال اجتنبه وضع رمحك حيث شئت فخلا به عمرو وقال ما يمنعك من مبارزة علىّ وأنت له كفوء قال قد نهانى مولاى عنه قال انى والله لأرجو ان بارزته أن تقتله فتذهب بشرف ذلك فلم يزل يُزَين له ذلك حتى وقع فى قلب حرَيث فلما أصبحوا خرج حريث حتى قام بين الصفين وقال يا أبا الحسن ابرز الىّ أنا حريث فخرج اليه علىّ فضربه فقتله . وبعث علىّ يوما من تلك الايام الى معاوية لمَ تقتل الناس بينى وبينك ابرز إلىّ فأيُّنا قتل صاحبه تولى الأمر فقال معاوية لعمرو ما ترى قال قد أنصفك الرجل فابرز اليه فقال معاوية أتخدعنى عن نفسى ولِمَ أبرز اليه ودونى عَكٌّ والأشعَرون ثم قال

ما لِلملوك وللبِراز وانما حظُّ المبارِزِ خطفةٌ من بازِ

ووجد من ذلك على عمرو فهجره أياما فقال عمرو لمعاوية أنا خارج الى علىّ غدا فلما أصبحوا بدر عمرو حتى وقف بين الصفين وهو يرتجز

شُدًّا علىَّ شِكَّتى لا تَنكشِفْ يومٌ لِهَمْدان ويومٌ للصدَفْ

ولتمِيم مثلُه أو تَنحرفْ والرَّبَعيون لهم يومٌ عَصِيفْ

اذا مشيتُ مشيةَ العَوْد النَّطِفْ أطعنهم بكل خطّىٍّ ثَقِفْ

ثم نادى يا أبا الحسن اخرج الىّ أنا عمرو بن العاص فخرج اليه علىّ فتطاعنا فلم يصنعا شيئا فانتضى علىٌّ سيفه فحمل عليه فلما أراد أن يُجَلّله رمى بنفسه عن فرسه ورفع احدى رجليه فبدت عورته فصرف علىّ وجهه وتركه وانصرف عمرو

الى معاوية فقال له معاوية احمد الله وسوداء أستك يا عمرو . قالوا وخرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب يوما من تلك الايام وكان من فرسان العرب وأبطالها فى خيل من أهل الشام وخرج الاشتر فى مثلها فاشتدت بينهما الحرب فالتق عبيد الله والاشتر فحمل عبيد الله على الاشتر و بدره الاشتر بطعنة فأخطأه وأسرع الاشتر فى أصحاب عبيد الله فانصرف الفريقان وللاشتر الفضل . وخرج يوما آخر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان من معدودى رجال معاوية فخرج اليه عدى بن حاتم فى مثلها فاقتتلوا يومهم كله ثم انصرفوا وكل غير غالب وخرج يوما ذو الكلاع فى أربعة آلاف فارس من أهل الشام قد تبايعوا على الموت فحملوا على ربيعة وكانوا فى ميسرة على وعليهم عبد الله بن عباس فتصدعت جموع ربيعة فناداهم خالد بن المعمر يا معشر ربيعة أسخطتم الله فثابوا اليه فاشتد القتال حتى كثرت القتلى ونادى عبيد الله ابن عمر أنا الطيبُ بن الطيب فسمعه عمار فناداه بل أنت الخبيثُ بن الطيب ثم حمل عبيد الله وهو يرتجز

انا عبيدُ الله ينمينى عُمرْ   خيرُ قريش من مَضى ومن غَبرْ
غير رسول الله والشيخ الأغرْ   أبطأ عن نصرِ ابن عفان مُضَرْ

والربعيون فلا أسقطوا المطر

فضرب شمر بن الريّان العجلى فقتله وكان من فرسان ربيعة

(مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب)

فلما أصبحوا اخرج عبيد الله فيمن كان معه بالامس وخرجت اليهم ربيعة

فاقتتلوا بين الصفين وعبيد الله امامهم يضرب بسيفه فحمل عليه حُرَيث بن جابر الحنفيّ فطعنه فى لبّته فقتله وقد اختلفوا فى قتله فقال همدان قتله هانئُ بن الخطاب وقال حضرموت قتله مالك بن عمرو الحضرمىّ وقالت ربيعة حريث ابن جابر الحنفىّ وهو المجتمَعُ عليه فقال كعب بن جُعَيل يرثيه

ألا انما تبكى العيون لفارسٍ ... بصفين أجلت خيله وهو واقفُ

فأضحى عبيدُ الله بالقاعِ مسلما ... تمجُّ دما منه العروق النوازفُ

ينوء وتعلوه سبائِبُ من دمٍ ... كما لاحَ فى جيب القميص الكفائف

وقد ضربت حول ابن عم نبينا ... من الموت شهباء المناكب شارِفُ

تموجُ تَرَى الرايات حمرا كأنها ... اذا صوّبَتْ للطعن طيرٌ عواكف

جزَى الله قتلانا بصفين ماجزَى ... عبادا له اذ غودر وافى المزاحفِ

(مقتل ذي الكلاع)

قالوا وخرج ذو الكلاع فى يوم من تلك الايام فى كتيبة من أهل الشام من عك ولخم فخرج اليه عبد الله بن عباس فى ربيعة فالتقوا ونادى رجل من مذحج العراق يال مذحج خدّموا فاعترضت مذحج عكا يضربون سوقهم بالسيوف فيبركون فنادى ذو الكلاع يال عك بروكا كبروك الابل وحمل رجل من بكر بن وائل يسمى خِندفا على ذى الكلاع فضربه بالسيف على عاتقه فقدّ الدرع وفرَى عاتقه فخرّ ميتا . فلما قتل ذو الكلاع تمحكت عكّ وصبروا لعض السيوف فلم يزالوا كذلك حتى أمسوا وكان أهل العراق وأهل الشام أيام صفين اذا انصرفوا من الحرب

يدخل كل فريق منهم فى الفريق الآخر فلا يعرض أحدٌ لصاحبه وكانوا يطلبون قتلاهم فيخرجونهم من المعركة ويدفنونهم . قالوا وان عليا رضى الله عنه أشاع أنه يخرج الى أهل الشام بجميع الناس فيقاتلهم حتى يحكم الله بينه وبينهم ففزع الناس لذلك فزعا شديدا وقالوا انما كنا الى اليوم تخرج الكتيبة الى مثلها فيقتتلون بين الجمعين فان التقينا بجميع الفيلقين فهو فناء العرب وقام فى الناس خطيبا فقال ألا انكم ملاقوا القوم غدا بجميع الناس فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن وسلوا الله الصبر والنصر والقَوهم بالجدّ فقال كعب بن جُعيل

أصبحت الامةُ فى أمر عجب ... والملك مجموع غدا لمن غلبْ
أقولُ قولا صادقا غير الكذب ... ان غدا تَهلك أعلامُ العربْ

واجتمع أهل الشام الى معاوية فعرضهم فنادى مناديه أين الجندُ المقدمُ فخرج أهل حمص تحت راياتهم وعليهم أبو الاعور السّلمى ثم نادى أين أهل الاردنّ فخرجوا تحت راياتهم وعليهم زُفَر بن الحرث الكلابى ثم نادى أين جند الامير فجاء أهل دمشق تحت راياتهم وعليهم الضحاك بن قيس فأطافوا بمعاوية فعقد لعمرو بن العاص على جميع الناس وساروا حتى وقفوا بازاء أهل العراق وقعد معاوية على منبر ينظر منه فوق راية الى الفريقين اذا اقتتلوا وأقبلت عك الشام وقد عصّبوا أنفسهم بالعمائم وطرحوا بين أيديهم حجرا وقالوا لا نولى الدبر أو يولى معنا هذا الحجر فصفهم عمرو خمسة صفوف ووقف أمامهم يرتجز

يا أيها الجيشُ الصليب الايمانْ قوموا قياما فاستعينوا الرحمن
انى أتانى خـبرٌ فأبكانْ انّ عليا قتـل ابن عفّانْ
رُدُّوا علينا شيخنا كما كانْ

وأنشأ رجل من أهل الشام يقول

تبكى الكتيبةُ يومَ جرّ حديدَها يوم الوَغا جزعاً على عثمانا
يسلون حقّ الله لايعـدونه ومسألتم لعـلىّ السـلطانا
فأتوا ببينـة بمـا تسـلونه هـذا البيان فأحضروا البرهانا

ولما أصبح علىّ رضى الله عنه غلّس بصلاة الفجر ثم أمر أصحابه فخرجوا تحت راياتهم ثم جعل يدور على رايات أهل الشام فيقول من هؤلاء فيسمّون له حتى اذا عرفهم وعرف مراكزهم قال لأزد الكوفة اكفونى أزد الشام وقال لخثعم الكوفة اكفونى خثعم فأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام ثم أمرهم أن يحملوا من كل ناحية حملة رجل واحد فحملوا وحمل علىّ رضى الله عنه على الجمع الذى كان فيه معاوية فى أهل الحجاز من قريش والانصار وغيرهم وكانوا زهاء اثنى عشر ألف فارس وعلىّ أمامهم وكبروا وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض فانتقضت صفوف أهل الشام واختلفت راياتهم وانتهوا الى معاوية وهو جالس على منبره معه عمرو ابن العاص ينظران الى الناس فدعا بفرس ليركبه ثم ان أهل الشام تداعوا بعد جَوْلتهم وثابوا ورجعوا على أهل العراق وصبر القوم بعضهم لبعض الى أن حجز بينهم الليل فقتل فى ذلك اليوم اناس كثير من أعلام العرب

وأشرافهم فلما أصبحوا دخل الناس بعضهم فى بعض يستخرجون قتلاهم فيدفنونهم يومهم ذلك كله . ثم ان عليا قام فى عشية ذلك اليوم فى أصحابه فقال ياأيها الناس اغدوا على مصافكم وازحفوا الى عدوّكم وغضوا الابصار واخفضُوا الاصوات وأقلوا الكلام واثبتوا واذكروا الله كثيرا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . وقام معاوية فى أهل الشام فقال أيها الناس اصبروا وصابروا ولا تتخاذلوا ولا تتواكلوا فانكم على حق ولكم حجة وانما تقاتلون مَن سفك الدم الحرام فليس له فى السماء عاذر . وقام عمرو فقال أيها الناس قدموا المستلئمة وأخروا الحسّر وأعيروناجماجمكم اليوم فقد بلغ الحق مقطعه وانما هو ظالم أو مظلوم فبات الفريقان طول تلك الليلة يتعبّون للحرب ثم غدوا على مصافهم وحمل الفريقان بعضهم على بعض وحمل حبيب بن مسلمة وكان على ميسرة معاوية على ميمنة علىّ رضى الله عنه فانكشفوا وجالوا جولة ونظر علىّ الى ذلك فقال لسهل بن حنيف انهض فيمن معك من أهل الحجاز حتى تعين أهل الميمنة فمضى سهل فيمن كان معه من أهل الحجاز نحو الميمنة فاستقبلهم جموع أهل الشام فكشفوه ومن معه حتى انتهوا الى علىّ وهو فى القلب فجال القلب وفيه علىّ جولة فلم يبق مع علىّ الا أهل الحفاظ والنجدة فحث علىّ فرسه نحو ميسرته وهم وقوف يقاتلون من بازائهم من أهل الشام وكانوا ربيعة . قال زيد بن وهب فانى لانظر الى علىّ وهو يمر نحو ربيعة ومعه بنوه الحسن والحسين ومحمد وان النبل ليمرّ بين أذنيه وعاتقه وبنوه يقونه بأنفسهم فلما دنا علىّ من الميسرة وفيها الاشتر وقد

وقفوا فى وجوه أهل الشام يجالدونهم فناداه علىّ وقال ائت هؤلاء المنهزمين فقل أين فراركم من الموت الذى لم تُعجزوه الى الحياة التى لاتبقى لكم فدفع الاشتر فرسه فعارض المنهزمين فناداهم أيها الناس الىّ الىّ أنامالك بن الحارث فلم يلتفتوا اليه فظنّ انه بالاستعراف فقال أيها الناس أنا الاشتر فثابوا اليه فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام فقاتل بهم قتالا شديدا حتى انكشف أهل الشام وعادوا الى مواقفهم الاولى ورتّب الاشتر ميمنة علىّ رضى الله عنه والقلب مراتبهما قبل الجولة فلماعادوا الى مواقفهم جعل علىّ يسير فى الصفوف ويؤنبهم على ما كان من جولتهم وذلك مابين صلاة العصر والمغرب . قال ثم أن أهل الشام حملوا على تميم وكانوا فى الميمنة فكشفوهم فناداهم زَحر بن نهشل يا بنى تميم الى أين قالوا ألا ترى الى ما قد غشينا فقال ويحكم أفرارا واعتذارا ان لم تقاتلوا على الدين فقاتلوا على الاحساب احملوا معى فحمل وحملوا فقاتل حتى قُتل وهو أمامهم وحمل الناس جميعا بعضهم على بعض واقتتلوا حتى تكسّرت الرماح وتقطعت السيوف ثم تكادموا بالافواه وتحاثوا بالتراب ثم تنادوا من كل جانب يامعشر العرب من النساء والاولاد الله الله فى الحرمات وان عليا رضى الله عنه لينغمس فى القوم فيضرب بسيفه حتى ينثنى ثم يخرج متخضبا بالدم حتى يسوّى له سيفه ثم يرجع فينغمس فيهم وربيعة لا تترك جُهدا فى القتال معه والصبر وغابت الشمس وقربوا من معاوية فقال لعمرو ما ترى قال أرى ان تخلى سِرادِقك فنزل معاوية عن المنبر الذى كان يكون عليه وأخلى السرادق وأقبلت ربيعة واماما علىّ رضى الله عنه

حتى غشوا السرادق فقطَّعوه ثم انصرفوا وبات علىّ تلك الليلة فى ربيعة

(مقتل هاشم بن عتبة بن أبى وقاص المرقال)

فلما أصبح علىّ غادَى أهل الشام القتال ودفع رايته العظمى الى هاشم ابن عتبة فقاتل بها نهاره كله فلما كان العشىّ انكشف أصحابه انكشافةً وثبت هاشم فى أهل الحفاظ منهم والنجدة فحمل عليهم الحارث بن المنذر التنوخى فطعنه طعنة جائفةً فلم ينته عن القتال و وافاه رسول علىّ يأمره أن يقدم رايته فقال للرسول أنظر الى ما بى فنظر الى بطنه فرآه منشقا فرجع الى علىّ فأخبره ولم يلبث هاشم أن سقط وجال أصحابه عنه وتركوه بين القتلى فلم يلبث ان مات وحال الليل بين الناس و بين القتال . فلما أصبح علىّ غلس بالصلاة و زحف بجموعه نحو القوم على التعبية الاولى ودفع الراية الى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة وتزاحف الفريقان فاقتتلوا فرُوى عن القعقاع الظفرىّ أنه قال لقد سمعتُ فى ذلك اليوم من أصوات السيوف ما الرعد القاصف دونه وعلىّ رضى الله عنه واقف ينظر الى ذلك و يقول لاحول ولا قوة الا بالله والله المستعان (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) ثمَّ حمل علىّ بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم فانصرف متخضبا بالدماء فلم يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه وجُرح علىّ خمس جراحات ثلاث فى رأسه واثنتان فى وجهه . ثم تفرقوا وغدوا على مصافهم وعمرو بن العاص يقدم أهل الشام فحمل عبد الله بن جعفر ذو الجناحين فى قريش والانصار فى وجه عمرو فاقتتلوا وحمل غلامان اخوان من الانصار على جموع أهل الشام

حتى انتهيا الى سرادق معاوية فقتلا على باب السرداق ودارت رحى الحرب الى أن ذهب ثلث الليل ثم تحاجزوا ولما أصبح الناس اختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم فيدفنونهم . وكتب معاوية الى علىّ أما بعد فانى انما أقاتلك على دم عثمان ولم أر المداهنة فى أمره واسلامَ حقه فان أدرك بثأرى فيه فذاك والاّ فالموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم وانما مَثلى ومثل عثمان كما قال المخارق

فمهما تَسلْ عن نصرىَ السيدَ لاتجدْ لدَى الحرب بيتَ السيدِ عندى مُذَمّما

فكتب اليه علىّ أما بعد فانى عارض عليك ما عرض مخارق على بنى فالج حيث قال

يا راكبا اما عرضتَ فبلّغَا بَنى فالج حيثُ استقرّ قرارها
هلُموا الينا لاتكونوا كأنّكم بلاقعُ أرضٍ طار عنها غبارها
سُليمُ بن منصورٍ أُناسٌ أعزّةٌ وأرضهمُ أرضٌ كثيرٌ وبارُها

فكتب اليه معاوية انّا لم نزل للحرب قادةً وانما مثلى ومثلك ما قال أوسُ ابن حَجر

اذا الحربُ حلّتْ ساحةَ الحىّ أظهرَتْ عيوبَ رجالٍ يعجبونك فى الأمْنِ
وللحرْب أقوام يُحامون دونها وكم قد ترَى من ذى رُواء ولا يُغنى

ثم غدوا على الحرب وراية أهل الشام العظمى مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان يحمل بها ولا يلقاه شئ الا هدّه وكان من فرسان العرب وكانت من أهل العراق جولة شديدة فنادى الناس الاشتر وقالوا أما ترى اللواء أين

قد بلغ فتناول الاشتر لواء أهل العراق فتقدّم به وهو يرتجز

انى أنا الاشتر معروفُ الشَترْ   انى أنا الأفعى العراقىُّ الذكرْ

فقاتل أهل الشام حتى رد اللواء وردهم على أعقابهم ففى ذلك يقول النجاشى

رأيت اللواء كظلّ العُقابِ   يُقحّمه الشامىُّ الأخزَرُ

دعوْنا له الكبش كبش العراق   وقد خالطَ العسكرَ العسكرُ

فردّ اللواء على عَقْبِه   وَفاز بحُظوتها الأشتر

(مقتل حوشب ذى ظليم)

قالوا وأخذ الراية جُندب بن زُهير فخرج اليه حوشب ذو ظليم وكان من عظماء أهل الشام وفرسانهم فأخذ الراية وجعل يمضى بها قُدماويُنكىُ فى أهل العراق فخرج اليه سليمان بن صُرَد وكان من فرسان علىّ فاقتتلوا فقتل حوشبا وجال أهل العراق جولة انتقضت صفوفهم وانحاز أهل الحِفاظ منهم مع علىّ رضى الله عنه الى ناحية أخرى يقاتلون . وأقبل عدىّ بن حاتم يطلب عليا فى موضعه الذى خلفه فيه فلم يجده فسأل عنه فدُلّ عليه فأقبل اليه فقال يا أمير المؤمنين اما اذ كنتَ حيّا فالأمر أممٌ واعلم أنى ما مشيت اليك الا على اشلاء القتلى وما أبقى هذا اليوم لنا ولاهم عميدًا وكان أكثر من صبر فى تلك الساعة مع علىّ وقاتل ربيعة فقال علىّ رضى الله عنه يامعشرَ ربيعة أنتم درعى وسيفى ثم ركب الفرس الذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الريح وجنب بين يديه بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وتعمم بعمامته صلى الله عليه وسلم السوداء ثم أمر مناديه فنادى أيها الناس من

من يشرى نفسه لله فانتدب له الناس وانضموا اليه فأقبل بهم على أهل الشام حتى أزال راياتهم وجالوا جولة قبيحة حتى دعا معاوية بفرسه ليركبها ثم نادى مناديه فى أهل الشام الى أين أيها الناس أثيبوا فان الحرب سجال فثاب اليه الناس وكروا على أهل العراق وقال معاوية لعمرو قدّم عكّا والأشعريين فانهم كانوا أول من انهزم فى هذه الجولة فأتاهم عمرو فبلّغهم قول معاوية فقال رئيسهم مسروق العكّى انتظرونى حتى آتى معاوية فأتاه فقال افرض لقومى فى ألفين ألفين ومن هلك منهم فابن عمه مكانه قال ذلك لك فانصرف الى قومه فأعلمهم ذلك فتقدموا فاضطربوا هم وهمدان بالسيوف اضطرابا شديدا فأقسمت عكّ لا ترجع حتى ترجع همدان وأقسمت همدان على مثل ذلك فقال عمرو لمعاوية لقيت أسدٌ أسدا لم أر كاليوم قط فقال عمرو لو أن معك حيّا آخر كعكّ ومع علىّ كهمدان لكان الفناء .
وكتب معاوية الى علىّ بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبى سفيان الى علىّ بن أبى طالب أما بعد فانى أحسبك أن لو علمتَ وعلمنا أن الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نجنها على أنفسنا فانّا وان كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما ينبغى أن نندم على ما مضى ونُصلح ما بقى فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا أخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقّت الاجناد وتفانى الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا ما لا يستذَلّ به العزيز ولا يسترقّ به الحرّ والسلام . فكتب اليه علىّ رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر أنك لو علمت

وعلمنا أن الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نجنها على أنفسنا فاعلم انك وإيانا منها الى غاية لم نبلغها بعد وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فانك لست أمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة وأما قولك إنا بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل فليس كذلك لأن أمية ليس كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبى طالب ولا المهاجر كالطليق وفى أيدينا فضل النبوة التى بها قتلنا العزيز ودان لنا بها الذليل . ثم ان عليا رضى الله عنه غلّس بالصلاة صلاة الفجر وزحف بجموعه نحو أهل الشام فوقف الفريقان تحت راياتهم وخرج الاشتر على فرس كُميت ذَنوب مقنّعا بالحديد و بيده الرمح فحمل على أهل الشام فاتّبعه الناس وكسّر فيهم ثلاثة أرماح واضطرب الناس بالسيوف وعمد الحديد وبرز رجل من أهل الشام مقنّعا بالحديد ونادى يا أبا الحسن ادنُ منى أكلمك فدنا منه علىّ حتى اختلفت أعناق فرسيهما بين الصفين فقال ان لك قدما فى الاسلام ليس لأحد وهجرةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادا فهل لك أن تحقن هذه الدماء وتؤخر هذه الحرب برجوعك الى عراقك ونرجع الى شامنا الى أن تنظر وننظر فى أمرنا فقال على ياهذا انى قد ضربت أنف هذا الأمر وعينيه فلم أجده يسعنى الا القتال او الكفر بما أنزل الله على محمد ان الله لا يرضى من أوليائه أن يُعصى فى الارض وهم سكوت لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدتُ القتال أهون من معالجة الاغلال فى جهنم قال فانصرف الشامى وهو يسترجع ثم اقتتلوا

حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وأظلمت الارض من القتام
أصابهم البُهْر وبقي بعضهم ينظر الى بعض بهيرا فتحاجزوا بالليل وهي ليلة
الهرير ثم أصبحوا غداةَ هذه الليلة واختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم
يدفنونهم . ثم ان عليّا قام من صبيحة ليلة الهرير فى الناس خطيبا فحمد الله
أثنى عليه ثم قال أيها الناس انه قد بلغ بكم وبعدوّكم الأمر الى ما ترون ولم
بق من القوم الا آخر نفس فتأهبوا رحمكم الله لمناجزة عدوكم غدا (حتى يحكم
الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين)

(طلب التحكيم واختلاف أهل العراق)

وبلغ ذلك معاوية فقال لعمرو ماترى فانما هو يومنا هذا وليلتنا هذه قال
عمرو انى قد أعددت بحيلتى أمرا أخرته الى هذا اليوم فان قبلوه اختلفوا وان
ردوه تفرّقوا قال معاوية وما هو قال عمرو تدعوهم الى كتاب الله حكما بينك
وبينهم فانك بالغ به حاجتك فعلم معاوية ان الامر كما قال . قالوا وان الاشعث
بن قيس قال لقومه وقد اجتمعوا اليه قد رأيتم ما كان فى اليوم الماضى من
الحرب المبيرة وانا والله ان التقينا غدا انه لبوار العرب وضيعة الحرمات .
قالوا فانطلقت العيون الى معاوية بكلام الاشعث فقال صدق الاشعث لئن
التقينا غدا ليميلنّ الروم على ذرارى أهل الشام وليميلن دهاقين فارس على ذرارى
أهل العراق وما يُبصر هذا الامر الا ذوو الاحلام اربطوا المصاحف على
أطراف القنا . قالوا فربطت المصاحف فأول ماربط مصحف دمشق الاعظم
ربط على خمسة أرماح يحملها خمسة رجال ثم ربطوا سائر المصاحف جميع

ما كان معهم وأقبلوا فى الغلس ونظر أهل العراق الى أهل الشام قد أقبلوا وأمامهم شبيهٌ بالرايات فلم يدروا ماهو حتى أضاء الصبح فنظروا فاذا هى المصاحف . ثم قام الفضل بن أدهم أمام القلب وشريح الجذامىّ أمام الميمنة وورقاء بن المعمر أمام الميسرة فنادوا يامعشر العرب الله الله فى نسائكم وأولادكم من فارس والروم غدا فقد فنيتم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال على رضى الله عنه ما الكتاب تريدون ولكن المكر تحاولون ثم أقبل أبو الاعور السلمى على برذون أشهب وعلى رأسه مصحف وهو ينادى ياأهل العراق هذا كتاب الله حكما فيما بيننا وبينكم فلما سمع أهل العراق ذلك قام كردوس بن هانئ البكرىّ فقال ياأهل العراق لايهدئنكم ماترون من رفع هذه المصاحف فانها مكيدة . ثم تكلم سفيان بن ثور البكرىّ فقال أيها الناس انا قد كنا بدأنا بدعاء أهل الشام الى كتاب الله فردوا علينا فاستحللنا قتالهم فان رددناه عليهم حلّ لهم قتالنا ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله . ثم قام خالد بن المعمر فقال لعلىّ ياأمير المؤمنين ما البقاء الا فيما دعا القوم اليه ان رايته وان لم تره فرأيك أفضل . ثم تكلم الحضين بن المنذر فقال أيها الناس ان لنا داعيا قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على مافعل فان قال لا قلنا لا وان قال نعم قلنا نعم فتكلم على وقال عباد الله أنا أحرى من أجاب الى كتاب الله وكذلك أنتم غير ان القوم ليسوا يريدون بذلك الا المكر وقد عضتهم الحرب والله لقد رفعوها وما رأيهم العمل بها وليس يسعنى مع ذلك ان أُدعى الى كتاب الله فآبى وكيف وانما أقاتلهم ليدينوا بحكمه

فقال الاشعث يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا لك عليه أمس غير أن الرأى ما رأيت من اجابة القوم الى كتاب الله حكما فأما عدىّ بن حاتم وعمرو ابن الحمق فلم يهويا ذلك ولم يشيرا على علىّ به . ولما أجاب علىّ رضى الله عنه قالوا له فابعث الى الاشتر ليمسك عن الحرب ويأتيك وكان يقاتل فى ناحية الميمنة فقال علىّ ليزيد بن هانئ انطلق الى الاشتر فمره أن يدع ماهو فيه ويقبل فأتاه فأبلغه فقال ارجع الى أمير المؤمنين فقل له ان الحرب قد اشتجرت بينى وبين أهل الناحية فليس يجوز أن أنصرف فانصرف يزيد الى علىّ فأخبره بذلك وعلت الاصوات من ناحية الاشتر وثار النقع فقال القوم لعلىّ والله ما نحسبك أمرته الا بالقتال فقال كيف أمرته بذلك ولم أساره سرا . ثم قال ليزيد عد الى الاشتر فقل له أقبل فان الفتنة قد وقعت فأتاه فأخبره بذلك فقال الاشتر أَلِرَفع هذه المصاحف قال نعم قال أما والله لقد ظننت بها حين رُفعت انها ستوقع اختلافا وفرقة . فأقبل الاشتر حتى انتهى اليهم فقال يا أهل الوهن والذل أحين علوتم القوم تنكلون لرفع هذه المصاحف أمهلونى فواقا قالوا لا ندخل معك فى خطيئتك قال ويحكم كيف بكم وقد قتل خياركم وبقى أراذلكم فمتى كنتم محقين أحين كنتم تقاتلون أم الآن حين أمسكتم فما حال قتلاكم الذين لاتنكرون فضلهم أفى الجنة أم فى النار قالوا قاتلناهم فى الله وندع قتالهم فى الله فقال يا أصحاب الجباه السود كنا نظن أن صلاتكم عبادة وشوق الى الجنة فنرا كم قد فررتم الى الدنيا فقبحا لكم فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته بسياطهم وضرب هو وجوه دوابهم

بسوطه وكان مِسعَرُ بن فَدَكيّ وابن الكوّاء وطبقتهم من القراء الذين صاروا بعدُ خوارج كانوا من أشد الناس فى الاجابة الى حكم المصحف وأن معاوية قام فى أهل الشام فقال أيها الناس ان الحرب قد طالت بيننا وبين هؤلاء القوم وأن كل واحد منا يظن انه على الحق وصاحبه على الباطل وانا قد دعوناهم الى كتاب الله والحكم به فان قبلوه والا كنا قد أعذرنا اليهم. ثم كتب الى علىّ ان أول من يحاسب على هذا القتال أنا وأنت وأنا أدعوك الى حقن هذه الدماء والفة الدين واطراح الضغائن وأن يحكم بينى وبينك حكمان أحدهما من قبلى والآخر من قبلك مايجدانه مكتوبا مبينا فى القرآن يحكمان به فارضَ بحكم القرآن ان كنت من أهله . فكتب اليه علىّ دعوت الى حكم القرآن وانى لاعلم انك ليس حكمه تحاول وقد أجبنا القرآن الى حكمه لا اياك ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا . وكتب الى عمرو ابن العاص أما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئاً الا انفتح له بذلك حرص يزيده فيها رغبة ولن يستغنى صاحبُها بما نال منها عما لم ينله ومن وراء ذلك فراق ماجمع فلا تحبط عملك بمجاراة معاوية على باطله وان لم تنته لم تضرّ بذلك الا نفسك والسلام . فأجابه عمرو أما بعد فان الذى فيه صلاحنا وألفة ما بيننا الانابة الى الحق وقد جعلنا القرآن حكما بيننا وبينك لنرضى بحكمه ويَعذرنا الناس عند المناجزة والسلام . فكتب اليه علىّ أما بعد فان الذى أعجبك مما نازعَتك نفسُك اليه من طلب الدنيا منقلبٌ عنك فلا تطمئنّ اليها فانها غرّارة ولو اعتبرت

بما مضى انتفعت بما بقي والسلام . فكتب اليه عمرو أما بعد فقد أنصف من جعل القرآن حكما فصبرًا أبا حسن فانا غيرُ مُنيليك الاّ ماأنالك القرآن والسلام

(الاتفاق على التحكيم)

فاجتمع قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام فقعدوا بين الصفين ومعهم المصحف يتدارسونه فاجتمعوا على أن يُحكموا حكمين وانصرفوا . فقال أهل الشام قد رضينا بعمرو وقال الأشعث ومن كان معه من قرّاء أهل العراق قد رضينا نحن بأبي موسى فقال لهم عليّ لست أثق برأي أبي موسى ولا بحزمه ولكن أجعلُ ذلك لعبد الله بن عباس قالوا والله ما نفرّق بينك وبين ابن عباس وكأنك تريد أن تكون أنت الحاكم بل اجعَله رجلاً هومنك ومن معاوية سواء ليس الى أحد منكما بأدنى منه الى الآخر قال عليّ رضي الله عنه فلم ترضون لاهل الشام بابن العاص وليس كذلك قالوا أولئك أعلم انما علينا أنفسنا قال فانى أجعل ذلك الى الأشتر قال الأشعث وهل سعر هذه الحرب الا الأشتر وهل نحن الا في حكم الأشتر قال عليّ وما حكمه قال يضربُ بعضُنا وجوه بعضٍ حتى يكون ما يريد الله قال فقد أبيتم الا أن تجعلوا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أحببتم . قالوا فارسلوا رسولاً الى أبي موسى وقد كان اعتزل الحرب وأقام بعُرض من أعراض الشام فدخل عليه مولى له فقال قد اصطلح الناس فقال الحمد لله رب العالمين قال وقد جعلوك حكما قال انا لله وانّا اليه راجعون فأقبل أبو موسى حتى دخل عسكر عليّ فولّوه الأمر ورضوا به فقبله فقال الأحنف بن قيس لعليّ انك قد مُنيت بحَجَر

الارض وداهية العرب وقد عجمتُ أبا موسى فوجدتُه كليلَ الشَفْرة قريب القَعْر وانه لايصلح لهذا الامر الا رجل يدنو من صاحبه حتى يكون فى كفّه ويبعد منه حتى يكون مكان النجم فان شئتَ أن تجعلنى حكما فافعل والا فثانيا أو ثالثا فان قلتَ انى لستُ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث رجلا من صحابته واجعلنى وزيرا له ومُشيرا فقال علىّ ان القوم قد أبوا أن يرضوا بغير أبى موسى والله بالغ أمره . قالوا فقال أيْمَنُ بن خُرَيْم الاسدى من أهل الشام وكان معتزلا للقوم

لو كان للقَوْم رأى يَهْتَدون به   بعد القضاء رَمَوْكم بابن عبَّاسِ
لكن رَمَوْكم بشيخ من ذَوِى يَمَنٍ   لم يَدْرِ ماضرب أخماس لاسداس

قالوا وقد كان معاوية جعل لايمن بن خريم ناحية من فلسطين على أن يبايعه فأبى وقال

لستُ بقاتل رجلاً يصلى   على سُلطان آخَرَ من قُريشِ
له سلطانه وعلىَّ اثمى   مَعاذَ الله من سفه وطيش
أأقتلُ مسلما فى غير حق   فليس بنافعى ماعشتُ عيشى

(عقد التحكيم)

قالوا فاجتمع أهل العراق وأهل الشام وأتوا بكاتب وقالوا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتقاضى عليه أميرُ المؤمنين فقال معاوية بئس الرجل أنا اذا ان أقررتُ بانه أمير المؤمنين ثم أقاتله قال عمرو اكتب اسمه واسم أبيه فقال الأحنف بن قيس ياأمير المؤمنين لاتمحُ اسم امرة المؤمنين فانى

أخاف ان محوتها لم ترجع اليك أبدا ولا تجبهم الى ذلك فقال علىّ الله أكبر سنّة بسنة أما والله لقد جرى على يدى نظير هذا يعنى القضية يوم الحديبية وامتناعَ قريش أن يكتب محمد رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب اكتب محمد بن عبد الله فكتبوا . هذا ما تقاضى عليه علىّ ابن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتُهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم قضيّةَ علىّ على أهل العراق شاهدهم وغائبهم وقضيّةَ معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم انا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته الى خاتمته نُحيي ماأحيا ونُميت ما أمات على ذلك تقاضينا وبه تراضينا وان عليّا وشيعتَه رضوا بعبد الله بن قيس ناظرا وحاكما ورضى معاوية وشيعته بعمرو بن العاص ناظرا وحاكما على أن عليّا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمّةَ رسوله أن يتخذا القرآن اماما ولا يعدوا به الى غيره فى الحكم بما وجداه فيه مسطورا وما لم يجدا فى الكتاب ردّاه الى سنة رسول الله الجامعة لايتعمّدان لها خلافا ولا يبغيان فيها بشُبهة وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو ابن العاص على علىّ ومعاوية عهدَ الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما فى كتاب الله وسنّة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه الى غيره وهما آمنان فى حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما مالم يعدوا الحق رضى به راض أوسخطه ساخط وان الامة أنصارُهما على ماقضيا به من الحق مما فى كتاب الله فان تُوفّى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة

فلشيعته وأصحابه أن يختاروا مكانه رجلا من أهل المعدلة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود فى هذه القضية فلشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله . وقد وقعت القضيّة بين الفريقين والمفاوضة ورُفع السلاحُ وقد وجبت القضية على ماسمينا فى هـذا الـكتاب من موقع الشرط على الاميرين والحكمين والفريقين والله أقرب شهيد وكفى به شهيدا فان خالفا وتعدّيا فالامة بريئة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم الى انقضاء الأجـل والسلاح موضوعة والسـبل آمنة والغائب من الفريقين مثل الشاهد فى الأمر . وللحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عـدلا بين أهل العراق وأهل الشام ولا يحضرهما فيه الا من أحبا عن تراض منهما والأجلُ الى انقضاء شهر رمضان فان رأى الحـكمان تعجيل الحـكومة عجلاها وان رأيا تأخيرها الى آخر الأجل أخّراها فان هما لم يحكما بما فى كتاب الله وسنّة نبيه الى انقضاء الأجـل فالفريقان على أمرهم الاوّل فى الحرب وعلى الامة عهدُ الله وميثاقه فى هذا الامر وهم جميعا يد واحدة على من أراد فى هذا الأمر الحادا أو ظلما أو خلافا . شهد على مافى هـذا الـكتاب الحسن والحسين ابنا علىّ بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب والأشعث بن قيس والاشتر بن الحارث وسعيد بن قيس والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب وأبو سعيد بن ربيعة الانصارىّ وعبد الله بن خباب بن الارتّ وسهل بن حنيف وأبو بشر بن عمر الانصارىّ

وعوف بن الحارث بن عبد المطلب ويزيد بن عبد الله الاسلمىّ وعقبة بن عامر الجهنىّ ورافع بن خديج الانصارىّ وعمرو بن الحمق الخزاعىّ والنعمان ابن العجلان الانصارىّ وحجر بن عَدِىّ الكندىّ ويزيد بن حجيّة النكرى ومالك بن كعب الهمدانىّ وربيعة بن شرحبيل والحارث بن مالك وحجر ابن يزيد وعلبة بن حجية . ومن أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهرىّ وأبو الاعور السلمى وبُسْر بن أبي أرطاة القرشىّ ومعاوية بن حديج الكندى والمخارق بن الحارث ومسلم بن عمرو السكسكىّ وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وحمزة بن مالك وسبيع بن يزيد الحضرَمىّ وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلقمة بن يزيد الكلبيّ وخالد بن الحصين السكسكىّ وعلقمة بن يزيد الحضرمىّ ويزيد بن أَبْجَر العبسىّ ومَسْروق بن جبلة العكىّ وبُسر ابن يزيد الحميرىّ وعبد الله بن عامر القرشىّ وعتبة بن أبي سفيان ومحمد ابن أبي سفيان ومحمد بن عمرو بن العاص وعمار بن الاحوص الكلبيّ ومسعَدة ابن عمرو العتْبىّ والصبَّاح بن جَلْهمة الحميرىّ وعبد الرحمن بن ذى الكلاع وثُمامة بن حَوْشَب وعلقمة بن حكم وكتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

(بدء أمر الخوارج)

وان الأشعث أخذ الكتاب فقرأه على الفريقين يمرّ به على راية راية وقبيلة قبيلة فيقرأه عليهم فمرّ برايات عنزَة وكان مع علىّ منهم أربعة آلاف رجل فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم اسمهما مَعْدان وجَعْد لا حُكمَ الاّ لله ثم شدّا

على أهل الشام فقاتلا حتى قُتلا وهما أوّل من حكّم . ثم مرّ على رايات مُراد فقرأه عليهم فقال صالح بن شَقيق وكان من أفاضلهم لاحكمَ الاّ لله وان كره المشركون . ثم مرّ به على رايات بنى راسِب فتنادوا لا يُحكّم الرجالُ فى دين الله . ثم مرّ به على رايات بنى تميم فقالوا مثل ذلك فقال عُرْوة بن أُدَيّة أتحكمون فى دين الله الرجالَ فأين قَتْلانا يا أشعث ثم حمل بسيفه على الاشعث فأخطأه وأصاب السيفُ عجز دابّته فانصرف الاشعث الى قومه فمشى اليه سادات تميم فاعتذروا اليه فقبل وصفح . وأقبل سليمان بن صُرَد الى علىّ مضروبا فى وجهه بالسيف فقال ياأمير المؤمنين أما لو وجدتُ أعوانا ما كتبت هذه الصّحيفة . وقام مُحرِز بن خُنَيس بن ضليع الى علىّ فقال ياأمير المؤمنين أما الى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل فوالله انى لخائف أن يورّثك ذُلا قال علىّ أبعد أن كتبناه ننقُضه هذا لا يجوز . ثم ان عليّا ومعاوية اتّفقا على أن يكون مجتمع الحكمين بدُومة الجَنْدَل وهو المَنْصَف بين العراق والشام

(اجتماع الحكمين بدومة الجندل)

ووجّه علىّ مع أبى موسى شريح بن هانئ فى أربعة آلاف من خاصّته وصيّر عبد الله بن عباس على صلاتهم وبعث معاوية مع عمرو بن العاص أبا الاعور السُلَمىّ فى مثل ذلك من أهل الشام فساروا من صفين حتى وافوا دومة الجندل وانصرف علىّ بأصحابه حتى وافى الكوفة وانصرف معاوية بأصحابه حتى وافى دمشق ينتظران ما يكون من أمر الحكمين . وكان علىّ اذا كتب الى ابن عبّاس فى أمر اجتمع اليه أصحابه فقالوا ما كتب

اليك أمير المؤمنين فيكتمهم فيقولون لم كتمتنا وانما كتب اليك فى كذا
وكذا فلا يزالون يز كنون حتى يقفوا على ما كتب به وتأتى كتب معاوية
الى عمرو بن العاص فلا يأتيه أحد من أصحابه يسأله عن شئ من أمره
قالوا وكتب معاوية الى عبد الله بن عمر بن الخطّاب والى عبدالله بن الزبير
والى أبي الجَهم بن حُذيفة والى عبدالرحمن بن عبد يغُوث أما بعدفان الحرب
قد وضعت أوزارها وصار هذان الرجلان الى دُومة الجندل فاقدموا عليهما
ان كنتم قد اعتزلتم الحرب فلم تدخلوا فيما دخل فيه الناس لتشهدوا ما يكون
منهما والسلام. فلما أتاهم كتابه ساروا جميعا الى دومة الجندل فأقاموا ينتظرون
ما يكون من الرجلين وحضر معهم سعد بن أبي وقاص وسار المُغيرة بن شُعبة
وكان مقيما بالطائف لم يشهد شيئا من تلك الحروب حتى أتى دومة الجندل
فأقام ينتظر ما يكون منهما فلما طال مقامه سار من هناك حتى أتى معاوية
بدمشق فقال له معاوية أشِرْ علىّ بما ترى فقال له المغيرة لو أشرتُ عليك
لقاتلتُ معك ولكنى قد أتيتُك بخبر الرجلين قال وما خبرهما قال انى خلوت
بأبى موسى لأَبلو ماعنده فقلت ماتقول فيمن اعتزل عن هذا الامر وجلس
فى بيته كراهيةً للدماء فقال أولئك خِيار الناس خَفّت ظهورهم من دماء
اخوانهم وبطونهم من أموالهم قال فخرجت من عنده وأتيت عمرو بن العاص
فقلت ياأبا عبد الله ماتقول فيمن اعتزل هذه الحروب فقال أولئك شِرار
الناس لم يعرفوا حقّا ولم ينكروا باطلا وأنا أحسبُ أبا موسى خالعا صاحبه
وجاعلَها لرجل لم يشهد وأحسبُ هواه فى عبد الله بن عمر بن الخطّاب وأمّا

عمرو بن العاص فهو صاحبك الذى عرفته وأحسب سيطلبها لنفسه أولابنه عبد الله ولا أراه يظنّ أنك أحق بهذا الامر منـه فاقلق ذلك معاوية قالوا ثم ان عمرو بن العاص جعل يُظهر تبجيل أبي موسى واجلاله وتقديمه فى الـكلام وتوقيره ويقول صحبتَ رسول الله صلى الله عليه وسـلم قبلى وأنت أ كبر سنًّا منى ثم اجتمعا ليتناظرا فى الحـكومـة فقال أبو موسى ياعمرو هـل لك فيما فيه صلاح الامّة ورضا الله قال وما هو قال تولى عبـد الله بن عمر فانه لم يدخل نفسه فى شئ من هذه الحروب قال له عمرو وأين أنت عن معاوية قال أبو موسى مامعاوية موضعا لهـا ولا يستحقّها بشئ من الامور قال عمرو ألستَ تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال بلى قال فان معاوية ولىّ عثمان وبيتُه بعدُ فى قريش ما قد علمت فان قال الناس لمَ ولى الأمرَ وليست له سابقة فان لك فى ذلك عذرًا تقول انى وجدتُه ولىّ عثمان والله تعالى يقول (ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فقَدْ جعلنا لِوَلِيِّه سُلطاناً) وهو مع هـذا أخو أُم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد أصحابه قال أبو موسى اتّقِ الله ياعمرو أما ماذكرت من شرف معاوية فلو كان يستوجب بالشرف الخـلافة لـكان أحق الناس بها أبرهـة بن الصباح فانه من أبناء ملوك اليمن التبابعـة الذين ملـكوا شرق الارض وغربها ثم أى شرف لمعاوية مع علىّ بن أبى طالب وأما قولك ان معاوية ولى عثمان فأولى منه ابنه عمرو بن عثمان ولـكن ان طاوعتنى أحيينا سنّة عمر بن الخطاب وذكره بتوليتنا ابنه عبد الله الحبر قال عمرو فما يمنعك من ابنى عبد الله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته

فقال أبو موسى ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته فى هذه الحروب غمسا ولكن هلمّ نجعلها للطيّب ابن الطيّب عبد الله بن عمر قال عمرو ياأباموسى انه لايصلح لهذا الامر الاّ رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر قال أبو موسى ويحك ياعمرو ان المسلمين قد أسندوا الينا أمرا بعد أن تقارعوا بالسيوف وتشاكوا بالرماح فلا نردّهم فى فتنة قال فما ترى قال أرى أن نخلع هذين الرجلين عليًا ومعاوية ثم نجعلها شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من أحبّوا قال عمرو فقد رضيت بذلك وهو الرأى الذى فيه صلاح الناس . قال فافترقا على ذلك وأقبل ابن عباس الى أبى موسى فخلا به وقال ويحك ياأبا موسى أحسب والله عمرًا قد أختدعك فان كنتما قد اتفقتما على شئ فقدّمه قبلك ليتكلم ثم تكلّم بعده فان عمرًا رجل غدّار ولستُ آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فاذا قمتَ به فى الناس خالفك قال أبو موسى قد اتّفقنا على أمر لا يكون لاحدنا على صاحبه فيه خلاف ان شاء الله . فلما أصبحوا من غد خرجوا الى الناس وهم مجتمعون فى المسجد الجامع فقال أبو موسى لعمرو أصعد المنبر فتكلم فقال عمرو ما كنتُ أتقدّمك وأنت أفضل منى فضلا وأقدم هجرةً وسنًا فبدأ أبو موسى فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال أيها الناس انّا قد نظرنا فيما يجمع الله به أُلفة هذه الامّة ويصلح أمرها فلم نَرشيئا هو أبلغ فى ذلك من خلع هذين الرجلين علىّ ومعاوية وتَصْييرها شورى ليختار الناس لانفسهم مَن رأوه لها أهلاً وانى قد خلعتُ عليًا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من أحببتم ثم نزل وصعد عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال ان هـذا قدقال ماسمعتم وخلع صاحبه الا وانى قد خلعت صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فانه ولى أمير المؤمنين عثمان والطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه فقال له أبو موسى مالك لا وفّقك الله غدرتَ وفجرتَ وانما مثلُك مثلُ الـكلب إن تحمل عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ فقال له عمرو ومثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا وحمل شُرَيح بن هانئ على عمرو فقنّعه بالسوط وحجز الناس بينهما وكان شريح يقول ماندمتُ على شئ قط كندامتى ألاّ أكون ضربتُه مكانَ السوط بالسيف. أتى الدهرُ فى ذلك بما أتى . وانسل أبو موسى فركب راحلته وهرب حتى لحق بمكة فـكان ابن عبّاس يقول لحى اللهُ أبا موسى لقد نبّهتُه فما انتبه وحذّرته ماصار اليه فما انحاش وكان أبو موسى يقول لقـد حذّرنى ابن عبّاس غدرَ عمرو فاطمأننت اليـه ولم أظنّ انه يؤثر شيئاً على نصيحة المسلمين . ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلّموا عليـه بالخلافة وأقبل ابن عباس وشُريح بن هانئ ومن كان معهما من أهل العراق الى عليّ فاخبروه الخـبر فقام سعيد بن قيس الهمدانيّ فقال والله لواجتمعا على الهدى مازادنا على مانحن عليه بصيرةً ثم تـكلّم عامة الناس بنحو من هذا

(خروج الخوارج على علي)

قالوا ولما بلغ أهل العراق ما كان من أمر الحـكمين لقيت الخوارج بعضها بعضاواتّعدوا أن يجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبى فاجتمع عنده عظماؤهم وعبّادهم فـكان أول من تـكلم منهم عبد الله بن وهب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال معاشرَ اخوانى ان متاع الدنيا قليل وان فراقها وشيك فاخرجوا بنـا

منكرين لهذه الحكومة فانه لا حكم الا لله وإن اللهَ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ثم تكلم حمزة بن سيار فقال الرأى ما رأيتما ومنهج الحق فيما قلتما فولوا أمركم رجلا منكم فانه لا بدّ لكم من قائد وسائس وراية يحفّون بها وترجعون اليها فعرضوا الامر على يزيد بن الحُصين وكان من عبّادهم فأبى أن يقبلها ثم عرضوها على ابن أبى أوفى العبسى فأبى أن يقبلها ثم عرضوها على عبد الله بن وهب الراسبى فقال هاتوها فوالله ما أقبلها رغبة فى الدنيا ولا فرارا من الموت ولكن أقبلها لما أرجو فيها من عظيم الاجر ثم مدّ يده فقاموا اليه فبايعوه فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد فى سبيله إن الذين يَضلون عن سبيل اللهِ لهم عذابٌ شديدٌ وقال الله عز وجل ومَن لم يَحكم بما أنزَلَ اللهُ فأولئك هم الفاسقون وأشهد على أهل دَعوتنا من أهل ديننا أن قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب وجاروا فى الحكم وان جهادهم لحقّ فأُقسم بمن تعنو له الوجوه وتخشع له الأبصار لو لم أجد على قتالهم مساعدا لقاتلتهم وحدى حتى ألقى ربى شهيدا . فلما سمع ذلك عبد الله بن السَّخبر وكان من أصحاب البرانس استعبر باكيا ثم قال لحى الله امرأ لا يكون تشريح ما بين عظمه ولحمه وعصَبه أيسرَ عنده من سَخط الله عليه فى لحظة يسعى بها على مقته فكيف وانما تريدون وجه الله يا اخوتى تقرّبوا الى الله يبغض من عصاه واخرجوا اليهم فاضربوا وجوههم بالسيوف حتى يُطاع الله يُثبكم ثواب المطيعين العاملين

بمرضاته القائمين بحقوقه فان تظفروا فالغنيمة والفتح وان تُغلبوا فأى شىء أفضل من المصير الى رضوان الله وجنته ثم افترقوا يومهم ذلك . فلما كان من الغد أقبل عبد الله بن وهب الراسبي فى نفر من أصحابه حتى دخل على شريح ابن أبى أوفى العبسى وكان من عظمائهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما وحكّموا الرجال فى دينهم ونحن على الشخوص من بين أظهرهم وقد أصبحنا والحمد لله ونحن على الحق من بين هذا الخلق فقال شريح أنذر أصحابك واعلمهم خروجك ثم اخرج بنا على بركة الله حتى نأتى المدائن فننزلها ونرسل الى اخواننا الذين بالبصرة فيقدموا علينا فتكون أيديهم مع أيدينا فقال يزيد ابن حصين الطائى انكم ان خرجتم بجماعتكم طُلبتم ولكن اخرجوا فرادى مستخفين فأما المدائن فان بها من يمنع عنها ولكن تواعدوا أن توافوا جسر النهروان فتقيموا هناك وتكتبوا الى اخوانكم من أهل البصرة أن يوافوكم بها قالوا هذا الرأى فاتفقوا على ذلك وأنذروا جميعا أصحابهم فاستعدوا للخروج فرادى وكتبوا الى من كان منهم بالبصرة بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله ابن وهب ويزيد بن الحصين وحُرْقوص بن زهير وشريح بن أبى أوفى الى من بلغه كتابُنا بالبصرة من المؤمنين المسلمين سلام عليكم فانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو الذى جعل أحب عباده اليه أعلمهم بكتابه وأقومهم بالحق فى طاعته وأشدهم اجتهادا فى مرضاته وان أهل دعوتنا حكّموا الرجال فى أمر الله فحكموا بغير ما فى كتاب الله ولا فى سنّة نبىّ الله فكفروا لذلك وصدّوا

عن سواء السبيل وقد نابذناهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين أما بعدفقد اجتمعنا بجسر النهروان فسيروا الينا رحمكم الله لتأخـذوا نصيبكم من الأجر والثواب وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وكتابُنا هذا اليكم مع رجل من اخوانكم ذى أمانة ودين فسلوه عما أحببتم واكتبوا الينا بما رأيتم والسلام .

ثم وجّهوا كتابهم مع عبد الله بن سعد العبسى فسار حتى أتى البصرة وأوصل الـكتاب الى أصحابه فاجتمعوا فقرأوه ثم كتبوا اليهم بوَشْك موافاتهم ثم ان القوم خرجوا من الـكوفة عباديد الرجلَ والرجلَين والثلاثة وخرج يزيد بن الحصين على بغلة يقود فرسا وهو يتلو هذه الآية فخرَج منها خائفا يترَقَّبُ قال ربّ نجّنى من القوم الظالمين ولمّا توجّهَ تِلقاءَ مَدْيَنَ قال عسى ربى أن يَهدِيَنى سواء السبيل . وسار حتى انتهى الى السيب فاجتمع اليه جمع كثير من أصحابه وفيهُم زيد بن عدىّ بن حاتم فخرج عدىّ فى طلب ابنـه حتى انتهى الى المدائن فلم يلحقه فأتى سـعيد بن مسعود الثقفى وكان سعيد عامل علىّ على المدائن فأخذ حذره وتحاماه القوم وخرج عبد الله بن وهب الراسبى فى جوف الليل والتأم اليه جميع أصحابه فصاروا جمعا كثيرا منهم فأخذوا على الأنبار وتبطّنوا شطّ الفرات حتى عَبروا من قِبل دَير العاقول فاستقبله عدىّ بن حاتم وهو منصرف الى الـكوفة فأراد عبد الله أخذه فمنعه منه عمرو بن مالك النبْهانى و بشير بن يزيد البَوْلانى وكانا من رؤساء الخوارج فاستخلف سعيدُ ابن مسعود على المدائن ابن أخيه المختار بن أبى عُبيد وخرج فى طلب عبدالله ابن وهب وأصحابه فلقيهم بكرخ بغداد مع مغيب الشمس وسعيد فى خمسمائة

فارس والخوارج ثلاثون رجلا فتناوشوا ساعة فقال أصحاب سعيد لسعيد أيها الأمير ما تريد الى قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر فخلّ سبيلهم واكتب الى أمير المؤمنين تُعلمه أمرهم فمضى وتركهم . وسار عبد الله بن وهب فمرّ ببغداد وأخذ دهاقينها بالمعابر وذلك قبل أن تُبني بغداد فأتاه الدهقان بها فعبر الى أرض جُوخَى ثم مضى من هناك حتى انضم الى أصحابه وهم بنهروان ووافاهم من كان على رأيهم من أهل البصرة وكانوا خمسمائة رجل وكان على البصرة يومئذ عبد الله بن العباس فلما بلغه خروجهم وجّه فى طلبهم أبا الأسود الديليّ فى ألف فارس فلحقهم بجسر تُستر وحال بينهم الليل ففاتوه وكانوا فى جميع مسيرهم لا يلقون أحدا الا قالوا له ما تقول فى الحكمين فان تبرّأ منهما تركوه وان أبى قتلوه . ثم أقبلوا حتى انتهوا الى دجلة فعبروها من ناحية صريفين حتى وافوا نهروان فكتب اليهم علىّ رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علىّ أمير المؤمنين الى عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن الحصين ومَن قِبَلهما سلام عليكم فان الرجلين اللذين ارتضيناهما للحكومة خالفا كتاب الله واتّبعا هواهما بغير هدًى من الله فلما لم يعملا بالسنة ولم يحكما بالقرآن تبرّأنا من حكمهما ونحن على أمرنا الاوّل فاقبلوا الىّ رحمكم الله فانا سائرون الى عدونا وعدوّكم لنعود لمحاربتهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . فلما وصل اليهم كتابه كتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لربك ولكن غضبتَ لنفسك فان شهدتَ على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين واستأنفت التوبة والايمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع

اليك وان تكن الاخرى فانّا نابذك على سواء ان الله لايهدى كيد الخائنين فلما قرأ علىّ كتابه يئس منهم ورأى أن يدعهم على حالهم ويسير الى الشام ليعاود معاوية الحرب فسار بالناس حتى عسكر بالنُخيلة وقال لأصحابه تأهّبوا للمسير الى أهل الشام فانى كاتب الى جميع اخوانكم ليقدموا عليكم فاذا وافوا شخصنْا ان شاء الله ثم كتب كتبه الى جميع عمّاله أن يخلّفوا خُلفاءهم على أعمالهم ويقدموا عليه وكتب الى عبد الله بن عباس وكان على البصرة أمّا بعد فانّا قد عسكرنا بالنخيلة وقد أزمعنا على المسير الى عدونا الى أهل الشام فاشخصْ الىّ فيمن قبَلك حين يأتيك كتابى والسلام فقدم عليه عبد الله بن عبّاس فى فرسان البصرة وكانوا زُهاء سبعة آلاف رجل واجتمع اليه سائر الناس فكانوا أكثر من ثمانين ألف رجل فلما تهيأ للمسير أتاه عن الخوارج أخبار فظيعة من قتلهم عبد الله بن خبّاب وامرأته وذلك أنهم لقوهما فقالوا لهما أرضيتما بالحكمين قالا نعم فقتلوهما وقتلوا أمّ سِنان الصيْدَاوية واعتراضهم الناس يقتلونهم فلما بلغه ذلك بعث اليهم الحارث بن مرّة الفَقْعسىّ ليأتيه بخبرهم فأخذوه فقتلوه فلما بلغ الناس ذلك اجتمعوا الى علىّ فقالوا ياأمير المؤمنين أتدع هؤلاء على ضلالتهم وتسير فيفسدوا فى الارض ويعترضوا الناس بالسيف سر اليهم بالناس وادعُهم الى الرجوع الى الطاعة والجماعة فان تابوا وقبلوا فان الله يحبّ التوّابين وان أبوا فآذنهم بالحرب فاذا أرحت الامة منهم سرتَ الى الشام

(واقعة النهروان مع الخوارج)

فنادى فى الناس بالرحيل وسار حتى ورد عليهم نهروان فعسكر على فرسخ منهم وأرسل اليهم قيس بن سعد بن عُبادة وأبا أيوب الانصارى فأتياهم فقالا عباد الله انكم قد ارتكبتم أمرا عظيما باستعراضكم الناس تقتلونهم وشهادتكم علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم فأجابهما عبد الله بن السَخبر فقال اليكما عنا فان الحق قد أضاء لنا كالصبح ولسنا بمتابعيكم ولا راجعين اليكم أو تأتوا بمثل عمر بن الخطّاب فقال قيس بن سعدُ ما نعرفه فينا الا علىّ بن أبى طالب فهل تعرفونه فيكم قال لا قال فانشدكم الله فى أنفسكم أن تهلكوها فانى أرى الفتنة قد دخلت قلوبكم . ثم تكلّم أبوأيوب بنحو هذا فقالوا ياأبا أيوب انّا ان بايعنا كم اليوم حكّمتم غدا آخر قال فانّا ننشُدكم الله أن تعجّلوا فتنة العام مخافة ما تأتى به فى قابل قالوا اليكما عنّا فقد نابذنا كم على سواء فانصرفا الى علىّ فأخبراه بذلك فأقبل حتى وقف عليهم بحيث يسمعون كلامه فنادى أيتها العصابة التى أخرجتها اللجاجة وصدّها عن الحقّ الهوى فأصبحَتْ فى لبس وخطأ انى نذير لكم أن تمادوا فى ضلالتكم فتُلفوا مصرّعين من غير بينة من ربكم ولا برهان ألم تعلموا أنى شرطتُ على الحكمين أن يحكما بما فى كتاب الله وأخبرتكم انّ طلب القوم الحكومة مكيدةٌ فلما أبيتم الا الحكومة شرطتُ عليهم أن يحييا ما أحيا القرآن ويُميتا ماأمات القرآن فخالفا الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأول فأين يُتاه بكم ومن أين أتيتم فقالوا انّا كفرنا حين رضينا بالحكمين وقد تُبنا الى الله من ذلك

فان تبتَ كما تبنا فنحن معك والا فاذن بحرب فانّا منابذوك على سواء فقال لهم علىّ اشهدُ على نفسى بالكفر لقد ضللتُ اذًا وما أنا من المهتدين ثم قال ليخرج الىّ رجل منكم ترضون به حتى أقول و يقول فان وجبت علىّ الحجّةُ أقررتُ لكم وتُبتُ الى الله وإن وجبت عليكم فاتقوا الله الذى مردّكم اليه فقالوا لعبد الله بن الكوّاء وكان من كبرائهم اخرج اليه حتى تحاجه فخرج اليه فقال علىّ هل رضيتم قالوا نعم قال اللهم اشهد فكفى بك شهيدا فقال علىّ رضى الله عنه يا ابن الكواء ماالذى نقمتم علىّ بعد رضا كم بولايتى وجهادكم معى وطاعتكم لى فهلاّ برئتم منى يوم الجمل قال ابن الكوّاء لم يكن هناك تحكيم فقال علىّ ياابن الكوّاء ويحك أنا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الكوّاء بل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما سمعتَ قول الله عز وجل (قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أكان الله يشُكّ أنهم هم الكاذبون قال انّ ذلك احتجاج عليهم وأنت شككت فى نفسك حين رضيت بالحكمين فنحن أحرَى أن نشكّ فيك قال وانّ الله تعالى يقول (فأتوا بكتاب من عند الله هوَ أهدى منهما أتبعهُ) قال ابن الكوّاء ذلك أيضا احتجاج منه عليهم فلم يزل علىّ عليه السلام يحاجّ ابن الكوّاء بهذا وشبهه فقال ابن الكوّاء أنت صادق فى جميع ماتقول غير أنك كفرتَ حين حكمت الحكمين قال علىّ ويحك ياابن الكوّاء انى انما حكمت أبا موسى وحده وحكّم معاوية عمرا قال ابن الكوّاء فان أبا موسى كان كافرا قال علىّ ويحك متى كفر أحين بعثتُه أم

حين حكم قال لا بل حين حكم قال أفلا ترى انى انما بعثته مسلما فكفر فى قولك بعد ان بعثته أرأيتَ لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من المسلمين الى أناس من الكافرين ليدعوهم الى الله فدعاهم الى غيره هل كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شئ قال لا قال ويحك فما كان علىّ ان ضل أبو موسى أفيحلّ لكم بضلالة أبى موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس. فلما سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكوّاء انصرف ودع مخاطبة الرجل فانصرف الى أصحابه وأبى القوم الا التمادى فى الغىّ وأمر علىّ بالنداء فى الناس أن يأخذوا أهبة الحرب ثم عبى جنوده فولى الميمنة حجر بن عدى وولى الميسرة شَبَث بن رِبعىّ وولى الخيل أبا أيوب الانصارىّ وولى الرجالة أبا قتادة واستعدّ الخوارج فجعلوا على ميمنتهم يزيد بن حصين وعلى ميسرتهم شريح بن أبى أوفى العبسى وكان من نساكهم وعلى الرجالة حُرقوص بن زهير وعلى الخيل كلها عبد الله بن وهب ورفع علىّ راية وضمّ اليها ألفى رجل ونادى من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ثم تواقف الفريقان فقال فَرْوَة بن نوفل الاشجعىّ وكان من رؤساء الخوارج لاصحابه ياقوم والله ماندرى على ما نقاتل عليّا وليست لنا فى قتاله حجة ولا بيان ياقوم انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة فى قتاله أو اتباعه فترك أصحابه فى مواقفهم ومضى فى خمسمائة رجل حتى أتى البندنيجين وخرجت طائفة أخرى حتى لحقوا بالكوفة واستأمن الى الراية منهم الف رجل فلم يبق مع عبد الله بن وهب الا أقلّ من أربعة آلاف رجل فقال

عليّ لاصحابه لاتبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم فتنادت الخوارج لاحكم الا لله وان كره المشركون ثم شدّوا على أصحاب عليّ شدّةَ رجل واحد فلم تثبت خيل عليّ لشدّتهم وافترقت الخوارج فرقتين فرقة أخذت نحو الميمنة وفرقة أخرى نحو الميسرة وعطف عليهم أصحاب عليّ وحمل قيس بن معاوية البُرْجُميّ من أصحاب عليّ على شريح بن أبي أوفى فضربه بالسيف على ساقه فأبانها فجعل يقاتل برجل واحدة وهو يقول . الفحلُ يحمى شَوْلَه مَعْقُولا . فحمل عليه قيس بن سعد فقتله وقتلت الخوارج كلها رِبضة واحدة وذكر حديث ذى الثدَية حيث استخرجهُ عليّ رضى الله عنه من تحت القتلى . قال وأمر عليّ بمن كان منهم ذا رمق أن يدفَعوا الى عشائرهم وأمر باخذ ما كان فى عسكرهم من سلاح ودواب فقسمه فى أصحابه وأمر بما سوى ذلك فدُفع الى وُرَّاثهم . فلما أراد عليّ الانصراف من النهروان قام فى أصحابه فقال أيها الناس ان الله قد نصركم على المارقين فتوجهوا من فوركم هذا الى القاسطين يعنى أهل الشام فقام اليه رجال من أصحابه فيهم الاشعث ابن قيس فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلّت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا الى مصرنا لنستعد بأحسن عدّتنا فرحل بالناس حتى نزل النخيلة فعسكر بها فأقاموا أياما فجعلوا يتسللون الى الكوفة فلم يبق معه فى المعسكر الا زهاء ألف رجل من الوجوه فلما رأى ذلك دخل الكوفة فأقام بها وسار فروة بن نوفل بمن كان معه الى حُلوان فجعل يجبى خراجها ويقسمه فى أصحابه قالوا ولمّا رأى عليّ رضى الله عنه تثاقُل أصحابه أهل الكوفة عن المسير

معه الى قتال أهل الشام وانتهى اليه ورود خيل معاوية الانبار وقتلهم مسلحة علىّ بها والغارة عليها كتب كتابا ودفعه الى رجل وأمره أن يقرأه على الناس يوم الجمعة اذا فرغوا من الصلاة وكانت نسخته . بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علىّ أمير المؤمنين الى شيعته من أهل الكوفة سلام عليكم أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة من تركه ألبسه الله الذلة وشمله بالصغار وسِيمَ الخسف وسِيلَ الضيمّ وانى قد دعوتكم الى جهاد هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وجهارا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا واجترأ عليهم عدوُّهم هذا أخو بنى عامر قد ورد الانبار وقتل ابن حسان البكرىّ وأزال مسالحكم عن مواضعها وقتل رجالا منكم صالحين وقد بلغنى أنهم كانوا يدخلون بيت المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينزع حجلها من رجلها وقلائدها من عنقها وقد انصرفوا موفورين ما كلم رجل منهم كلما فلو أن أحدا مات من هذا أسفاً ما كان عندى ملوما بل كان جديرا ياعجبا من أمر يميت القلوب ويجتلب الغمّ ويسعر الاحزان من اجتماع القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فبعدا لكم وسحقا قد صُرتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله فترضون اذا قلت لكم سيروا فى الشتاء قلتم كيف نغزوا فى هذا القُرّ والصر وان قلت لكم سيروا فى الصيف قلتم حتى ينصرم عنا حمارّة القيظ وكل هذا فرار من الموت فاذا كنتم من الحر والقُر تفرون فأنتم والله من السيف أفر والذى نفسى بيده ما من ذلك تهربون ولكن من السيف تحيدون ياأشباهَ الرجال ولا

رجال و ياأحـلام الاطفال وعقول ربّاتِ الحجال أما والله لوددت ان الله
أخرجنى من بين أظهركم وقبضنى الى رحمته من بينـكم وودت انى لم أركم
ولم أعرفـكم فقـد والله ملأتم صـدرى غيظا وجرّعتمونى الامرّين أنفاسا
وأفسدتم علىّ رأيى بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن أبى طالب
رجل شجاع ولـكن لاعلم له بالحرب لله أبوهم هل كان فيهم رجل أشـد لها
مراسا وأطول مقاساة منى ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وهاأناليوم قد
جنفت الستين لا ولـكن لارأى لمن لايطاع . فقام اليه الناس من كل ناحية
فقالوا سر بنا فوالله لايتخلّف عنك الا ظنين فأمر الحارثَ الهمدانى بالنـداء
فى الناس ان يصبحوا غدا فى الرَحبة ولا يأتينا الاّ صادق النية . فلمـا أصبح
صلى الغداةَ وأقبل الى الرحبة فلم ير بها الا نحوا من ثلثمائة رجل فقال لو كانوا
ألوفا لـكان لى فيهم رأى فمكث بعـد ذلك يومين باد حزنه شديد كآبتـه
فقام اليه حجر بن عدى وسعيد بن قيس الهمدانى فقالا أجـبر الناس على
المسير وناد فيهم فمن تخلف فمر بمعاقبته فأمر مناديا فنادى فى الناس لايتخلفن
أحد وأمر معقل بن قيس أن يسير فى الرساتيق فلا يدع أحـدا من جنوده
فيها الا حشره فلم ينصرف معقل بن قيس الا بعد ماقتل علىٌّ رضى الله عنه

(مقتل علي رضي الله عنه)

قالوا واجتمع فى العام الذى قتل فيـه علىّ رضى الله عنه بالموسم عبـد
الرحمن بن ملجم المرادى والنزّال بن عامر وعبد الله بن مالك الصيداوىّ
وذلك بعد وقعة النهر بأشهر فتذاكروا مافيه الناس من تلك الحروب فقال

بعضهم لبعض ماالراحة الا فى قتل هؤلاء النفر الثلاثة علىّ بن أبى طالب
ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فقال ابن ملجم علىَّ قتل علىّ وقال
النزّال وعلىَّ قتل معاوية وقال عبد الله وعلىَّ قتل عمرو فاتعدوا لليلة واحدة
يقتلونهم فيها وأقبل عبد الرحمن حتى قدم الكوفة ومضى صاحباه الى مصر
والشام . قالوا وقدم عبد الرحمن الكوفة فخطب الى قطام ابنتها الرَباب وكانت
قطام ترى رأىَ الخوارج وقد كان علىّ قتل أخاها وأباها وعمها يوم النهر
فقالت لا بن ملجم لاأزوجك الا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل
علىّ بن أبى طالب فأعطاها ذلك وأملكها وكان ابن ملجم يجلس فى مجلس
تيم الرباب من صلاة الغداة الى ارتفاع النهار والقوم يفيضون فى الكلام وهو
ساكت لايتكلم بكلمة للذى أجمع عليه من قتل علىّ فخرج ذات يوم الى
السوق متقلدا سيفه فمرت به جنازة يشيعها أشراف العرب ومعها القسيسون
يقرؤون الانجيل فقال ويحكم ماهذا فقالوا هذا أبجر بن جابر العجلىّ مات
نصرانيا وابنه حجار بن أبجر سيد بكر بن وائل فاتبعها أشراف الناس لسؤدد
ابنه واتبعها النصارى لدينه فقال والله لولا انى أُبقى نفسى لأمر هو أعظم عند
الله من هذا لاستعرضتهم بسيفى . فلما كانت تلك الليلة تقلد سيفه وقد كان
سمّه وقعد مغلّسا ينتظر أن يمر به علىّ رضى الله عنه مقبلا الى المسجد لصلاة
الغداة فبينا هو فى ذلك اذ أقبل علىّ وهو ينادى الصلاة أيها الناس فقام اليه
ابن ملجم فضربه بالسيف على رأسه وأصاب طرف السيف الحائط فثلم فيه
ودهش ابن ملجم فانكب لوجهه وبدر السيف من يده فاجتمع الناس فأخذوه

فقال الشاعر فى ذلك

ولم أر مهرا ساقه ذُو سَماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وضرب علىّ بالحسام المصمم
فلا مهرَ أغلى من علىّ وان غَلاَ ولا فتكَ الاّ دون فتك ابن ملجم

وحمل علىّ رضى الله عنه الى منزله واُدخل عليه ابن ملجم فقالت له أم كلثوم ابنة علىّ ياعدو الله أقتلت أمير المؤمنين قال لم أُقتل أمير المؤمنين ولكنى قتلت أباك قالت أما والله انى لارجو أن لا يكون عليه بأس قال فعلام تبكين اذن أما والله لقد سممت السيف شهرا فان أخلفنى فأبعده الله فلم يمس علىّ رضى الله عنه يومه ذلك حتى مات رحمه الله ورضى عنه. فدعا عبد الله بن جعفر بابن ملجم فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فجعل يقول انك ياابن جعفر لتكحل عينىّ بملمول مض ثم أمر بلسانه أن يخرج ليقطع فجزع من ذلك فقال له ابن جعفر قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك فلم تجزع فكيف تجزع من قطع لسانك قال انى ماجزعتُ من ذلك خوفا من الموت ولكنى جزعت أن أكون حيا فى الدنيا ساعة لاأذكر الله فيها ثم قطع لسانه فمات . وأقبل النزّال بن عامر فى تلك الليلة حتى قام خلف معاوية وهو يصلّى بالغداة ومعه خنجر فوجأه به فى أليته وكان معاوية عظيم الاليتين فأخذ فقال لمعاوية أهَلْ قتلتُك ياعدوّ الله قال معاوية كلاّ يا ابن أخى فأمر به معاوية فقُطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه فمات .ودعا بطبيب فأمره أن يقطع ما حول الوَجأة من اللحم خوفا من أن يكون الخنجر مسموما فمن يومئذ اتُّخذت

المقاصير فى الجوامع فكان لا يدخلها الا ثقاته واحراسه واتخذ أيضا من يومئذ حرس الليل وكان اذا سجد بالناس جعل على رأسه عشرة من ثقات حراسه يقومون من خلفه بالسيوف والعمد . وأما عبد الله بن مالك الصيداوىّ فانه أتى مصر فلما كان فى تلك الليلة قام حيال المحراب ومعه مِشْمَل قد اشتمل عليه بثيابه فأصاب عمرا فى تلك الليلة مَغْس فى بطنه فأمر رجلا من بنى عامر بن لُؤىّ أن يخرج فيصلّى بالناس فتقدَم مغلّسا فلم يشكّ عبد الله انه عمرو فلما سجد ضربه بالسيف من ورائه فقتله فقيل له انك لم تقتل الأمير قال فما ذنبي والله ما أردتُ غيره فأمر به عمرو فقُتل قال ودُفن علىّ رضى الله عنه ليلا وصلّى عليه الحسن وكبر خمسا فلم يعلم أحد أين دفن

(بيعة الحسن بن على رضي الله عنهما)

قالوا ولما توفى علىّ رضى الله عنه خرج الحسن الى المسجد الأعظم فاجتمع الناس اليه فبايعوه ثم خطب الناس فقال أفعلتموها قتلتم أمير المؤمنين أما والله لقد قُتل فى الليلة التى نزل فيها القرآن ورُفع فيها الكتاب وجفّ القلم وفى الليلة التى قُبض فيها موسى بن عمران وعُرج فيها بعيسى . قالوا ولما بلغ معاوية قتل علىّ تجهز وقدّم امامه عُبيد الله بن عامر بن كُرَيز فأخذ على عين التمر ونزل الانبار يريد المدائن وبلغ ذلك الحسن بن علىّ وهو بالكوفة فسار نحو المدائن لمحاربة عبد الله بن عامر بن كريز فلما انتهى الى ساباط رأى من أصحابه فشلا وتوا كلا عن الحرب فنزل ساباط وقام فيهم خطيبا ثم قال أيها الناس انى قد أصبحتُ غير محتمل على مسلم ضغينة وانى ناظر لكم

كنظرى لنفسى وأرى رأيا فلا تردّوا علىّ رأيى ان الذى تكرهون من الجماعة أفضلُ مما تحبون من الفرقة وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال ولست أرى ان أحملكم على ما تكرهون فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم الى بعض فقال من كان معه ممن يرى رأى الخوارج كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله فشدّ عليه نفر منهم فانتزعوا مُصلاّه من تحته وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مِطرفه عن عاتقه فدعا بفرسه فركبه ونادى أين ربيعة وهمدان فتبادروا اليه ودفعوا عنه القوم . ثم ارتحل يريد المدائن فكمن له رجل ممن يرى رأى الخوارج يسمى الجرّاح بن قبيصة من بنى أسد بمُظلم ساباط فلما حاذاه الحسن قام اليه بمغول فطعنه فى فخذه وحمل على الاسدىّ عبد الله بن خَطل وعبد الله بن ظَبْيان فقتلاه ومضى الحسن رضى الله عنه مُثخنا حتى دخل المدائن ونزل القصر الأبيض وعولج حتى برأ واستعد للقاء ابن عامر . وأقبل معاوية حتى وافى الانبار وبها قيس بن سعد بن عُبادة من قِبل الحسن فحاصره معاوية وخرج الحسن فواقف عبد الله بن عامر فنادى عبد الله بن عامر يا أهل العراق انى لم أر القتال وانما أنا مقدمة معاوية وقد وافى الانبار فى جموع أهل الشام فاقرؤا أبا محمد يعنى الحسن منى السلام وقولوا له أنشدك الله فى نفسك وأنفس هذه الجماعة التى معك فلما سمع ذلك الناس انخذلوا وكرهوا القتال وترك الحسن الحرب وانصرف الى المدائن وحاصره عبد الله بن عامر بها

(الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما)

ولما رأى الحسن من أصحابه الفشل أرسل الى عبد الله بن عامر بشرائط اشترطها على معاوية على أن يسلم له الخلافة وكانت الشرائط أن لا يأخذ أحدا من أهل العراق باحنة وان يؤمن الأسود والاحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم ويجعل له خراج الاهواز مسلّما فى كلّ عام ويحمل الى أخيه الحسين ابن علىّ فى كل عام ألفى ألف درهم ويفضل بنى هاشم فى العطاء والصلات على بنى عبد شمس فكتب عبد الله بن عامر بذلك الى معاوية فكتب معاوية جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل عليه له العهود المؤكدة والايمان المغلّظة وأشهد على ذلك جميع روساء أهل الشام ووجه به الى عبد الله بن عامر فأوصله الى الحسن رضى الله عنه فرضى به وكتب الى قيس بن سعد بالصلح وأمره بتسليم الامر الى معاوية والانصراف الى المدائن . فلما وصل الكتاب بذلك الى قيس بن سعد قام فى الناس فقال أيها الناس اختاروا أحد الأمرين القتال بلا امام أو الدخول فى طاعة معاوية فاختاروا الدخول فى طاعة معاوية فسار حتى وافى المدائن

(بيعة معاوية بالعراق)

وسار الحسن بالناس من المدائن حتى وافى الكوفة ووافاه معاوية بها فالتقيا فوكّد عليه الحسن رضى الله عنه تلك الشروط والايمان . ثم سار الحسن بأهل بيته حتى وافى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ معاوية أهل الكوفة بالبيعة فبايعوا واستعمل عليها المغيرة بن شعبة وسار منصرفا فى جموعه

الى الشام فمكث المغيرة بن شعبة على الكوفة من قبل معاوية تسع سنين حتى مات بها . وكان زياد بن أبيه انما يُعرَف بزياد بن عُبيد وكان عبيد مملوكا لرجل من ثقيف فتزوَّج سُميّة وكانت أمة للحرث بن كلَدَة فأعتقها فولدت له زيادا فصار حرًّا ونشأ غلاما لقنا ذهنا عاقلا أديبا فأخرجه المغيرة بن شعبة معه الى البصرة حين وليها من قِبل عمر بن الخطاب فاستكتبه المغيرة فلما ولى علىّ ابن أبى طالب ولّى زيادا أرض فارس فلما توجّه الى صفين كتب معاوية الى زياد يتوعده فقام زياد فى الناس فقال ان ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق كتب الىّ يتوعدنى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تسعين ألف مدجّج من شيعته أما والله لئن رامنى ليجدنى ضرّابا بالسيف فلما قُتل علىّ واستدفّ الأمر لمعاوية تحصن زياد بقلعة مدينة اصطخر وكتب معاوية له أمانا على أن يأتيه فان رضى ما يُعطيه والا رده الى متحصنه بتلك القلعة فلحق الى معاوية وترقّت به الأمور الى أن ادّعاه معاوية وزعم للناس انه ابن أبى سفيان وشهد له أبو مريم السَّلُولى وكان فى الجاهلية خمّارا بالطائف ان أبا سفيان وقع على سُميّة بعد ما كان الحرث أعتقها وشهد رجل من بنى المصطَلِق اسمه يزيد انه سمع أبا سفيان يقول ان زيادا من نطفة أقرها فى رحم أمه سميّة ثمّ ادّعاؤه اياه وكان فى ذلك ما كان . وأمر معاوية زيادا أن يسير الى الكوفة الى أن يرد عليه أمره فسار زياد حتى قدم الكوفة وعليها المغيرة ابن شعبة فنزل دار سلمان بن ربيعة الباهلى ووافاه كتاب معاوية بولاية البصرة فسار اليها فلما وافاها قصد المسجد الجامع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال انه قد كانت بينى و بين قوم أحقاد وقد جعلتها تحت قدمى ولست أوأخذ أحدا بعداوة ولا أهتك له قناعا حتى يُبدى لى صفحته فاذا أبداها لم أُنظِره فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيئا فليقلع عن اساءته وأعينونا رحمكم الله بالسمع والطاعة ثم نزل فلبث على البصرة حولين حتى مات المغيرة فكتب اليه معاوية بولاية الكوفة مع البصرة فسار اليها . قالوا وكان أول من لقى الحسن بن علىّ رضى الله عنه فندّمه على ما صنع ودعاه الى رد الحرب حُجر بن عدىّ فقال له يا ابن رسول الله لوددتُ أنى متّ قبل ما رأيتُ أخرجتنا من العدل الى الجور فتركنا الحقّ الذى كنا عليه ودخلنا فى الباطل الذى كنا نهرب منه وأعطينا الدّنيّة من أنفسنا وقبلنا الخسيسة التى لم تلِقْ بنا فاشتدّ على الحسن رضى الله عنه كلام حجر فقال له انى رأيت هوى عُظْم الناس فى الصلح وكرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على مايكرهون فصالحتُ بُقيا على شيعتنا خاصة من القتل فرأيتُ دفع هذه الحروب الى يوم مّا فان الله كل يوم هو فى شأن قال فخرج من عنده ودخل على الحسين رضى الله عنه مع عبيدة بن عمرو فقالا أبا عبد الله شريتم الذل بالعز وقبلتم القليل وتركتم الكثير أطِعنا اليوم واعصنا الدهر دع الحسن وما رأى من هذا الصلح واجمع اليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولّنى وصاحبى هذه المقدمة فلا يشعر ابن هند الا ونحن نقارعه بالسيوف فقال الحسين إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل الى نقض بيعتنا . وروى عن علىّ بن محمد بن بشير الهمدانى قال خرجت أنا وسفيان بن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة فدخلنا عليه

وعنده المسيب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التميمي وسراج بن مالك الخثعمي فقلت السلام عليك يا مذل المؤمنين قال وعليك السلام اجلس لست مذل المؤمنين ولكني معزهم ما أردت بمصالحتي معاوية الا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال والله لئن سرنا اليه بالجبال والشجر ما كان بد من افضاء هذا الأمر اليه قال ثم خرجنا من عنده ودخلنا على الحسين فأخبرناه بما رد علينا فقال صدق أبو محمد فليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته ما دام هذا الانسان حيا . ثم ان الحسن رضى الله عنه اشتكى بالمدينة فثقل وكان أخوه محمد بن الحنفية في ضيعة له فأرسل اليه فوافى فدخل عليه فجلس عن يساره والحسين عن يمينه ففتح الحسن عينه فرآهما فقال للحسين يا أخي أوصيك بمحمد أخيك خيرا فانه جلدة ما بين العينين ثم قال يا محمد وأنا أوصيك بالحسين كانفه ووازره ثم قال ادفنوني مع جدي صلى الله عليه وسلم فان منعتم فالبقيع ثم توفى فمنع مروان أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم فدفن في البقيع وبلغ أهل الكوفة وفاة الحسن فاجتمع عظماؤهم فكتبوا الى الحسين رضى الله عنه يعزونه وكتب اليه جعدة ابن هبيرة بن أبي وهب وكان أمحضهم حبا ومودة أما بعد فان من قبلنا من شيعتك متطلعة أنفسهم اليك لا يعدلون بك أحدا وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب وعرفوك باللين لأوليائك والغلظة على أعدائك والشدة في أمر الله فان كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا فقد وطنا أنفسنا على الموت معك فكتب اليهم أما أخي فأرجو أن يكون الله قد

وفّقه وسدّده فيما يأتي وأما أنا فليس رأيي اليوم ذاك فالصقوا رحمكم الله بالارض وا كْنُوا فى البيوت واحترسوا من الظنّة ما دام معاوية حيا فان يُحدِث الله به حدثا وأنا حيّ كتبتُ اليكم برأيي والسلام . وانتهى خبر وفاة الحسن الى معاوية كتب به اليه عامله على المدينة مروان فأرسل الى ابن عباس وكان عنده بالشام قدم عليه وافدا فدخل عليه فعزّاه وأظهر الشماتة بموته فقال له ابن عباس لا تشمتنّ بموته فوالله لا تلبث بعده الا قليلا . قالوا وكتب معاوية الى عمرو بن العاص وهو على مصر قد قبضها بالشرط الذي اشترطه على معاوية أما بعد فان سُؤّال أهل الحجاز وزوّار أهل العراق قد كثروا عليّ وليس عندى فضل عن أعطيات الجنود فأعنّي بخراج مصر هذه السنة فكتب اليه عمرو

معاوِيَ إن تُدْرِكْكَ نفسٌ شحيحةٌ فما وَرّثَتْنى مصرَ أمى ولا أبي
وما نِلْتُها عفوًا ولكن شرَطْتُها وقد دارت الحربُ العَوانُ على قُطْب
ولولا دِفاعى الأشعرِيَّ وصحبَه لألفيتَها ترغو كراغيةِ السقْب

فلما رجع الجواب الى معاوية تذمّم فلم يعاوده فى شيء من أمرها . قالوا وقد كان معاوية خلف على الكوفة حين شخص منها المغيرة بن شعبة فصعد المنبر يوم الجمعة ليخطب فحصبه حُجر بن عديّ وكان من شيعة عليّ فى نفر من أصحابه فنزل مُسرعا من المنبر ودخل قصر الامارة و بعث الى حجر بخمسة آلاف درهم ترضاه بها فقيل للمغيرة لم فعلتَ هذا وفيه عليك وهن وغضاضة فقال قد قتلته بها فلما مات المغيرة وجمع معاوية لزياد الكوفة الى البصرة كان

يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة مثل ذلك فخرج فى بعض خَرْجاته، الى البصرة وخلّف على الكوفة عمرو بن حُرَيث العدَوىّ فصعد عمرو بن حرَيث ذات جمعة المنبر ليخطب وقعد له حجر بن عدىّ وأصحابه فحصبوه فنزل من المنبر فدخل القصر وأغلق بابه وكتب الى زياد يخبره بما صنع حجر وأصحابه فركب زياد البريد حتى وافى الكوفة ودخل المسجد وأُخرج له سريره من القصر فجلس عليه فكان أول من دخل عليه من أشراف الكوفة محمد بن الاشعث بن قيس فسلم عليه بالامرة فقال زياد لاسلم الله عليك انطلق فأتنى بابن عمك حجر الساعة قال محمد بن الاشعث ما لى ولحجر انك لتعلم التباعد بيننا فقال له جرير بن عبد الله أنا آتيك بحجر أيها الامير على أن تجعل له الامان ألا تعرض له حتى يلقى معاوية فيرى فيه رأيه قال قد فعلت فأقبل به الى زياد فأمر بحبسه وأمر بطلب أصحابه الذين كانوا معه فأتى بهم فوجّهم جميعا الى معاوية مع مائة رجل من الجند فأنشأت أم حجر تقول

ترفَّعْ أيها القمرُ المنيرُ ترفَّعْ هل ترَى حُجرًا يسيرُ
ألا يا حُجر حجر بنى عدىّ تلقّتك البشارة والسرُور
وان تَهلِكْ فكل عميد قوم من الدنيا الى هُلك يصير

وبعث زيادا بثلاثة نفر من الشهود ليشهدوا عنده بما فعل حجر وأصحابه منهم أبو بُرْدة بن أبى موسى وشُريح بن هانئ الحارثى وأبو هُنيدة القَينى فأتوا معاوية وشهدوا عليهم بحصبهم عمرو بن حرَيث فأمر معاوية بهم فقُتلوا فدخل مالك بن هُبيرة على معاوية فقال يا أمير المؤمنين أسأتَ فى قتلك

هؤلاء النفرولم يكونوا أحدثوا ما استوجبوا به القتل فقال معاوية قد كنت هممتُ بالعفو عنهم إلا أن كتاب زياد ورد علىّ يُعلمنى أنهم رؤساء الفتنة وانى متى قتلتهم اجتثثت الفتنة من أصلها . ولما قُتل حجر بن عدىّ وأصحابه استفظع أهل الكوفة ذلك استفظاعا شديدا وكان حجر من عظماء أصحاب علىّ وقد كان علىّ أراد أن يولّيه رياسة كندة ويعزل الاشعث بن قيس وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المُرار فأبى حجر بن عدى أن يتولى الامر والاشعث حىّ فخرج نفر من أشراف أهل الكوفة الى الحسين بن علىّ فأخبروه الخبر فاسترجع وشقّ عليه فأقام أولئك النفر يختلفون الى الحسين بن علىّ وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم فترقى الخبر اليه فكتب الى معاوية يُعلمه أن رجالا من أهل العراق قدموا على الحسين بن علىّ رضى الله عنهما وهم مقيمون عنده يختلفون اليه فاكتب إلىّ بالذى ترى فكتب اليه معاوية لا تعرض للحسين فى شىء فقد بايعنا وليس بناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا . وكتب الى الحسين أما بعد فقد انتهت إلىّ أمور عنك لستَ بها حريا لأن من أعطى صفقة يمينه جديرٌ بالوفاء فاعلم رحمك الله انى متى أنكرْك تستنكرنى ومتى تكدنى أكدك فلا يستفزّنك السفهاء الذين يحبون الفتنة والسلام فكتب اليه الحسين رضى الله عنه ما أريد حربك ولا الخلاف عليك .
قالوا ولم ير الحسن ولا الحسين طولَ حياة معاوية منه سوءا فى أنفسهما ولا مكروها ولا قطع عنهما شيئاً مما كان شرط لهما ولا تغير لهما عن بر . قالوا ومكث زياد على المصرين أربع سنين فحضرته الوفاة عند ما مضى من خلافة

معاوية ثلاث عشرة سنة وذلك سنة ثلاث وخمسين فكتب الي معاوية أما بعد فانى كتبت اليك وأنا فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وقد وليت الكوفة عبدَ الله بن خالد بن أسيد ووليت البصرة سَمرَة بن جُندب الفزارى والسلام فقيل له لم لا تولي ابنك عبيد الله أحدالمصرين وليس بدون واحد من هذين فقال ان يك فيه خير فسيسبق الى ذلك عمه معاوية ثم مات وصلى عليه ابنه عبيد الله بن زياد ودُفن في مقابر قريش . فتولي عبدالله ابن خالد بن أسيد الكوفة ثمانية أشهر وكتب معاوية الى عبيد الله بن زياد بولاية البصرة وعزل عبد الله بن خالد عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الانصارى . قالوا ولما دخلت سنة ستين مرض معاوية مرضه الذى مات فيه فأرسل الى ابنه يزيد وكان غائبا عن مدينة دمشق فلما أبطأ عليه دعا الضحاك بن قيس الفهري وكان على شُرَطه ومسلم بن عُقبة وكان على حرسه فقال لهما أبلغا يزيد وصيّتي واعلماه انى آمره فى أهل الحجاز أن يكرم من قدم عليه منهم ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم فانهم أصله وانى آمره فى أهل العراق أن يرفُق بهم ويداريهم ويتجاوز عن زلاتهم وانى آمره فى أهل الشام أن يجعلهم عينيه و بطانته وأن لا يطيل حبسهم فى غير شامهم لئلا يجروا على أخلاق غيرهم واعلماه أنى لست أخاف عليه الا أربعة رجال الحسين بن علىّ وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبدالله بن الزبير فأما الحسين بن علىّ فأحسبُ أهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه فان فعل فظفرت به فاصفح عنه وأما عبد الله بن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة وليس بطالب للخلافة

الا أن تأتيه عفوا وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فانه ليس فى نفسه من النباهة والذكر عند الناس ما يمكنه طلبها ويحاول التماسها الا أن تأتيه عفوا وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك روغان الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك عبد الله بن الزبير فان فعل وظفرت به فقطّعه اربا اربا الا أن يلتمس منك صلحا فان فعل فاقبل منه واحقن دماء قومك بجهدك وكف عاديتهم بنوالك وتغمدهم بحلمك

(خلافة يزيد)

ثم قدم عليه يزيد فأعاد عليه هذه الوصية ثم قضى فأقبل الضحاك بن قيس حتى أتى المسجد الاعظم فصعد المنبر ومعه أكفان معاوية فقال أيها الناس ان معاوية بن أبي سفيان كان عبدا من عباد الله ملّكه على عباده فعاش بقدر ومات بأجل وهذه أكفانه كما ترون نحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين ربه فمن أحبّ منكم أن يشهد جنازته فليحضر بعد صلاة الظهر ثم نزل وتفرّق الناس حتى اذا صلوا الظهر اجتمعوا وأصلحوا جهازه وحملوه حتى واروه وانصرف يزيد فدخل الجامع ودعا الناس الى البيعة فبايعوه ثم انصرف الى منزله . ومات معاوية وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعلى مكة يحيي بن حكيم بن صفوان بن أمية وعلى الكوفة النعمان بن بشير الانصارىّ وعلى البصرة عبيد الله بن زياد فلم تكن ليزيد همة حين ملك الا بيعة هؤلاء الاربعة نفر فكتب الى الوليد بن عتبة يأمره أن يأخذهم بالبيعة أخذا شديدا لا رخصة فيه فلما ورد ذلك على الوليد فظع به وخاف الفتنة فبعث الى مروان وكان الذى بينهما متباعدا فأتاه فأقرأه

الوليد الكتاب واستشاره فقال له مروان أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن أبي بكر فلا تخافنّ ناحيتهما فليسا بطالبين شيئاً من هذا الامر ولكن عليك بالحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير فابعث اليهما الساعة فان بايعا والاّ فاضرب أعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحدمنهما ناحيةو يظهر الخلاف فقال الوليد لعبد الله بن عمرو بن عثمان وكان حاضرا . وهو حينئذ غلام حين راهق انطلق يا بنيّ الى الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير فادعهما فانطلق الغلام حتى أتى المسجد فاذا هو بهما جالسين فقال أجيبا الامير فقالا للغلام انطلق فانا صائران اليه على أثرك فانطلق الغلام فقال ابن الزبير للحسين رضى الله عنه فيمَ تُراه بعث الينا فى هذه الساعة فقال الحسين أحسب معاوية قد مات فبعث الينا للبيعة قال ابن الزبير ما أظن غيره وانصرفا الى منازلهما فأما الحسين فجمع نفرا من مواليه وغلمانه ثم مشى نحو دار الامارة وأمر فتيانه أن يجلسوا بالباب فان سمعوا صوته اقتحموا الدار ودخل الحسين على الوليد وعنده مروان فجلس الى جانب الوليد فأقرأه الوليد الكتاب فقال الحسين ان مثلى لايعطى بيعته سرا وأنا طوعُ يديك فاذا جمعتَ الناس لذلك حضرتُ وكنت واحدا منهم وكان الوليد رجلا يحبّ العافية فقال للحسين فانصرف اذاً حتى تأتينا مع الناس فانصرف فقال مروان للوليد عصيتنى ووالله لايمكنك من مثله أبدا قال الوليد ويحك أتشير عليّ بقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهما السلام والله ان الذى يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند

الله وتحرّز ابن الزبير فى منزله وراوغ الوليد حتى اذا جنّ عليه الليل سار نحو مكة وتنكّب الطريق الاعظم فأخذ على طريق الفُرْع. ولما أصبح الوليد بلغه خبره فوجه فى أثره حبيب بن كدين فى ثلاثين فارسا فلم يقعوا له على أثر وشُغلوا يومهم ذلك كله بطلب ابن الزبير فلما أمسوا وأظلم الليل مضى الحسين رضى الله عنه أيضا نحو مكة ومعه أختاه أم كُلثوم وزينب وولد أخيه وأخوته أبو بكر وجعفر والعباس وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته الا أخاه محمد بن الحنفية فانه أقام . وأما عبد الله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بأيام الى مكة وجعل الحسين رضى الله عنه يطوى المنازل فاستقبله عبد الله بن مطيع وهو منصرف من مكة يريد المدينة فقال له أين تريد قال الحسين أما الآن فمكة قال خار الله لك غير انى أحب أن أشير عليك برأى قال الحسين وما هو قال اذا أتيتَ مكة فأردت الخروج منها الى بلد من البلدان فاياك والكوفة فانها بلدة مشومة بها قتل أبوك وبها خذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتى على نفسه بل الزم الحرمْ فان أهل الحجاز لا يعدلون بك أحدا ثم ادع اليك شيعتك من كل أرض فسيأتونك جميعا قال له الحسين يقضى الله ما أحبّ ثم أطلق عنانه ومضى حتى وافى مكة فنزل شعبَ علىّ واختلف الناس اليه فكانوا يجتمعون عنده حلقا حلقا وتركوا عبد الله بن الزبير وكانوا قبل ذلك يتحفلون اليه فساء ذلك ابن الزبير وعلم ان الناس لا يحفلون به والحسين مقيم بالبلد فكان يختلف الى الحسين رضى الله عنه صباحا ومساء ثم ان يزيد عزل يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية عن مكة واستعمل

عليها عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية

(استدعاء الحسين الي الكوفة)

قالوا ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين بن على الى مكة اجتمع جماعة من الشيعة فى منزل سليمان بن صُرَد واتفقوا على أن يكتبوا الى الحسين يسألونه القدوم عليهم ليسلموا الأمر اليه ويطردوا النعمان بن بشير فكتبوا اليه بذلك ثم وجهوا بالكتاب مع عبيد الله بن سبيع الهمدانى وعبد الله بن ودّاك السُلمى فوافوا الحسين رضى الله عنه بمكة لعشر خلون من شهر رمضان فأوصلوا الكتاب اليه . ثم لم يمس الحسين يومه ذلك حتى ورد عليه بشر بن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبيد الأرحبى ومعهما خمسون كتابا من أشراف أهل الكوفة ورؤسائها كل كتاب منها من الرجلين والثلاثة والاربعة بمثل ذلك فلما أصبح وافاه هانئ بن هانئ السبيعى وسعيد ابن عبد الله الخثعمى ومعهما أيضا نحو من خمسين كتابا . فلما أمسى أيضا ذلك اليوم ورد عليه سعيد بن عبد الله الثقفى ومعه كتاب واحد من شبث ابن ربعى وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن عمير بن عُطارد وكانوا هؤلاء الرؤساء من أهل الكوفة فتتابعت عليه فى أيام رسل أهل الكوفة من الكتب ماملأ منه خرجين . فكتب الحسين اليهم جميعا كتابا واحدا ودفعه الى هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن على الى من بلغه كتابى هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة سلام عليكم أما بعد فقد أتتنى كتبكم وفهمت ماذكرتم من محبتكم

لقدومى عليكم وأنا باعث اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهلى مُسلم بن عقيل ليعلم لى كُنه أمركم ويكتب الىّ بما يتبين له من اجتماعكم فان كان أمركم على ماأتتنى به كتبكم وأخبرتنى به رسلكم أسرعتُ القدوم عليكم ان شاء الله والسلام وقد كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة الى مكة فقال له الحسين عليه السلام يابن عمّ قد رأيت أن تسير الى الكوفة فتنظر ما اجتمع عليه رأى أهلها فان كانوا على ما أتتنى به كتبهم فعجلْ علىّ بكتابك لأُسرع القدوم عليك وان تكن الاخرى فعجل الانصراف فخرج مسلم على طريق المدينة ليُلمّ بأهله ثم استأجر دليلين من قيس وسار فضلاً ذات ليلة فأصبحا وقد تاها واشتدّ عليهما العطش والحرّ فانقطعا فلم يستطيعا المشى فقالا لمسلم عليك بهذا السَمت فالزَمْه لعلّك أن تنجو فتركهما مسلم ومضى على ذلك السمت ولم يلبث الدليلان ان ماتا ونجا مسلم ومن معه من خدمه بحُشاشة الانفس حتى أفضوا الى الطريق فلزموه حتى وردوا الماء فأقام مسلم بذلك الماء وكتب الى الحسين مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء يخبره خبره وخبر الدليلين وما لاقى من الجَهد ويعلمه أنه قد تطير من الوجه الذى توجّه له ويسأله أن يعفيه ويوجه غيره ويخبره أنه مقيم بمنزله ذلك من بطن الخُرْبُت فسار الرسول حتى وافى مكة وأوصل الكتاب الى الحسين فقرأه وكتب فى جوابه أما بعد فقد ظننت ان الجبن قد قصر بك عما وجهتك به فامضِ لما امرتُك فانى غير معفيك والسلام . فسار مسلم حتى وافى الكوفة ونزل فى الدار التى تُعرَف بدار المختار بن أبى عبيد ثم عُرفت اليومَ بدار المسيّب فكانت الشيعة تختلف اليه

فيقرأ عليهم كتاب الحسين ففشا أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير
أميرها فقال لا أقاتل الا من قاتلنى ولا أثب الا على من وثب علىّ ولا آخذ
بالقرفة والظنّة فمن أبدى صفحتَه ونكث بيعته ضربته بسيفى ما ثبت قائمه فى
يدى ولو لم أكن الا وحدى وكان يحبّ العافية ويغتنم السلامة فكتب
مسلم بن سعيد الحضرمى وعُمارة بن عُقبة وكانا عيانَ يزيد بن معاوية الى
يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعيةً للحسين بن علىّ وانه قد
أفسد قلوب أهلها عليه فان يكن لك فى سلطانك حاجة فبادرْ اليه من يقوم
بأمرك ويعمل مثل عملك فى عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو متضاعف والسلام

(مقتل مسلم بن عقيل)

فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بعهد فكُتب لعبيد الله بن زياد على
الكوفة وأمره أن يبادر الى الكوفة فيطلب مسلم بن عقيل طلب الخرَزَة حتى
يظفر به فيقتله أو ينفيه عنها ودفع الكتاب الى مسلم بن عمرو الباهلىّ أبى قُتيبة
ابن مسلم وأمره باغذاذ السير فسار مسلم حتى وافى البصرة وأوصل الكتاب
الى عبيد الله بن زياد وقد كان الحسين بن علىّ رضى الله عنه كتب كتابا الى
شيعته من أهل البصرة مع مولى له يسمى سلمان نسخته بسم الله الرحمن الرحيم
من الحسين بن علىّ الى مالك بن مِسمع والأحنف بن قيس والمنذر ابن الجارُود
ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم سلام عليكم أما بعد فانى أدعوكم الى احياء
معالم الحق وإماتة البدع فان تُجيبوا تهتدوا سُبل الرشاد والسلام فلما أتاهم هذا
الكتاب كتموه جميعا الا المنذر بن الجارود فانه أفشاه لتزويجه ابنته هندا من

عبيد الله بن زياد فأقبل حتى دخل عليه فأخبره بالكتاب وحكى له ما فيه فأمر عبيد الله بن زياد بطلب الرسول فطلبوه فأتوه به فضربت عنقه . ثم أقبل حتى دخل المسجد الاعظم فاجتمع له الناس فقام فقال أنصفَ القارةَ مَن راماها يا أهل البصرة ان أمير المؤمنين قد ولانى مع البصرة الكوفة وأنا سائر اليها وقد خلفتُ عليكم أخى عثمان بن زياد فاياكم والخلاف والارجاف فوالله الذى لا اله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خالف أو أرجف لأقتلنه ووليّه ولآخذن الأدنى بالأقصى والبرئ بالسقيم حتى تستقيموا وقد أعذر من أنذر ثم نزل وسار وخرج معه من أشراف أهل البصرة شريك بن الاعور والمنذر ابن الجارود فسار حتى وافى الكوفة فدخلها وهو متلثم وقد كان الناس بالكوفة يتوقعون الحسين بن علىّ عليهما السلام وقدومه فكان لا يمر ابن زياد بجماعة الا ظنوا أنه الحسين فيقومون له ويدعون ويقولون مرحبا بابن رسول الله قدمتَ خير مقدم فنظر ابن زياد من تباشرهم بالحسين الى ما ساءه وأقبل حتى دخل المسجد الاعظم ونودى فى الناس فاجتمعوا وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة ان أمير المؤمنين قد ولانى مصركم وقسم فيئكم فيكم وأمرنى بانصاف مظلومكم والاحسان الى سامعكم ومطيعكم والشدة على عاصيكم ومُرِيبكم وأنا منتهٍ فى ذلك الى أمره وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق ولمخالفكم كالسَمّ النقيع فلا يُبقينّ أحد منكم الا على نفسه ثم نزل فأتى القصر فنزله وارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده

فخاف على نفسه فخرج من الدار التى كان فيها بعد عتمة حتى أتى دار هانئ
ابن عروة المذحجى وكان من أشراف أهل الكوفة فدخل داره الخارجة
فأرسل اليه وكان فى دار نسائه يسأله الخروج اليه فخرج اليه وقام مسلم فسلم
عليه وقال انى أتيتك لتجيرنى وتضيفنى فقال له هانئ لقد كلفتنى شططا من
الامر ولولا دخولك منزلى لأحببت أن تنصرف عنى غير انه قد لزمنى
ذمامٌ لذلك فأدخله دار نسائه وأفرد له ناحية منها وجعلت الشيعة تختلف اليه
فى دار هانئ . وكان هانئ بن عروة مواصلا لشريك بن الاعور البصرى،
الذى قدم مع ابن زياد وكان ذا شرف بالبصرة وخطر فانطلق هانئ اليه حتى
أتى به منزله وأنزله مع مسلم بن عقيل فى الحجرة التى كان فيها وكان شريك
من كبار الشيعة بالبصرة فكان يحث هانئا على القيام بأمر مسلم . وجعل مسلم
يبايع من أتاه من أهل الكوفة ويأخذ عليهم العهود والمواثيق المؤكدة بالوفاء
ومرض شريك بن الاعور فى منزل هانئ بن عروة مرضا شديدا وبلغ ذلك
عبيد الله بن زياد فأرسل اليه يُعلمه انه يأتيه عائدا فقال شريك لمسلم بن عقيل
انما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية وقد أمكنك الله منه هو صائر
الىَّ ليعودنى فقم فادخل الخزانة حتى اذا اطمأن عندى فاخرج اليه فاقتله ثم
صر الى قصر الامارة فاجلس فيه فانه لا ينازعك فيه أحد من الناس وان
رزقنى الله العافية صرتُ الى البصرة فكفيتك أمرها وبايع لك أهلها فقال
هانئ بن عروة ما أحبّ أن يُقتل فى دارى ابن زياد فقال له شريك ولَم
فوالله ان قتله لقربان الى الله ثم قال شريك لمسلم لا تقصّر فى ذلك فبينما هم

على ذلك اذ قيل لهم الأمير بالبـاب فدخل مسلم بن عقيل الخزانة ودخل عبيد الله بن زياد على شريك فسلم عليه وقال ما الذى تجد وتشتكى فلما طال سؤاله اياه استبطأ شريك خروج مسلم وجعل يقول ويُسمع مسلما

ما تَنظُرُون بسَلمى عند فُرْصتها   قد وَنَى وُدُّها واستوسق الصرَمُ

وجعل يُرَدد ذلك فقال ابن زياد لهانئ أيَهجُرُ يعنى يَهذِى قال هانئ نعم أصلح الله الأمير لم يزل هكذا منـذ أصبح ثم قام عبيد الله وخرج فخرج مسلم بن عقيـل من الخزانة فقال له شريك ما الذى منعك منـه الا الجبن والفشل قال مسلم منعني منـه خلّتان احـداهما كراهية هانئ لقتله فى منزله والأخرى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيّد الفتك لا يفتُك مؤمن فقال له شريك أما والله لو قتلته لاستقام لك أمرك واستوسق لك سلطانك ولم يعش شريك بعـد ذلك الا أياما حتى توفى وشَيّع ابن زياد جنازته وتقـدم فصلى عليه . ولم يزل مسلم بن عقيل يأخـذ البيعة على أهل الـكوفة حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل فى سَتر ورفق وخفى على عبيد الله ابن زياد موضع مسلم بن عقيـل فقال لمولى له من أهل الشام يسمى معقلا وناوله ثلاثة آلاف درهم فى كيس وقال خذ هذا المال وانطلق فالتمس مسلم ابن عقيـل وتأتّ له بغاية التأنى فانطلق الرجل حتى دخـل المسجد الاعظم وجعل لا يدرى كيف يتأتى للأمر ثم انه نظر الى رجل يكثر الصلاة الى سارية من سوارى المسجد فقال فى نفسه ان هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة وأحسب هذا منهم فجلس للرجل حتى اذا انفتل من صلاته قام فدنا منه وجلس فقال

جعلت فداك انى رجل من أهل الشام مولى لذى الكَلاع وقد أنعم الله علىّ بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب من أحبهم ومعى هذه الثلاثة آلاف درهم أحب ايصالها الى رجل منهم بلغنى أنه قدم هذا المصر داعية للحسين بن علىّ عليه السلام فهل تدلنى عليه لأوصل هذا المال اليه ليستعين به على بعض أموره أو يضعه حيث يحب من شيعته فقال له الرجل وكيف قصدتنى بالسؤال عن ذلك دون غيرى ممن هو فى هذا المسجد قال لأنى رأيت عليك سيم الخير فرجوت أن تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الرجل ويحك قد وقعتَ علىّ بعينك أنا رجل من اخوانك واسمى مسلم بن عَوْسَجة وقد سررت بك وساءنى ما كان من حس قلبك فانى رجل من شيعة أهل هذا البيت خوفا من هذا الطاغية ابن زياد فأعطنى ذمة الله وعهده أن تكتم هذا الامر من جميع الناس فأعطاه من ذلك ما أراد فقال له مسلم بن عوسجة انصرف يومك هذا فاذا كان غدا فأتني فى منزلى حتى أنطلق معك الى صاحبنا يعني مسلم بن عقيل فأوصلك اليه فمضى الشامىّ فبات ليلته فلما أصبح غدا الى مسلم بن عوسجة فى منزله فانطلق به حتي أدخله الى مسلم بن عقيل فأخبره بأمره ودفع اليه الشامي ذلك المال وبايعه وكان الشامى يغدو الى مسلم بن عقيل فلا يُحجَب عنه فيكون نهاره كله عنده فيتعرّف جميع أخبارهم فاذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن زياد فأخبره بجميع قصصهم وما قالوا وفعلوا فى ذلك وأعلمه نزول مسلم فى دار هانئ بن عروة . ثم ان محمد بن الاشعث وأسماء بن خارجة دخلا على

ابن زياد مسلمين فقال لهما مافعل هانئ بن عروة فقالا أيها الامير انه عليل منذ أيام فقال ابن زياد وكيف وقد بلغنى انه يجلس على باب داره عامة نهاره فما يمنعه من اتياننا وما يجب عليه من حق التسليم قالا سنعلمه ذلك ونخبره باستبطائك اياه فخرجا من عنده وأقبلا حتى دخلا على هانئ بن عروة فأخبراه بما قال لهما ابن زياد وما قالا له ثم قالا له أقسمنا عليك الا قمت معنا اليه الساعة لتَسُلَّ سخيمةَ قلبه فدعا ببغلته فركبها ومضى معهما حتى اذا دنا من قصر الامارة خبثت نفسه فقال لهما ان قلبى قد أوجس من هذا الرجل خيفة قالا ولم تحدّث نفسك بالخوف وأنت برئ الساحة فمضى معهما حتى دخلوا على ابن زياد فأنشأ ابن زياد يقول متمثلا

اريدُ حباءه ويريد قتلى　　عَذيرَكَ من خليلِكَ من مُراد

قال هانئ وما ذاك أيها الأمير قال ابن زياد وما يكون أعظم من مجيئك بمسلم ابن عقيل وادخالك إيّاه منزلك وجمعك له الرجال ليبايعوه فقال هانئ ما فعلتُ وما أعرفُ من هذا شيئا فدعا ابن زياد بالشامى وقال ياغلام ادع لى معقلا فدخل عليهم فقال ابن زياد لهانئ بن عروة أتعرف هذا فلما رآه علم أنه انما كان عيناً عليهم فقال هانئ أصدُقك والله أيها الامير انى والله مادعوت مسلم بن عقيل وماشعرتُ به ثم قصّ عليه قصته على وجهها ثم قال فأما الآن فأنا مُخرجه من دارى لينطلق حيث شاء واُعطيك عهدا وثيقا ان أرجع اليك قال ابن زياد لا والله لا تفارقنى حتى تأتينى به فقال هانئ أوَ يجمُل بى أن أسلم ضيفى وجارى للقتل والله لا أفعل ذلك أبدا فاعترضه ابن زياد بالخيزرانة

فضرب وجهه وهشم أنفه وكسر حاجبه وأمر به فأُدخل بيتا وبلغ مذحجا ان ابن زياد قد قتل هانئا فاجتمعوا بباب القصر وصاحوا فقال ابن زياد لشريح القاضي وكان عنده أدخل الى صاحبهم فانظر اليه ثم أخرج اليهم فأعلمهم انه حيّ ففعل فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج اما اذ كان صاحبكم حيّا فما يُعجلكم الفتنة انصرفوا فانصرفوا فلما علم ابن زياد انهم قد انصرفوا أمر بهانئ فأُتى به السوقَ فضربت عنقه هناك . ولما بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروة نادى فيمن كان بايعه فاجتمعوا فعقد لعبد الرحمن بن كَريز الكندى على كندة وربيعة وعقد لمسلم بن عَوْسَجة على مذحج وأسد وعقد لابى ثمامة الصيداوىّ على تميم وهمدان وعقد للعباس بن جَعدة بن هُبيرة على قريش والانصار فتقدّموا جميعا حتى أحاطوا بالقصر واتّبعهم هو فى بقية الناس وتحصن عبيد الله بن زياد فى القصر مع من حضر مجلسه فى ذلك الوقت من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط وكانوا مقدار مائتى رجل فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنُّشّاب ويمنعونهم من الدنوّ من القصر فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا . وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة ليُشرف كلّ رجل منكم فى ناحية من السور فخوّفوا القوم فأشرف كثير بن شهاب ومحمد بن الاشعث والقَعْقاع بن شَوْر وشَبث ابن رِبْعىّ وحجّار بن أبْجَر وشِمْر بن ذى الجوْشن فنادوا يا أهل الكوفة اتّقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة ولا تشقّوا عصا هذه الامّة ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام فقد ذقتموهم وجرّبتم شوكتهم فلما سمع أصحاب مسلم

مقاتلهم فتروا بعض الفتور وكان الرجل من أهل الكوفة يأتى ابنه وأخاه
وابن عمه فيقول انصرف فان الناس يكفونك وتجيء المرأة الى ابنها وزوجها
وأخيها فتتعلق به حتى يرجع فصلى مسلم العشاء فى المسجد وما معه الا زهاء
ثلاثين رجلا . فلما رأى ذلك مضى منصرفا ماشيا ومشوا معه فأخذ نحو كندة
فلما مضى قليلا التفت فلم ير منهم أحدا ولم يصب انسانا يدله على الطريق
فمضى هائما على وجهه فى ظلمة الليل حتى دخل حى كندة فاذا امرأة قائمة على
باب دارها تنتظر ابنها وكانت ممن خف مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها وجاء
ابنها فقال من هذا فى الدار فأعلمته وأمرته بالكتمان . ثم ان ابن زياد لما فقد
الاصوات ظن ان القوم دخلوا المسجد فقال انظروا هل ترون فى المسجد
أحدا وكان المسجد مع القصر فنظروا فلم يروا أحدا وجعلوا يشعلون اطنان
القصب ثم يقذفون بها فى رحبة المسجد ليضيء لهم فتبينوا فلم يروا أحدا فقال
ابن زياد ان القوم قد خذلوا وأسلموا مسلما وانصرفوا فخرج فيمن كان معه
وجلس فى المسجد ووضعت الشموع والقناديل وأمر مناديا فنادى بالكوفة
ألا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد
فاجتمع الناس ثم قال يا حصين بن نمير وكان على الشرطة ثكلتك أمك ان
ضاع باب سكة من سكك الكوفة فاذا أصبحت فاستقرى الدور دارا دارا
حتى تقع عليه وصلى ابن زياد العشاء فى المسجد ثم دخل القصر فلما أصبح
جلس للناس فدخلوا عليه ودخل فى أوائلهم محمد بن الاشعث فأقعده معه
على سريره وأقبل ابن تلك المرأة التى مسلم فى بيتها الى عبد الرحمن بن محمد

ابن الاشعث وهو حينئذ غلام حين راهق فأخبره بمكان مسلم عنده فأقبل عبد الرحمن الى أبيه محمد بن الاشعث وهو جالس مع ابن زياد فأسرّ اليه الخبر فقال ابن زياد ما سارّك به ابنك قال أخبرني أن مسلم بن عقيل في بعض دورنا فقال انطلق فأتني به الساعة . وقال لعبيد بن حريث ابعث مائة رجل من قريش وكره أن يبعث اليه غير قريش خوفا من العصبيّة ان تقع فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل فاقتحموها فقاتلهم فرُمي فكسر فوه وأُخذ فأتي ببغلة فركبها وصاروا به الى ابن زياد فلما أُدخل عليه وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له سلّم على الامير قال ان كان الامير يريد قتلي فما أنتفعُ بسلام عليه وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي فقال ابن زياد كأنك ترجو البقاء فقال له مسلم فان كنتَ مزمعا على قتلي فدَعني أُوص الى بعض من هاهنا من قومي قال له أوص بما شئت فنظر الى عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال له اخلُ معي في طرف هذا البيت حتى أوصي اليك فليس في القوم أقربَ اليّ ولا أولى بي منك فتنحَّى معه ناحيةً فقال له أتقبل وصيتي قال نعم قال مسلم ان عليّ هاهنا دينا مقدار ألف درهم فاقض عني واذا أنا قتلت فاستوهب من ابن زياد جثتي لئلا يمثّل بها وابعث الى الحسين بن عليّ رسولا قاصدًا من قبلك يعلمه حالي وما صرتُ اليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنهم شيعة وأخبره بما كان من نكثهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل لينصرف الى حرم الله فيقيم به ولا يغتر بأهل الكوفة . وقد كان مسلم كتب الى الحسين أن يقدم ولا يلبث فقال له عمر بن سعد لك عليّ

ذلك كله وأنا به زعيم فانصرف الى ابن زياد فأخبره بكلّ ما أوصى به اليه مسلم فقال له ابن زياد قد أسأت فى افشائك ما أسرّه اليك وقد قيل انه لايخونك الا الامين وربما ائتمنك الخائن وأمر بن زياد بمسلم بن عقيل فَرُقِيَ به الى ظهر القصر فاشرف به على الناس وهم على باب القصر مما يلى الرحبة حتى اذا رأوه ضربت عنقه هناك فسقط رأسه الى الرحبة ثم أتبع الرأس بالجسد وكان الذى تولى ضرب عنقه احمر بن بُكير وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الزبير الاسدىّ

فان كنتِ لاتدرين ما الموت فانظرِى الى هانئٍ فى السوقِ وابن عَقِيل
الى بطل قد هشّمَ السيف أنفَه وآخَر يهوى من طَمارَ قَتيل
أصابهما ريب الزمان فأصبحا أحاديثَ من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموتُ لونَهُ ونضحَ دم قد سال كلّ مسيل

ثم بعث عبيد الله برؤوسهما الى يزيد وكتب اليه بالنبأ فيهما فكتب اليه يزيد لم تَعْدُ الظن بك وقد فعلت فعل الحازم الجليد وقد سألت رسوليك عن الامر ففرشاه لى وهما كما ذكرت فى النصح وفضل الرأى فاستوص بهما وقد بلغنى ان الحسين بنْ علىّ قد فصل من مكة متوجها الى ما قِبَلك فأذْكِ العيون عليه وضع الارصاد على الطرق وقم أفضل القيام غيرأن لاتقاتل الا من قاتلك وا كتب الىّ بالخبر فى كل يوم وكان أنفذ الرأسين اليه مع هانئ ابن أبى حبة الهمدانىّ والزبير بن الأروح التميمىّ وكان قتلُ مسلم بن عقيل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ستين وهى السنة التى مات

فيها معاوية .

(مخرج الحسين رضي الله عنه الى الكوفة)

وخرج الحسين بن علىّ عليه السلام من مكة فى ذلك اليوم . ثم ان ابن زياد وجه بالحصين بن نمير وكان على شرطه فى أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأمره أن يقيم بالقادسية الى القُطْقُطانة فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة الى الحجاز الا من كان حاجا أو معتمرا أو من لايتّهم بممالاة الحسين . قالوا ولما ورد كتاب مسلم بن عقيل على الحسين عليه السلام ان الرائدَ لايكذب أهله وقد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر آلاف رجل فاقدَم فان جميع الناس معك ولا رأى لهم فى آل أبى سفيان . فلما عزم على الخروج وأخذ فى الجهاز بلغ ذلك عبد الله بن عباس فأقبل حتى دخل على الحسين رضى الله عنه فقال ياابن عم قد بلغنى انك تريد المسير الى العراق قال الحسين أنا على ذلك قال عبد الله أُعيذك بالله ياابن عم من ذلك قال الحسين قد عزمت ولا بد من المسير قال له عبد الله أتسير الى قوم طردوا أميرهم عنهم وضبطوا بلادهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا انما يدعونك اليهم وأميرهم عليهم وعماله يجبونهم فانهم انما يدعونك الى الحرب ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك وأخاك قال الحسين ياابن عم سأنظر فيما قلتَ . وبلغ عبد الله بن الزبير مايهمّ به الحسين فأقبل حتى دخل عليه فقال له لو أقمت بهذا الحرم وبثثت رسلك فى البلدان وكتبتَ الى شيعتك بالعراق أن يقدَموا عليك فاذا قوى أمرك نفيت عمال يزيد عن هذا البلد وعلىّ لك

المكاشفة والمؤازرة وان عملت بمشورتى طلبت هذا الأمر بهذا الحرم فانه مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار لم يعدمك باذن الله ادراك ماتريد ورجوت أن تناله . قالوا ولما كان فى اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس الى الحسين فقال له ياابن عم لاتقرب أهل الكوفة فانهم قوم غدرة وأقم بهذه البلدة فانك سيد أهلها فان أبيت فسر الى أرض اليمن فان بها حصونا وشعابا وهى أرض طويلة عريضة ولأبيك فيها شيعة فتكون عن الناس فى عزلة وتبث دعاتك فى الآفاق فانى أرجو ان فعلت ذلك أتاك الذى تحب فى عافية قال الحسين عليه السلام ياابن عم والله انى لأعلم انك ناصح مشفق غير انى قد عزمت على الخروج قال ابن عباس فان كنت لامحالة سائرا فلا تخرج النساء والصبيان فانى لا آمن أن تقتل كما قتل ابن عفان وصبيته ينظرون اليه قال الحسين عليه السلام ماأرى الا الخروج بالأهل والولد فخرج ابن عباس من عند الحسين فمر بابن الزبير وهو جالس فقال له قرت عينك ياابن الزبير بخروج الحسين ثم تمثل .

خلا لك الجو فبيضى واصفرى ونقرى ماشئت أن تنقرى

قالوا ولما خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد ابن العاص فى جماعة من الجند فقال ان الامير يأمرك بالانصراف فانصرف والا منعتك فامتنع عليه الحسين وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط وبلغ ذلك عمرو بن سعيد فخاف أن يتفاقم الامر فأرسل الى صاحب شرطه يأمره بالانصراف . قالوا ولما فصل الحسين بن على من مكة سائرا وقد وصل الى

التنعيم لحق عيرا مقبلة من اليمن عليها ورس وحناء يُنطلق به الى يزيد بن معاوية فأخذها وما عليها وقال لأصحاب الابل من أحبّ منكم أن يسير معنا الى العراق أوفيناه كراءه وأحسنا صحبته ومن أحبّ أن يفارقنا من هاهنا أعطيناه من الكراء بقدر ماقطع من الارض ففارقه قوم ومضى معه آخرون ثم سار حتى اذا انتهى الى الصفاح لقيه هنالك الفرزدق الشاعر مقبلا من العراق يريد مكة فسلم على الحسين فقال له الحسين كيف خلّفتَ الناس بالعراق قال خلفتهم وقلوبهم معك وسيوفهم عليك ثم ودّعه ومضى الحسين عليه السلام حتى اذا صار ببطن الرمة كتب الى أهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علىّ الى اخوانه من المؤمنين بالكوفة سلام عليكم أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل ورد علىّ باجتماعكم لى وتشوّفكم الى قدومى وا أنتم عليه منتظرون من نصرنا والطلب بحقنا فأحسن الله لنا ولكم الصنيع وأثابكم على ذلك بأفضل الذخر وكتابى اليكم من بطن الرمة وأنا قادم عليكم وحثيث السير اليكم والسلام . ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر فسار حتى وافى القادسية فأخذه حصين بن نمير وبعث به الى ابن زياد فلما دخل عليه أغلظ لعبيد الله فأمر به أن يطرح من أعلى سور القصر الى الرحبة فطرح فمات . وسار الحسين عليه السلام من بطن الرمة فلقيه عبد الله بن مطيع وهو منصرف من العراق فسلم على الحسين وقال له بأبى أنت وأمى ياابن رسول الله ماأخرجك من حرم الله وحرم جدك فقال ان أهل الكوفة كتبوا الىّ يسألونى أن أقدم عليهم لما رجوا من إحياء معالم الحق واماتة

البدع قال له ابن مطيع أنشدك الله أن تأتى الكوفة فوالله لئن أتيتها لتقتلن فقال له الحسين عليه السلام (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) ثم ودّعه ومضى . ثم سار حتى انتهى الى زرود فنظر الى فسطاط مضروب فسأل عنه فقيل له هو لزهير بن القين وكان حاجا أقبل من مكة يريد الكوفة فأرسل اليه الحسين أن القنى أ كلمك فأبى أن يلقاه وكانت مع زهير زوجته فقالت له سبحان الله يبعث اليك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تجيبه فقام يمشى الى الحسين عليه السلام فلم يلبث ان انصرف وقد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه فقلع وضرب الى لِزْق فسطاط الحسين ثم قال لامرأته أنت طالق فتقدّمى مع أخيك حتى تصلى الى منزلك فانى قد وطنتُ نفسى على الموت مع الحسين عليه السلام ثم قال لمن كان معه من أصحابه من أحبّ منكم الشهادة فليقم ومن كرهها فليتقدم فلم يقم معه منهم أحد وخرجوا مع المرأة وأخيها حتى لحقوا بالكوفة . قالوا ولما رحل الحسين من زرود تلقاه رجل من بنى أسد فسأله عن الخبر فقال لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ورأيت الصبيان يجرون بأرجلهما فقال إنا لله وإنا اليه راجعون عند الله نحتسب أنفسنا فقيل له ننشدك الله يا ابن رسول الله فى نفسك وأنفس أهل بيتك هؤلاء الذين نراهم معك انصرف الى موضعك ودع المسير الى الكوفة فوالله مالك بها ناصر فقال بنو عقيل وكانوا معه مالنا فى العيش بعد أخينا مسلم حاجة ولسنا براجعين حتى نموت فقال الحسين فما خير فى العيش بعد هؤلاء وسار فلما وافى زبالة وافاه بها رسول محمد بن الأشعث وعمر بن سعد بما

كان سأله مسلم أن يكتب به اليه من أمره وخذلان أهل الكوفة اياه بعد
ان بايعوه وقد كان مسلم سأل محمد بن الأشعث ذلك فلما قرأ الكتاب
استيقن بصحة الخبر وأفظعه قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ثم أخبره
الرسول بقتل قيس بن مسهر رسوله الذى وجهه من بطن الرمة وقد كان صحبه
قوم من منازل الطريق فلما سمعوا خبر مسلم وقد كانوا ظنوا انه يقدم على
أنصار وعضد تفرقوا عنه ولم يبق معه الا خاصته فسار حتى انتهى الى بطن
العقيق فلقيه رجل من بنى عكرمة فسلم عليه وأخبره بتوطيد ابن زياد الخيل
ما بين القادسية الى العذيب رصدا له ثم قال له انصرف بنفسى أنت فوالله
ما تسير الا الى الأسنة والسيوف ولا تتكلن على الذين كتبوا اليك فان
أولئك أول الناس مبادرة الى حربك فقال له الحسين قد ناصحتَ وبالغت
فجزيتَ خيرا ثم سلم عليه ومضى حتى نزل بسَراة بات بها ثم ارتحل وسار
فلما انتصف النهار واشتد الحر وكان ذلك فى القيظ تراءت لهم الخيل
فقال الحسين لزهير بن القين اما هاهنا مكان يُلجأ اليه أو شرف نجعله خلف
ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد قال له زهير بلى هذا جبل ذى جُشَم يسرةً
عنك فمِلْ بنا اليه فان سبقتَ اليه فهو كما تحبّ فسار حتى سبق اليه وجعل
ذلك الجبل وراء ظهره وأقبلت الخيل وكانوا ألف فارس مع الحرّ بن يزيد
التميمى ثم اليربوعىّ حتى اذا دنوا أمر الحسين عليه السلام فتيانه أن يستقبلوهم
بالماء فشربوا وتغمّرت خيلهم ثم جلسوا جميعا فى ظلّ خيولهم واعنّتها فى أيديهم
حتى اذا حضرت الظهر قال الحسين عليه السلام للحرّ أتصلى معنا أو تصلى

بأصحابك وأصلى بأصحابى قال الحرّ بل نصلى جميعا بصلاتك فتقدّم الحسين
عليه السلام فصلى بهم جميعا فلما انفتل من صلاته حوّل وجهه الى القوم ثم
قال أيها الناس معذرة الى الله ثم اليكم انى لم آتكم حتى اتتنى كتبكم وقدمت
علىّ رسلكم فان أعطيتمونى ما أطمئنّ اليه من عهودكم ومواثيقكم دخلنا معكم
مصركم وان تكن الاخرى انصرفتُ من حيث جئتُ فأسكت القوم فلم
يردّوا عليه حتى اذا جاء وقت العصر نادى مؤذن الحسين ثم أقام وتقدم
الحسين فصلى بالفريقين ثم انفتل اليهم فأعاد مثل القول الأول فقال الحرّ بن
يزيد والله ما ندرى ما هذه الكتب التى تذكر فقال الحسين عليه السلام
ائتنى بالخرجين اللذين فيهما كتبهم فأُتى بخرجين مملوءين كتبًا فنثرت بين
يدى الحرّ وأصحابه فقال له الحرّ ياهذا لسنا ممن كتب اليك شيئا من هذه
الكتب وقد أمرنا أن لا نُفارقك اذا لقيناك أو نقدم بك الكوفة على الأمير
عبيدالله بن زياد فقال الحسين عليه السلام الموت دون ذلك ثم أمر بأثقاله فحملت
وأمر أصحابه فركبوا ثم ولّى وجهه منصرفا نحو الحجاز فحال القوم بينه وبين
ذلك فقال الحسين للحرّ ما الذى تريد قال أريد والله ان انطلق بك الى
الأمير عبيد الله بن زياد قال الحسين اذًا والله أُنابذك الحرب فلما كثر
الجدال بينهما قال الحرّ انى لم أومَر بقتالك وانما أُمِرتُ ان لا أفارقك وقد
رأيت رأيا فيه السلامة من حربك وهو أن تجعل بينى وبينك طريقا لا تُدخلك
الكوفة ولا تردّك الى الحجاز تكون نصفًا بينى وبينك حتى يأتينا رأى الأمير
قال الحسين فخذ هاهنا فأخذ متياسرا من طريق العُذيب ومن ذلك المكان

الى العذيب ثمانية وثلاثون ميلا فسارا جميعا حتى انتهوا الى عُذيب الحمامات فنزلوا جميعا وكلّ فريق منهما على غلوة من الآخر ثمّ ارتحل الحسين من موضعه ذلك متيامنا عن طريق الكوفة حتى انتهى الى قصر بنى مُقاتل فنزلوا جميعا هناك فنظر الحسين الى فسطاط مضروب فسأل عنه فأخبر أنه لعبيد الله بن الحرّ الجعفىّ وكان من أشراف أهل الكوفة وفرسانهم فأرسل الحسين اليه بعض مواليه يأمره بالمصير اليه فأتاه الرسول فقال هذا الحسين بن علىّ يسألك أن تسير اليه فقال عبيد الله والله ما خرجتُ من الكوفة الا لكثرة من رأيته خرج لمحاربته وخذلان شيعته فعلمتُ انه مقتول ولا أقدر على نصره فلستُ أحبّ أن يرانى ولا أراه فانتعل الحسين حتى مشى ودخل عليه قبّته ودعاه الى نصرته فقال عبيد الله والله انى لاعلم انّ من شايعك كان السعيد فى الآخرة ولكن ماعسى ان أغنى عنك ولم اخلّف لك بالكوفة ناصرا فانشدك بالله أن تحملنى على هذه الخطّة فان نفسى لم تسمح بعد بالموت ولكن فرسى هذه الملحقة والله ما طلبت عليها شيئا قط الا لحقته ولا طلبنى وانا عليها أحد قط الا سبقته فخذها فهى لك قال الحسين أما اذ رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا الى فرسك . وسار الحسين عليه السلام من قصر بنى مقاتل ومعه الحر بن يزيد كلّ ما أراد أن يميل نحو البادية منعه حتى انتهى الى المكان الذى يسمى كَرْبَلاء فسال قليلا متيامنا حتى انتهى الى نينوَى فاذا هو براكب على نجيب مقبل من القوم فوقفوا جميعا ينتظرونه فلما انتهى اليهم سلّم على الحرّ ولم يسلم على الحسين ثم ناول الحرّ كتابا من عبيد الله بن

زياد فقرأه فاذا فيه . أما بعد فجعجع بالحسين بن عليّ وأصحابه بالمكان الذى يوافيك كتابى ولا تحلّه الا بالعراء على غير خمر ولا ماء وقد امرت حامل كتابى هذا ان يخبرنى بما كان منك فى ذلك والسلام . فقرأ الحرّ الكتاب ثم ناوله الحسين وقال لا بدّ من انفاذ أمر الامير عبيد الله بن زياد فانزل بهذا المكان ولا تجعل للأمير عليّ علةً فقال الحسين عليه السلام تقدَّمْ بنا قليلا الى هذه القرية التى هى منا عل غلوة وهى الغاضريّة أو هذه الاخرى التى تسمى السَقْبة فننزل فى احديهما قال الحر ان الامير كتب اليّ ان أُحلّك على غير ماء ولا بد من الانتهاء الى أمره فقال زهير بن القين للحسين بأبى وأمى يا ابن رسول الله والله لو لم يأتنا غير هؤلاء لكان لنافيهم كفاية فكيف بمن سيأتينا من غيرهم فهلمّ بنا نُناجز هؤلاء فان قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال من يأتينا من غيرهم قل الحسين عليه السلام فانى أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدؤونا فقال له زهير فهاهنا قرية بالقرب منّا على شطّ الفرات وهى فى عاقول حصينةٌ . الفراتُ يُحدق بها الا من وجه واحد قال الحسين وما اسم تلك القرية قال العَقْر قال الحسين نعوذ بالله من العقر فقال الحسين للحرّ سِر بنا قليلا ثم ننزل فسار معه حتى أتوا كربلاء فوقف الحرّ وأصحابه امام الحسين ومنعوهم من المسير وقال انزل بهذا المكان فالفراتُ منك قريب قال الحسين وما اسم هذا المكان قالوا له كربلاء قال ذات كربٍ و بلاءٍ ولقد مرّ أبى بهذا المكان عند مسيره الى صفين وأنا معه فوقف فسأل عنه فأخبر باسمه فقال هاهنا محطّ ركابهم وهاهنا مُهراق دمائهم فسئل عن ذلك فقال ثَقَل

لآل محمد ينزلون هاهنا ثمّ أمر الحسين بأثقاله فحطّت بذلك المكان يوم الاربعاء غرّةَ المحرّم من سنة احدى وستين وقتل بعدذلك بعشرة أيام وكان قتله يوم عاشوراء

(مقتل الحسين)

فلما كان اليوم الثانى من نزوله كربلاء وافاه عمر بن سعد فى أربعة آلاف فارس وكانت قصّة خروج عمر بن سعد ان عبيد الله بن زياد ولاّه الرىّ وثغر دستَبَى والديلم وكتب له عهده عليها فعسكر للمسير اليها فحدث أمر الحسين فأمره ابن زياد أن يسير الى محاربة الحسين فاذا فرغ منه سار الى ولايته فتلكأ عمر بن سعد على ابن زياد وكره محاربة الحسين فقال له ابن زياد فارددْ علينا عهدنا قال فأسير اذا فسار فى أصحابه أولئك الذين ندبوا معه الى الرى ودستبَى حتى وافى الحسين وانضمّ اليه الحرّ بن يزيد فيمن معه ثم قال عمر ابن سعد لقُرّة بن سفيان الحنظلى انطلق الى الحسين فسله ماأقدمك فأتاه فأبلغه فقال الحسين أبلغه عنى ان أهل هذا المصر كتبوا الىّ يذكرون ألاّ امام لهم ويسألونى القدوم عليهم فوثقت بهم فغدروا بى بعد ان بايعنى منهم ثمانية عشر الف رجل فلما دنوتُ فعلمتُ غرور ما كتبوا به الىّ أردتُ الانصراف الى حيث منه أقبلت فمنعنى الحرّ بن يزيد وسار حتى جعجع بى فى هذا المكان ولى بك قرابة قريبة ورحم ماسة فأطلقنى حتى أنصرف فرجع قرّة الى عمر بن سعد بجواب الحسين بن علىّ فقال عمر الحمد لله والله انى لارجو أن أُعفى عن محاربة الحسين ثم كتب الى ابن زياد يخبره بذلك فلما وصل

كتابه الى ابن زياد كتب اليه فى جوابه قد فهمت كتابك فاعرض على
الحسين البيعة ليزيد فاذا بايع فى جميع من معه فأعلمنى ذلك ليأتيك رأيى فلما
انتهى كتابه الى عمر بن سعد قال ما أحسب ابن زياد يريد العافية فأرسل
عمر بن سعد بكتاب ابن زياد الى الحسين فقال الحسين للرسول لا أجيب ابن
زياد الى ذلك أبدا فهل هو الا الموت فمرحبا به فكتب عمر بن سعد الى ابن
زياد بذلك فغضب فخرج بجميع أصحابه الى النخيلة ثم وجه الحصين بن نمير
وحجار بن أبجر وشبث بن ربعىّ و شمر بن ذى الجوشن ليعاونوا عمر بن سعد
على أمره فأما شمر فنفذ لما وجهه له وأما شبث فاعتل بمرض فقال له ابن
زياد أتتمارض ان كنت فى طاعتنا فاخرج الى قتال عدونا فلما سمع شبث ذلك
خرج ووجه أيضا الحارث بن يزيد بن رويم . قالوا وكان ابن زياد اذا وجه
الرجل الى قتال الحسين فى الجمع الكثير يصلون الى كربلاء ولم يبق منهم الا
القليل كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون ويتخاذلون فبعث ابن زياد سويد
ابن عبد الرحمن المنقرىّ فى خيل الى الكوفة وأمره أن يطوف بها فمن وجده
قد تخلف أتاه به فبينا هو يطوف فى أحياء الكوفة اذ وجد رجلا من أهل
الشام قد كان قدم الكوفة فى طلب ميراث له فأرسل به الى ابن زياد فأمر
به فضربت عنقه فلما رأى الناس ذلك خرجوا . قالوا وورد كتاب بن زياد
على عمر بن سعد أن امنع الحسين وأصحابه الماء فلا يذوقوا منه حسوة كما فعلوا
بالتقىّ عثمان بن عفان فلما ورد على عمر بن سعد ذلك أمر عمرو بن الحجاج
أن يسير فى خمسمائة راكب فينيخ على الشريعة ويحولوا بين الحسين

وأصحابه و بين المـاء وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام فمكث أصحاب الحسين عَطاشى . قالوا ولما اشتدّ بالحسين وأصحابه العطش أمر أخاه العباس بن علىّ وكانت أمـه من بنى عامر بن صَعْصَعَة أن يمضى فى ثلاثين فارسا وعشرين راجلا مع كل رجل قربة حتى يأتوا الماء فيحاربوا من حال بينهم و بينه فمضى العباس نحو الماء وامامهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعـة فمنعهم عمرو ابن الحجاج فجالدهم العباس على الشريعـة بمن معه حتى أزالوهم عنها واقتحم رَجّالة الحسين الماء فملئوا قربهم و وقف العباس فى أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء الى عسكر الحسين ثم ان ابن زياد كتب الى عمر بن سعد . أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتطاوله الايام ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتـكون شفيعه الىّ فاعرض عليه وعلى أصحابه النزول على حكمى فان أجابوك فابعث به و بأصحابه الىّ وان أبوا فازحف اليه فانه عاقّ شاقّ فان لم تفعل فاعتزل جندنا وخلّ بين شمر بن ذى الجوشن و بين العسكر فانّا قـد أمرناه بأمرنا فنادى عمر بن سـعد فى أصحابه أن انهدوا الى القوم فنهض اليهـم عشيّةَ الخميس وليلة الجمعة لتسع ليال خلون من المحرّم فسألهم الحسين تأخير الحرب الى غد فأجابوه قالوا وأمر الحسين أصحابه أن يضمّوا مضاربهم بعضهم من بعض ويكونوا امام البيوت وان يحفروا من وراء البيوت أخدودا وان يضرموا فيـه حطبا وقصبا كثيرا لئلا يأتوا من أدبار البيوت فيدخلوها . قالوا ولمـا صلّى عمر بن سعد الغداة نهض بأصحابه وعلى ميمنته عمرو بن الحجاج وعلى ميسرته شمر بن ذى الجوشن واسم شمر شُرَحْبيل بن عمرو بن معاوية من

آل الوَحيد من بني عامر بن صعصعة وعلى الخيل عُروة بن قيس وعلى الرَجّالة شَبَث بن رِبْعيّ والراية بيد زيد مولى عمر بن سعد . وعبّى الحسين عليه السلام أيضا أصحابه وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا فجعل زهير بن القين على ميمنته وحبيب بن مُظهر على ميسرته ودفع الراية الى أخيه العباس بن علىّ ثم وقف ووقفوا معه امام البيوت . وانحاز الحرّ بن يزيد الذى كان جعجع بالحسين الى الحسين فقال له قد كان منى الذى كان وقد أتيتُك مُواسيًا لك بنفسى أفترى ذلك لى توبةً مما كان منى قال الحسين نعم انها لك توبة فابشرْ فأنت الحرّ فى الدنيا وأنت الحرّ فى الآخرة ان شاء الله قالوا ونادى عمر بن سعد مولاه زيدًا ان قدّم الراية فتقدم بها وشُبّت الحرب فلم يزل أصحاب الحسين يقاتلون ويُقتَلون حتى لم يبق معه غير أهل بيته فكان أول من تقدّم منهم فقاتل علىّ بن الحسين وهو علىّ الأكبر فلم يزل يقاتل حتى قُتل طعنه مُرَّة بن مُنقذ العبْدى فصرعه وأخذته السيوف فقتل ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رماه عمرو بن صَبيح الصيداوى فصرعه ثم قُتل عدىّ بن عبد الله بن جعفر الطيار قتله عمرو بن نهشَل التميمى ثم قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب رماه عبد الله بن عروة الخثعمىّ بسهم فقتله ثم قُتل محمد بن عقيل بن أبى طالب رماه لقيط بن ناشر الجهنىّ بسهم فقتله ثم قُتل القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب ضربه عمرو بن سعد بن مُقبل الأسدى ثم قُتل أبو بكر بن الحسن بن علىّ رماه عبد الله بن عُقبة الغنوىّ بسهم فقتله قالوا ولما رأى ذلك العباس بن علىّ قال لاخوته عبد الله

وجعفر وعثمان بنى علىّ عليه وعليهـم السـلام وأمهـم جميعا أم البنين العامرية من آل الوحيد تقدموا بنفسى أنتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعا فصاروا امام الحسين عليه السلام يقونه بوجوههم ونحورهم فحمل هانئ ابن ثويب الحضرمىّ على عبد الله بن علىّ فقتله ثم حمل على أخيه جعفر بن علىّ فقتله أيضا ورمى يزيد الاصبحى عثمان بن علىّ بسهـم فقتله ثم خرج اليه فاحتزّ رأسه فأتى به عمر بن سعد فقال له أثبنى فقال عمر عليك بأميرك يعنى عبيد الله بن زياد فسله أن يثيبك . وبقى العباس بن علىّ قائما أمام الحسين يقاتل دونه ويميـل معه حيث مال حتى قتـل رحمة الله عليه وبقى الحسين عليه السلام وحـده فحمل عليه مالك بن بشر الـكندىّ فضربه بالسيف على رأسه وعليه برنس خزّ فقطعه وأفضى السيف الى رأسـه فجرحه فألقى الحسين البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها ثم اعتمّ بعمامة وجلس فدعا بصبى له صغير فأجلسه فى حجره فرماه رجل من بنى أسـد وهو فى حجر الحسين بمشقص فقتله . وبقى الحسين عليه السـلام مليا جالسا ولو شاؤا أن يقتـلوه قتلوه غير أن كل قبيلة كانت تتكل على غيرها وتكره الاقدام على قتله وعطش الحسين فدعا بقدح من ماء فلما وضعه فى فيه رماه الحصين بن نمير بسهم فدخل فمه وحال بينـه وبين شرب الماء فوضع القـدح من يده . ولما رأى القوم قـد أحجموا عنه قام يتمشى على المسناة نحو الفرات فحالوا بينه وبين الماء فانصرف الى موضعه الذى كان فيه فانتزع له رجل من القوم بسهم فأثبته فى عاتقه فنزع عليه السلام السـهم وضربه زُرعة بن شَريك التميمى بالسيف واتقاه الحسين

يده فأسرع السيف في يده وحمل عليه سنان بن أوس النخعى فطعنه فسقط ونزل اليه خَوْلىُّ بن يزيد الأصبحىّ ليحز رأسه فأُرعدت يداه فنزل أخوه شِبْل بن يزيد فاحتز رأسه فدفعه الى أخيه خولىّ ثم مال الناس على ذلك الورس الذى كان أخذه من العير والى ما فى المضارب فانتهبوه ولم ينج من أصحاب الحسين عليه السلام وولده وولد أخيه الا ابناه علىّ الاصغرُ وقد كان راهق والاعمر وقد كان بلغ أربع سنين . ولم يسلم من أصحابه الا رجلان أحدهما المُرَقّع بن ثُمامة الاسدىّ بعث به عمر بن سعد الى ابن زياد فسيره الي الرَّبَذَة فلم يزل بها حتى هلك يزيد وهرب عبيد الله الى الشام فانصرف المرقع الي الكوفة والآخر مولى لرباب أمّ سكينة أخذوه بعد قتل الحسين فأرادوا ضرب عنقه فقال لهم انى عبد مملوك فخلوا سبيله . وبعث عمر بن سعد برأس الحسين من ساعته الى عبيد الله بن زياد مع خولىّ بن يزيد الأصبحى وأقام عمر بن سعد بكربلاء بعد مقتل الحسين يومين ثم اذن فى الناس بالرحيل وحملت الرؤوس على أطراف الرماح وكانت اثنين وسبعين رأسا جاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأسا وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا مع الحصين بن نمير وجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا مع قيس ابن الاشعث وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور وجاءت الازد بخمسة رؤوس مع عَيْهَمَة بن زهير وجاءت ثقيف باثنى عشر رأسا مع الوليد بن عمرو . وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين واخواته وبناته وجواريه وحشمه فى المحامل المستورة على الابل . وكانت بين وفاة رسول الله صلى

الله عليه وسلم و بين قتل الحسين خمسون عاما . قالوا ولما أُدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه جعل ابن زياد ينكت بالخيزرانة ثنايا الحسين وعنده زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مَهْ ارفع قضيبك عن هذه الثنايا فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمها ثم خنقته العبرة فبكى فقال له ابن زياد ممّ تبكى أبكى الله عينيك والله لولا أنك شيخ قد خرفتَ لضربتُ عنقك . قالوا وكانت الرؤوس قد تقدّم بها شمر بن ذي الجوشن امام عمر بن سعد قالوا واجتمع أهل الغاضرية فدفنوا أجساد القوم . ورُوى عن حميد بن مسلم قال كان عمر بن سعد لى صديقا فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين فسألته عن حاله فقال لا تسل عن حالى فانه ما رجع غائب الى منزله بشرّ مما رجعتُ به قطعتُ القرابة القريبة وارتكبت الأمر العظيم . قالوا ثم ان ابن زياد جهّز عليّ بن الحسين ومن كان معه من الحُرَم ووجّه بهم الى يزيد بن معاوية مع زَحر بن قيس ومحفّز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن فساروا حتى قدموا الشام ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق وأُدخل معهم رأس الحسين فرُمى بين يديه ثم تكلم شمر بن ذى الجوشن فقال يا أمير المؤمنين ورد علينا هذا فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال فغدونا عليهم عند شروق الشمس فأحطنا بهم من كل جانب فلما أخذت السيوف منهم مأخذها جعلوا يلوذون الى غير وَزَر لوذان الحمام من الصقور فما كان الا مقدار جَزْر جزور أو نوم

قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجرّدة وثيابهم مرمّلة وخدودهم معفّرة تسفى عليهم الرياح زُوّارهم العقبان ووفودهم الرّخم . فلما سمع ذلك يزيد دمعت عينه وقال ويحكم قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة أما والله لو كنتُ صاحبه لعفوت عنه رحم الله أبا عبدالله ثم تمثل

نُفَلِّقُ هاما من رجال أعزّة   علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

ثم أمر بالذرّية فأدخلوا دار نسائه . وكان يزيد اذا حضر غداؤه دعا علىّ بن الحسين وأخاه عمر فيأكلان معه فقال ذات يوم لعمر بن الحسين هل تصارع ابنى هذا يعنى خالدا وكان من أقرانه فقال عمر بل اعطنى سيفا واعطه سيفا حتى أقاتله فتنظر أينا أصبر فضمه يزيد اليه وقال (شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخْزَم) هل تلدُ الحيّة إلا حيّة . قال ثم أمر بتجهيزهم بأحسن جهاز وقال لعلىّ بن الحسين انطلقْ مع نسائك حتى تبلّغهن وطنهن ووجه معه رجلا فى ثلاثين فارسا يسير أمامهم وينزل حَجرَةً عنهم حتى انتهى بهم الى المدينة . قالوا وان عبيد الله بن الحر ندم على تركه اجابة الحسين حين دعاه بقصر بنى مقاتل الى نصرته وقال

فيا لكِ حسرةً ما دمتُ حيًّا   تردَّد بين حلقى والتراقى
حسينٌ حين يطلب بذل نصرى   على أهل العداوة والشقاق
فما أنسى غداة يقول حزنا   أتتركنى وتُزْمع لانطلاق
فلو فَلَقَ التلهّف قلب حيّ   لهمّ القلب منى بانفلاق

ثم مضى نحو أرض الجبل مغاضبا لابن زياد واتبعه أناس من صعاليك الكوفة

قالوا وان ابن الزبير لما سار الى مكة وخرج الحسين عنها سائرا الى الكوفة كان يقول انى فى الطاعة غير أنى لا أبايع أحدا وأنا مستجير بالبيت الحرام فبعث اليه يزيد بن معاوية رجلا فى عشرة نفر من جرسه وقال انطلق فانظر ما عنده فان كان فى الطاعة فخذه بالبيعة وان أبى فضع فى عنقه جامعة وائتنى به فلما قدم الحرسىّ عليه وأخبره بما أتاه فيه تمثل ابن الزبير

ما إن ألين لغير الحقّ أسأله   حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وقال للحرسىّ انصرف الى صاحبك فاعلمه انى لا أجيبه الى شىء مما يسألنى قال الحرسىّ ألستَ فى الطاعة قال بلى غير أنى لا أمكنك من نفسى ولا أكاد . فانصرف الحرسىّ الى يزيد فأخبره بذلك فوجّه يزيد بعشرة نفر من أشراف أهل الشام فيهم النعمان بن بشير وعبد الله بن عَضَاة الاشعرى وكان له صلاح ومسلم بن عقبة لعنه الله فقال لهم انطلقوا فادعوه الى الطاعة والجماعة واعلموه أن أحب الامور إلىّ ما فيه السلامة . فساروا حتى وافوا مكة ودخلوا على ابن الزبير فى المسجد فدعوه الى الطاعة وسألوه البيعة فقال ابن الزبير لابن عضاة أتستحل قتالى فى هذا الحرم قال نعم إن أنت لم تجب الى طاعة أمير المؤمنين قال ابن الزبير وتستحل قتل هذه الحمامة وأشار الى حمامة من حمام المسجد فأخذ بن عضاة قوسه وفوّق فيها سهما فبوّأه نحو الحمامة ثم قال ياحمامة أتعصين أمير المؤمنين والتفت الى ابن الزبير وقال أما أنها لو قالت نعم لقتلتها وان ابن الزبير خلا بالنعمان بن بشير فقال أنشدك الله أنا أفضل عندك أم يزيد

فقال بل أنت فقال فوالدى خيرٌ أم والده قال بل والدك قال فأمى خير أم أمه قال بل أمك قال فخالتى خير أم خالته قال بل خالتك قال فعمتي خير أم عمته قال بل عمتك أبوك الزبير وأمك أسماء ابنة أبى بكر وخالتك عائشة وعمتك خديجة بنت خوَيلد قال أفتشير علىَّ بمبايعة يزيد قال النعمان أما اذا استشرتنى فلا أرى لك ذلك ولست بعائد اليك بعد هذا أبدا . ثم ان القوم انصرفوا الى الشام فأعلموا يزيد أن ابن الزبير لم يُجب الى شيء وقال مسلم بن عقبة المرّى ليزيد يا أمير المؤمنين ان ابن الزبير خلا بالنعمان بن بشير فكلمه بشيء لم ندر ما هو وقد انصرف اليك بغير رأيه الذى خرج من عندك

(خلاف ابن الزبير)

ولما انصرف القوم من عند ابن الزبير جمع ابن الزبير اليه وجوه أهل تهامة والحجاز فدعاهم الى بيعته فبايعوه جميعا وامتنع عليه عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وان ابن الزبير أمر بطرد عمّال يزيد من مكة والمدينة وارتحل مروان من المدينة بولده وأهل بيته حتى لحق بالشام . ولما انتهى الى يزيد بن معاوية مبايعة أهل تهامة والحجاز لعبدالله ابن الزبير ندب له الحصين بن نمير السّكونى وحُبيش بن دُلجة القينىّ ورَوْح بن زِنباع الجذامي وضم الى كل واحد منهم جيشا واستعمل عليهم جميعا مسلم بن عقبة المرّى وجعله أمير الأمراء وشيّعهم حتي بلغ ماء يقال له وَبْرة وهى أقرب مياه الشام الى الحجاز فلما ودّعهم قال يا مسلم لا تردّن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوّهم واجعل طريقك على المدينة فان حاربوك فحاربهم فان ظفرتَ بهم فأنهبها ثلاثة أيام ثم

أنشأ يقول

أبلغ أبا بكر اذا الخيل انبرى　　　وسارت الخيل الى وادى القرى

اجمع سكران من الخمر ترى

وذلك ان ابن الزبير كان يسمى يزيد السكران ولما بلغ أهل المدينة فصول الجيش تأهّبوا للحرب فولّت قريشٌ عليها عبد الله ابن مُطيع العدَوىّ وولّت الانصار عليها عبد الله بن حَنظلة الراهب وهو غَسيل الملائكة ثم خرجوا الى الحرّة فعسكروا بها ففى ذلك يقول شاعرهم

ان فى الخندق المكلل بالمجـد لضربا يفور بالسنواتِ

لست منا وليس خالك منا　　　يامضيع الصلاة للشهواتِ

و وافاهم الجيش فقاتلوهم حتى كثرت القتلى وأقبلت طائفة من أهل الشام فدخلوا المدينة من قبل بنى حارثة وهم الذين قالوا ان بيوتنا عورة فلم يشعر القوم وهم يقاتلون من يليهم الا وأهل الشام يضربونهم من أدبارهم فقتل عبد الله بن حنظلة أمير الانصار وقتل عمرو بن حزم الانصارىّ قاضى المدينة واستباح أهل الشام المدينة ثلاثة أيام بلياليها فلما كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة فدعاهم الى البيعة فكان أوّل من أتاه يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مسلم بايعنى قال أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال مسلم بل بايع على انكم فئ لامير المؤمنين يفعل فى أموالكم وذراريكم مايشاء فأبى أن يبايع على ذلك فأمر به فضربت عنقه . ثم تقدم محمد بن أبى

الجهم بن حذيفة العدوىّ فقال له مسلم أنت الذى وفدتَ على أمير المؤمنين يزيد فأكرمك وحباك فرجعت الى المدينة تشهد عليه بشرب الخمر والله لا لاتشهد بشهادة زور أبدا اضربوا عنقه فضربت عنقه . ثم تقدم مَعْقِل بن سنان الأشجعىّ وكان حليفا لبنى هاشم فقال له مسلم أتذكر يوما مررت بى بطبرية فقلتُ لك من أين أقبلتَ فقلتَ سرنا شهرا وانضينا ظهرا ورجعنا صفرا وسنأتى المدينة فنخلع الفاسق يزيد بن معاوية ونبايع رجلا من أولاد المهاجرين فاعلم انى كنتُ آليتُ ذلك اليوم ألا أقدر عليك فى موطن يمكننى فيه قتلك الاّ قتلتك وقد أمكننى الله منك ياأحمق ماأشجعُ والخلافة فتَعْزِل وتولى اضربوا عنقه فضربت عنقه . ثم تقدم عمرو بن عثمان فقال له أنت الخبيث بن الطيب الذى اذا ظهر أهل الشام قلتَ أنا ابن عثمان بن عفان واذا ظهر أهل الحجاز قلتَ أنا واحد منكم وأنت فى ذلك تبغى أمير المؤمنين الغوائل انتفوه فنتفت لحيته حتى ماتركت فيها شعرة فقام اليه عبد الملك بن مروان فاستوهبه فوهبه له . ثم أتاه علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب فأجلسه معه على ثيابه وفرشه وقال ان أمير المؤمنين قد وصانى بك فقال علىّ انى كنتُ لما فعل أهل المدينة كارها قال أجل ثم حمله على بغلة وصرفه الى منزله . وبعث الى علىّ بن عبد الله بن عباس ليؤتى به للبيعة فأُخرج من منزله فاقبلوا به فلقيه الحصين بن نمير فانتزعه من يد الجلاوزة وكان الحصين من اخوان علىّ بن عبد الله فقال مسلم انى انما بعثت اليه للبيعة فأتنى به فأرسل اليه الحصين فجاء حتى بايع . وأرسلت بنت الأشعث بن قيس وكانت امرأة

الحسين بن عليّ الى مسلم بن عقبة تعلمه أن منزلها انُهب فأمر برد جميع ماأُخذ لها . ثم شخص بالجيش الى مكة وكتب الى يزيد بما صنع بالمدينة فتمثل يزيد

ليت أشياخي ببدر شَهِدُوا جزَعَ الخزرج من وقع الأسل
حين حكّت بقباء بركها وَاستحرَّ القتلُ فى عبدِ الأشل

فلما بلغ ابن عقبة هرشا اعتلّ واشتدت علّته ونزل به الموت فقال أسندونى فأُسند وقال ان أمير المؤمنين أمرنى إن حدث بى فى وجهى هذا حدثٌ أن أستخلف الحصين بن نمير على الجيش ولو كان الأمر الىّ ماستخلفتهُ لان من شان اليمانية الرقة غير انى لاأعصى أمير المؤمنين . ثم قال ياحصين اذا وافيتَ مكة فناجز ابن الزبير الحرب من يومك ولا تردَّ أهل الشام عن شئٍ يريدونه بعدوّهم ولا تجعل أُذنك وعاء لقريش فيخدعوك ثم مات وكانت به الذُّبَحَة فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير فسار حتى وافى مكة وتحصن منه ابن الزبير فى المسجد الحرام فى جميع من كان معه ونصب الحصين المجانيق على جبل أبى قبيس وكانوا يرمون أهل المسجد فبيناهم كذلك اذ ورد على الحصين بن نمير موت يزيد بن معاوية فأرسل الى عبد الله بن الزبير ان الذى وجهنا لمحاربتك قد هلك فهل لك فى الموادعة وتفتح لنا الأبواب فنطوف بالبيت ويختلط الناس بعضهم ببعض فقبل ذلك ابن الزبير وأمر بأبواب المسجد ففتحت فجعل الحصين وأصحابه يطوفون بالبيت فبينا الحصين يطوف بعد العشاء اذ استقبله ابن الزبير فأخذ الحصين

بيده فقال له سرا هل لك فى الخروج معى الى الشام فأدعو الناس الى بيعتك فان أمرهم قد مرج ولا أرى أحدا أحق بها اليوم منك ولست أعصى هناك فاجتذب عبد الله بن الزبير يده من يده وقال وهو يجهر بقوله دون أن أقتل بكل رجل من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام فقال الحصين لقد كذب من زعم انك من دهاة العرب أكلمك سرا وتكلمنى علانية وأدعوك الى الخلافة وتدعونى الى الحرب ثم انصرف فى أصحابه الى الشام ومرّ بالمدينة فبلغه انهم على محاربته ثانيا فجمع اليه أهلها وقال ماهذا الذى بلغنى عنكم فاعتذروا اليه وقالوا ما هممنا بذلك . وذكر أبو هارون العبدىّ قال رأيتُ أبا سعيد الخدرىّ بالمدينة ولحيته بيضاء وقد خف جانباها و بقي وسطها فقلت ياأبا سعيد ماحال لحيتك فقال هذا فعل ظلمة أهل الشام يوم الحرّة دخلوا علىّ بيتى فانتهبوا مافيه حتى أخذوا قدحى الذى كنت أشرب فيه الماء ثم خرجوا ودخل علىّ بعدهم عشرة نفر وأنا قائم أصلى فطلبوا البيت فلم يجدوا فيه شيئاً فأسفوا لذلك فاحتملونى من مصلاّى وضربوا بى الأرض وأقبل كلّ رجل منهم على ماليليه من لحيتى فنتفه فما ترى منها خفيفا فهو موضع النتف وما تراه عافيا فهو ماوقع فى التراب فلم يصلوا اليها وسأدعها كما ترى حتى أُوافى بها ربى .

(أمر الخوارج)

قالوا وفى سنة ثمانين تفاقم أمر الازارقة الخوارج وانما سموا أزارقة برئيسهم نافع بن الازرق وكان أول خروجهم فى أربعين رجلا وفيهم من عظمائهم

نافع بن الازرق وعطية بن الأسود وعبد الله بن صبار وعبد الله بن أباض وحنظلة بن بيهس وعبيد الله بن ماحوز وذلك فى سلطان يزيد وعلى البصرة يومئذ عبيد الله بن زياد فوجه اليهم عبيد الله أسلم بن ربيعة فى ألفى فارس فلحقهم بقرية من الاهواز تدعى آسك مما يلى فارس فواقعهم فقتلت الخوارج من أصحاب ابن ربيعة خمسين رجلا فانهزم أسلم فأنشأ رجل من الخوارج يقول

أألفَا مؤمنٍ منكم زعمتم ويهزمُكم بآسكَ أربعونا
كذَبتم ليسَ ذاكَ كما زعمتم ولكنَّ الخوارجَ مؤمنونا
همُ الفئةُ القليلةُ قد علمتم على الفئةِ الكثيرة يُنصرونا
أطعتم أمر جبَّارٍ عنيدٍ وما من طاعة للظالمينا

فاغتاظ ابن زياد من ذلك فكان لا يدع بالبصرة أحدا ممن يتّهم برأى الخوارج الا قتله حتى قتل بالتهمة والظنّة تسعمائة رجل . ولم يزل يتفاقم أمر الخوارج ويتحلّب اليهم من كان على رأيهم وهوَاهم من أهل البصرة حتى كثروا بعد موت يزيد وهرب عبيد الله بن زياد عن العراق وخاف أهل البصرة الخوارج على أنفسهم ولم يكن يومئذ عليهم سلطان فاجتمعوا على مُسلم بن عُبيس القرَشى ووجهوا معه خمسة آلاف فارس من أبطال البصرة فسار اليهم فلحقهم بمكان يسمى الدُّولاب فالتقوا واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وصاروا الى المكادمة فقتل مسلم ابن عبيس وانهزم أصحابه فقال رجل من الازد

قد رَمَينا العدُوّ اذ عظم الخَطْبُ بذى الجودِ مُسلم بن عبيسٍ

فانظُروا غـيرَ مسلمِ بن عبيْس　　فاطلبُوه من حيثُ أين وليْس

لو رُموا بالمهلّب بن أبي صُفـــرَةَ كانوا له كأكلَةِ حَيْس

وكان المهلّب يومئذ بخراسان على ولايتها فخاف أهل البصرة حين قتل مسلم ابن عبيس خوفا شديدا من الخوارج فاختاروا عثمان ابن مَعمَر القرشيّ وانتدب معه زهاء عشرة آلاف رجل من أبطالهم فسار بهم عثمان فى طلب الخوارج فلحقهم بفارس فاقتتلوا فقتلَ عثمان وانهزم أصحابه فكتب أهل البصرة الى عبد الله بن الزبير يعلمونه أن لا امام لهم و يسألونه أن يوجّه اليهم رجلا من قِبله يتولى الأمر فوجّه اليهم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزوميّ فقدم البصرة وتولى الامر بها فدعا وجوه أهل البصرة فاستشارهم فى رجل يولّيه حرب الخوارج فكلّهم قالوا عليك بالمهلّب بن أبى صُفرة وقام اليه رجل من أهل البصرة يعرف بابن عَرّادة فأنشده

مضَى ابنُ عبَيْسٍ مسلمٌ لسبيله　　فقامَ لها الشيخُ الحِجازيُّ عثمان

فأرعدَ من قَبلِ اللقاء ابنُ مَعمرٍ　　وأبرَقَ والبرْقُ الحجازيُّ خوّان

ولم يُنكِ عثمان جناحَ بعوضَةٍ　　وأضحى عدوُّ الدين مثل الذى كانوا

وليسَ لهـا الاّ المهلّب انّه　　مَليٌّ بأمر الحرب شيخٌ له شان

اذا قيل من يحمى العراقين أومأت　　اليه معدٌّ بالأكفّ وقَحطان

فذاك امرؤ أن يَلقَهم يُطفِ نارَهم　　وليس لهـا الاّ المهلّبَ انسان

(حرب المهلب مع الخوارج)

فقال الأحنَف بن قيس للحارث بن عبد الله أيها الامير اكتب الى

أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وسله أن يكتب الي المهلّب بأن يخلّف على
خراسان رجلا و يسير الى الخوارج فيتولّى محاربتهم فكتب فلما انتهي كتابه
الى عبد الله بن الزبير كتب الى المهلّب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
عبد الله أمير المؤمنين الى المهلّب بن أبي صفرة أما بعد فان الحارث بن عبد
الله كتب الىّ يخبرنى أن الازارقة المارقة قد سُعّرتْ نارها وتفاقم أمرها
فرأيت ان أوليك قتالهم لما رجوت من قيامك فتكفى أهل مصرك شرهم
وتؤمن روعتهم فخلّفْ بخراسان من يقوم مقامك من أهل بيتك وسر حتى
توافى البصرة فتستعدّ منها بأفضل عدتك وتخرج اليهم فانى أرجو أن ينصرك
الله عليهم والسلام . فلما وصل كتابه الى المهلّب خلّف على خراسان وأقبل
حتى وافى البصرة فصعد المنبر وكان نزْر الكلام وجيزَه فقال أيها الناس انه
قد غشيكم عدوّ جاهد يسفك دماءكم وينتهب أموالكم فان أعطيتمونى خصالا
اسألكموها قمت لكم بحربهم واستعنت بالله عليهم والا كنت كواحد منكم
لمن تجتمعون عليه فى أمركم قالوا وما الذى تريد قال انتخب منكم أوساطكم
لا الغنىّ المثقَل ولا السبروت المخفّ وعلىّ أن لى ما غلبت عليه من الارض
والاّ أُخالَف فيما أدبّر من رأيى فى حربهم واتركَ ورأيى الذى أراه وتدبيرى
الذى أُدبّره فناداه الناس لك ذلك وقد رضينا به فنزل من المنبر وأتى منزله
وأمر بديوان الجند فأُحضر فانتخب من أبطال أهل البصرة عشرين ألف
رجل فيهم من الازد ثمانية آلاف رجل و بقيّتهم من سائر العرب و ولى ابنه
المغيرة مقدّمته فى ثلاثة آلاف رجل وسار حتى أتى الخوارج وهم بنهر تُستر

فواقعهم فهزمهم حتى بلغوا الاهواز فقال زياد الاعجم فى ذلك

جزى الله خيرًا والجزاء بكفه أخا الأزدِ عنّا ما أذبَّ وأحربا
ولمّا رأينا الأمر قد جدَّ جدُّه وألاّ توارِى دُونناالشمسُ كوكبا
دعونا أبا غسّان فاستكَّ سمعُه وأحنفَ طاطَا رأسه وتهيَّبا
وكانَ ابن منْجوف لكلّ عظيمةٍ فقصَّر عنها حَبلهُ وتذبْذَبا
فلما رأينا القومَ قد كلَّ حدُّهم لدَى حربِهم فيها دَعَوْنا المهلّبا

وأقام المهلّب بالجسر بعد أن هزم الخوارج أربعين يوما ثم ارتحل سائرا فى آثارهم فبلغ ذلك نافع بن الازرق فأقام بالاهواز حتى وافاه المهلّب فواقعهم بمكان يسمىّ بسلى فقاتلهم يوما الى الليل واصابته ضربة فى وجهه أغمى عليه منها فقال الناس قتل الأمير فازدادوا لذلك حنقا وجِدّا وقتلوا من الخوارج بشرا كثيرا وقتل رئيسهم نافع بن الازرق وانهزمت الخوارج نحو فارس و بلغ أهل البصرة ان المهلّب قتل فرجَّ المصر بأهله وهمّ أميرهم الحارث بن أبى ربيعة أن يهرب فكتب اليه رجل من بنى يشكُر

أيا حارِ يابن السادة الصيد هَبْ لنا مقامَك لاترحلْ ولم يأتك الخبرْ
فان كان أوْدى بالمهلّب يومُه فقد كَسفَتْ فى أرضنا الشمس والقمر
وما لك من بعد المهلّب عرْجةٌ وما لك بالمِصرَينِ سمعٌ ولا بصَر
فدُونك فالحقْ بالحجاز ولا تُقم ببلدتنا انّ المُقامَ بها خَطر
وان كان حيًّا كنتَ بالمِصرِ آمنًا وكانَ بقاء المرءِ فينا هو الظفَر

وقال رجل من بنى سعد

الا كلُّ ماياًتى من الأمرِ هَيِّنٌ عليناً يسيرٌ عند فقدِ المهلّب
فان يَكُ قد أوْدَى فما نحنُ بعدَه بأمنعَ مِن شاء عجافٍ لأذْؤُب
نعوذ بمن أرسَى ثبيرًا مكانَه ومرسى حِراء وَالقدَيْد وكبكبِ
من الخبرِ الملقى عن الحورِ خِدرَها ويَشجى بهمابينَ بُصرَى ويثرب

فأقبل البشير الى أهل البصرة بسلامة المهلّب فاستبشروا بذلك واطمأنّوا اليه وأقام أميرها بعد ان همّ بالهرب فقال رجل من بنى ضبّة

انّ رَبًّا أنجى المهلّبَ ذا الطَوْ ل لأهلٌ أن تحمَدُوه كثيرًا
لا يزالُ المهلّب بن أبى صُفْــرَةَ ما عاش بالعراق أميرا
فاذا ماتَ فالرجالُ نِساءٌ ما يساوِى من بعده قِطميرا
قد آمنّا بكَ العدُوَّ على المِصــر ووقَّرْتَ منبرًا وسريرا

وقال رجل من الخوارج فى قتل نافع بن الازرق

شَمتَ المهلّب والحوادث جمّةٌ والشامتون بنافع بن الازرَق
ان مات غير مداهنٍ فى دينه ومتى يمُرّ بذكر نارٍ يصعقِ
والموت أمرٌ لا محالة واقعٌ من لا يصبّحه نهارًا يُطرق
فلئن منينــا بالمهلب انّه لاخوالحروب وليثُ أهل المشرِق
ولعلّه يشجى بنــا ولعلّنــا نَشجى به فى كل ما قد نلتقى
بالسُمر تختطف النفوسَ ذوابلاً وبكل أبيض صارمٍ ذى رونَق
فيذيقنا فى حربنــا ونذيقُه كلٌّ مقالتُــه لصاحبِه ذُقِ

وبلغ عبد الله بن الزبير ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب فعزله

وولى أخاه مصعبا فسار مصعب حتى قدمها وتولى أمر جميع العراقين وفارس والأهواز . ولما قتل نافع بن الأزرق اجتمعت الخوارج فولوا على أنفسهم عبد الله بن ماحوز وكان من نساكهم وبلغ ذلك المهلب فسار من الاهواز فى طلبهم حتى وافاهم بمدينة سابور من أرض فارس فالتقوا فاقتتلوا وانهزمت الخوارج فى آخر النهار حتى انتهوا الى مكان يدعى كَرْكان واتبعهم المهلب فوافهم فالتقوا به فى يوم شديد المطر فقاتلهم فهزمهم فأخذوا نحو كرمان فلم يزل المهلب يسير فى طلبهم من بلد الى بلد ويواقعهم وقعةً بعد وقعة طول ما ملك عبد الله بن الزبير الى مقتله وخلوص الأمر لعبد الملك بن مروان فلما استدف الأمر لعبد الملك وولى الحجاج العراقين استبطأ المهلب فى استئصال الخوارج وظن انه يهوى مطاولتهم فبعث اليه عبد الأعلى ابن عبد الله العامرىّ وعبد الرحمن بن سبرة وقال لهما احملاه على مناجزة القوم وترك مطاولتهم فقدما عليه فأخبراه بما بعثا له فقال لهما أقيما حتى تعاينا ما نحن فيه فان الحجاج أتاه السماع فقبله وأتاه العيان فردّه وقد حملنى على خلاف الرأى وزعم انه الشاهد وأنا الغائب . ثم سار نحو الخوارج فلحقهم بأدانى أرض كرمان فواقعهم وأمامه ابنه المفضل فقتل رئيس الخوارج عبد الله بن ماحوز وانهزموا حتى توسطوا أرض كرمان وولوا على أنفسهم رجلا من نساكهم يسمى قطرِىّ بن الفجاءة . ثم ان المهلب انصرف الى بلد سابور فوافاهم يوم النحر فخرج بالناس الى المصلى فبينا هو يخطب الناس على المنبر وقد صلى بهم اذ أقبلت الخوارج فقال سبحان الله أفى مثل هذا

اليوم يأتوننا ماأبغض الىّ المحاربة فيه ولـكن الله تعالى يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتـدوا عليه) ثم نزل عن المنـبر ونادى فى أصحابه فركبوا واستلئموا واسـتقبلوا الخوارج فحملت عليهـم الخوارج وامامهم عظيم منهم يسمى عمر والقنا وكان من فرسانهـم وهو يرتجز .

نحن صبحنا كم غـداةَ النحر   بالخيل أمثال الوشيج تسرى
يقدمها عمر و القنا فى الفـجر   الى أناس لهجوا بالـكفر
اليوم أقضى فى العدو نذرى

ثم اقتتلوا وصبر بعضهم لبعض وكثرت بينهم القتلى فلم يزل فريق منهما على مكانه حتى حال بينهم الليل وانحازت الخوارج الى كازرُون وسار اليهم المهلّب فواقعهم بكازرون فأسرع المهلب فى الخوارج فرقوا فى تلك الوقعة وصاروا سـيارة وخرجوا الى تخوم اصطخر واتبعهم المهلب فتواقف الفريقان وحمـل بعضهم الى بعض وأمام الخوارج رجل يرتجز

حتى متى يتبعنا المهلّب   ليس لنافى الارض منه مهرب
ولا السماء أين أين المذهب

فلما سمع قطرىّ ذلك بكى ووطن نفسـه على الموت وباشر الحرب بنفسه وهو يرتجز

حتى متى تخطئنى الشهادَه   والموت فى أعناقنا قلاده
ليس الفرار فى الوغى بعاده   يارب زدنى فى التقى عباده

وفى الحياة بعدها زهاده

فاقتتلوا يومهم حتى حال بينهم الليل ومضى قطرىّ فى أصحابه نحو جيرَفت وهم بالهرب الى كرمان فقال رجل من أصحابه

أيا قطرىّ الخير ان كنت هاربا ستلبسنا عارا وأنت مهاجرُ
اذا قيل قد جاء المهلب أسلمت له شفتاكَ الفمَّ والقلبُ طائرُ
فحتى متى هـذا الفرار مخافةً وأنت وَلِىٌّ والمهلبُ كافِرُ

ولما رأت الخوارج نكول قطرىّ عن الحرب وما هم به من الفرار خلعوه عنهم وولوا عبد ربه وكان من نساكهم فسار بهم الى قومس فأقام بها. وان الحجاج كتب الى المهلب . أما بعد فقد طاولتَ القوم وطاولوك حتى ضَرُوا بك ومَرَنوا على حربك ولعمرى لو لم تطاولهم لانحسم الداء وانفصم القَرن وما أنت والقوم سواء ان خلفك رجالا وأموالا والقوم لا رجال لهم ولا أموال ولن يدرَك الوجيف بالدبيب ولا الجد بالتعذير وقد بعثت اليك عبيد ابن موهب ليأخذك بمناجزة القوم وترك مطاولتهم والسلام . فلما قدم عبيد ابن موهب على المهلب بكتاب الحجاج كتب اليه فى جوابه. أما بعد فانه أتانى من قبلك رجلان لم أعطهما على الصدق ثمنا ولم أحتج مع العيان الى التعذير ولم يكذبا فيما أنبآك به من أمرى وأمر عدوى والحرب لا يدركها الا المكيث ولا بد لها من فرجة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب فاما ان أنساهم وينسونى فهيهات من ذلك والقوم سُداً فان طمعوا أقاموا وان يئسوا هربوا فعلىَّ فى مقامهم القتال والحرب وفى هربهم الجد والطلب وأنا اذا طاولتهم

شركتهم فى رأيهم واذا عاجلتهم شركونى فى رأيي فان خليتنى ورأيي فذاك داء محسوم وقرن مفصوم وان عجّلتنى لم أُطعك ولم أعصك وكان وجهى اليك باذن منك وانا أعوذ بالله من سخط الامراء ومقت الائمة والسلام . فلما قرأ الحجاج كتابه كتب الى المهلب انى قد رددت الرأى اليك فدبّر ماترى واعمل بما تريد . فلما أتاه كتاب الحجاج بذلك نشط لطلب الخوارج وسار فى طلبهم الى أرض قومس فهربوا منه فأتوا جيرُفت وتحصنوا فى مدينة هناك فخرج خلفهم وحاصرهم فى تلك المدينة حتى أكلوا خيلهم وأمر المهلب ابنه يزيد أن يقيم عليهم أياما ثم يخلّى لهم عن الباب فاذا خرجوا وأصحروا اتبعهم وتنحى المهلب فعسكر على خمسة فراسخ وأقام عليهم يزيد أياما ثم خلى لهم عن الباب فخرجوا واتبعهم المهلب فسار فى طلبهم يومين حتى لحقهم فوقفوا له فاقتتلوا يوما كله ثم غدوا فى اليوم الثانى على الحرب فناداهم عبد ربّه يا معشر المهاجرين رَوّحوا بنا الى الجنة فان القوم رائحون الى النار فاطعنوا بالرّماح حتى تكسرت واضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ثم صاروا الى المعانقة فترجّل المهلب فى حماته وحمل عليهم وهو يتلوا قول الله عزّ وجلّ (وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكون الدّين لله) فلم يزالوا يقتتلون حتى حال بينهم الليل ثمّ غدوا على الحرب وقد كسّرت الخوارج جفون سيوفهم وحلقوا رؤوسهم فاقتتلوا فقتل عبد ربّه وجميع أبطاله ولم يبق الا ضعفاؤهم فدخلوا فى عسكر المهلب وانضمّ كل رجل الى عشيرته من أصحاب المهلب فنزل المهلب عن فرسه وقال الحمد لله الذى ردنا الى الامن وكفانا مؤونة الحرب وكفى أمر هذا

العدوّ ووجه بشر بن مالك الحرسىّ الى الحجاج يبشره بالفتح وكتب معه كتاب الظفر فلما وصل الكتاب الى الحجاج وجه به الى عبد الملك وقام بشر بن مالك فأنشأ يقول

قد حسمنا داء الازارقة الدّهـ ـرَ فاضحَوْا طُرًّا كآل ثمودِ
بطعان الكماة فى ثُغر القو م وضربٍ يُشيب رأس الوليد
كلّما شئتُ راعنى قَطرِىٌّ فوق عبلِ الشَّوَى أقبَّ عتودِ
مُعْلِما يَضرِب الكتيبة بالسيـ ـف وعمروٌ كالنار ذات الوقود

(قدوم المهلب على الحجاج)

وكتب الحجاج الى المهلب يأمره بالقدوم عليه فسار حتى قدم على الحجاج فاستقبله الحجاج وأظهر برّه واكرامه وأمر له بالجوائز والصلات وأمر لولده وكانوا سبعة المغيرة وحبيب ويزيد والمفضل ومدرك ومحمد وعبد الملك وعبد الله وأكرم أصحاب المهلب

(مطاردة قطرى وقتله)

ولحق قطرىّ بالرىّ فوجه الحجاج سفيان بن الأبرد حتى أتى الرىّ وعليها اسحاق بن محمد بن الأشعث فركب معه فى مائة فارس من جنده وسارا حتى لحقاه وهو فى مائة فارس بتخوم طبرستان فنزل عن دابته ونام متوسدا يده ثم استيقظ وقال لعلج من أهلها ائتنى بشربة من ماء فأتاه بالماء ولحقه القوم فقتلوه قبل أن يشرب ذلك الماء واحتزّ رأسه وأخذه سفيان بن الابرد وانصرف الى الحجاج فرمى بالرأس بين يديه فوجه الحجاج بالرأس

الى عبد الملك .

(ولاية المهلب خراسان ثم ابنه يزيد)

وأقام المهلب بعد انصرافه بالبصرة فى منزله حتى وافاه عهده من عند عبد الملك على خراسان فسار اليها فمكث عليها خمس سنين ثم مات فجعل عبد الملك أمر خراسان الى الحجاج فأقرّ الحجاج عليها يزيد بن المهلب وكان يزيد أجمل ولد المهلب جمالا وأكملهم عقلا وأفضلهم رأيا وأذربهم لسانا وكان المهلب استخلفه عليها عند وفاته فمكث عليها أعواما

(ولاية قتيبة بن مسلم خراسان)

ثم عزله الحجاج واستعمل عليها قتيبة بن مسلم فافتتح قتيبة كل ما وراء النهر ولم يزل هنالك الى ان هاج به أصحابه فقتلوه وأفضى الملك بعد ذلك الى الوليد بن عبد الملك ثم الى سليمان بن عبد الملك

(ولاية خالد القسرى العراق)

فولى سليمان على العراق خالد بن عبد الله القسرىّ فولى خالد أخاه أسد ابن عبد الله خراسان فلم يزل بها حتى ظهر فيها دعاة الامام محمد بن على بن عبد الله بن عباس

(الاضطراب في العراق بموت يزيد بن معاوية)

قالوا ومات يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد بالبصرة فكتب اليه الحارث ابن عباد بن زياد بهذه الابيات

ألا يا عُبيدَ الله قدمات من به ملكت رقاب العالمينَ يزيد

أتثبتُ للقومِ الذين وترتهم   وذاك من الرأى الزنيقِ بعيدُ
ومالك غيرُ الأزدجارُ فانهم   أجاروا أباك والبلاد تميد

فتعجب عبيد الله من رأى ابن أخيه وكان ذا رأى ثم ان عبيدالله دعا بمولى له يسمى مهران وكان يُعدَل فى الدهاء والادب والعقل بوَرْدان غلام عمرو ابن العاص وهو الذى يُنسب اليه البراذين المهرانية فقال يا مهران ان أمير المؤمنين يزيد قد هلك فما الرأى عندك فقال مهران أيها الأمير ان الناس ان ملكوا أنفسهم لم يولوا عليهم أحدا من ولد زياد وانما ملكتم الناس بمعاوية ثم بيزيد وقد هلكا وانك قد وترتَ الناس ولستُ آمن ان يثبوا بك والرأى لك أن تستجير هذا الحىّ من الأزد فانهم ان أجاروك منعوك حتى يبلغوا بك مأمنك والرأى أن تبعث الى الحرث بن قيس فانه سيد القوم وهو لك محب ولك عنده يد فتخبره بموت يزيد وتسأله أن يجيرك فقال عبيد الله أصبت الرأى يا مهران . ثم بعث من ساعته الى الحرث بن قيس فأتاه فأخبره بموت يزيد واستشاره فقال المستشار مؤتمن فان أردت المقام منعناك معاشر الازد وان أردت الاستخفاء اشتملنا عليك حتى يسكن عنك الطلب . ويخفى على الناس موضعك ثم نوجّه معك من يبلّغك مأمنك فقال عبيد الله هذا أريد فقال له الحرث فأنا أقيم عندك الى أن تمسى ويختلط الظلام ثم أنطلق بك الى الحىّ فأقام الحرث عند عبيد الله فلما أمسى واختلط الظلام أمر عبيدالله أن توقد السُّرُج فى منزله ليلته كلها ليظن من يطلبه أنه فى منزله . ثم قام فلبس ثيابه واعتمّ بعمامته وتلثّم فقال له الحرث التلثم بالنهار ذل وبالليل ريبة فاحسر

عن وجهك وسر خلفي فان المقدّم وقاية المؤخر فسار فقال للحرث تخلّل بنا فداك أبي وأمي الطرق ولا تأخذ بنا طريقا واحدا فاني لا آمن أن يُطلب أثري فقال لحرث لا بأس عليك ان شاء الله فاطمئن ثم سار هويّا فقال للحرث أين نحن قال في بني سَليم قال سلمنا ان شاء الله ثم سارا جميعا ساعةً فقال أين نحن قال الحرث في بني ناجية قال نجونا ان شاء الله ثم سارا حتى انتهيا الى الأزد واقحم الحارث بعبيد الله دار مسعود بن عمرو وكان رئيس الازد كلها بعد المهلب بن أبي صفرة وكان المهلب في هذا الوقت بخراسان بعدُ فقال الحرث لمسعود يا ابن عم هذا عبيد الله بن زياد قد آجرتُه عليك وعلى قومك قال مسعود أما كنت تدعك يا ابن قيس وعرضتنا لحرب جميع أهل البصرة وقد كنا آجرنا أباه من قبله فما كانت عنده مكافأة وكان سبب اجارتهم زيادا أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته ولى زيادا البصرة عند خروجه الى صفين وانما كان يعرف بزياد بن عبيد فوجه معاوية الى البصرة عامر بن الحضرمي في جمع فغلب على البصرة وهرب منه زياد فلجأ الى الازد فأجاروه ومنعوه حتى ثاب الناس الى زياد واجتمعوا فطرد عامر بن الحضرمي عن البصرة وأقام على عمله فيها . ثم ان مسعود بن عمرو أدخل عبيد الله دار نسائه وأفرده في بيت من بيوته ووكل به امرأتين من خدمه وجمع اليه قومه فأعلمهم ذلك . ولما أصبح الناس واستحق عندهم الخبر أتوا داره فاقتحموها ليقتلوه فلم يصادفوا فيها أحدا فانطلقوا الى الحبس فكسروه وأخرجوا من كان فيه وبقي أهل البصرة تسعة أيام بغير وال فاتفقوا على

عبـد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبـد المطلب بن هاشم فولوه أمرهم لصلاحه وقرابته من رسول الله صلى الله عليـه وسلم فتولى الامر وقام بالتدبير . ولما أتى على عبيد الله أيام وأمن الطلب قال لمسعود بن عمرو والحرث ابن قيس ان الناس قد سكنوا ويئسوا منى فاعمـلا فى اخراجى من البصرة لألحق الشام فاكتريا له رجلا منْ بنى يَشكر أمينا هاديا بالطريق وحمـلاه على ناقة مهرية وقالا لليشكرى عليك به لا تفارقه حتى توصله الى مأمنه بالشام فخرج وخرجا معه مشيعين له فى نفر من قومهما ثلاثة أيام ثم ودّعاه وانصرفا قال اليشكرى فبينا نحن نسير ذات ليلة اذ استقبلنا عير وحاد يحدو فيها ويقول

يارَبِّ ربَّ الارضِ والعباد العَنْ زيادا وبنى زيادِ
كم قتلوا من مسلم عَبّـادِ جَمِّ الصلاة خاشعِ الفؤاد
يكابد الليلَ من السُّهادِ

فلما سمع عبيد الله ذلك فزع وقال عُرِف مكانى فقلت لا تخف فليس كل من ذكرك يعلم موضعك ثم سرنا فأطرق طويلا وهو على ناقته فظننت أنه نائم فناديته يا نوْمان فقال ما أنا بنائم ولـكنى مفكّر فى أمر قلت انى لأعلم الذى كنتَ مفكّرا فيه فقال هاته إذن قلت ندمتَ على قتلك الحسين بن علىّ وفكّرت فى بنائك القصر الأبيض بالبصرة وما أنفقتَ عليه من الاموال ثم لم يُقضَ لك التمتع به وندمت على ما كان من قتلك الخوارج من أهـل البصرة بالظنة والتوهم قال عبيد الله ما أصبتَ يا أخا بنى يشكر شيئا مما كنت مفكرا فيه أما قتلى الحسين فانه خرج على امام وأمة مجتمعة وكتب إليّ الامام

يأمرنى بقتله فان كان ذلك خطأ كان لازما ليزيد وأما بنائى القصر الابيض فما فكرتى فى قصر بنيته للامام بأمره وماله وأما قتلى مَن قتلت من الخوارج فقد قتلهم قبلى من هو خير منى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه غير أنى فكرت فى بنى أبى وأولادهم فندمت على تركى اخراجهم من البصرة قبل وقوع ما وقع وفكرت فى بيوت الاموال بالكوفة والبصرة ألاأكون فرّقتها وبددتها فى الناس عند ما ورد علىّ من وفاة الخليفة فكنت أكتسب بذلك حمدا فى الناس وذكرا قلت فما تريد أن تصنع الآن قال ان وافيت دمشق وقد اجتمع الناس على امام دخلت فيما دخلوا فيه وان لم يكونوا اجتمعوا على أحد كانوا غنما قلبتها كيف شئت

(خلافة مروان)

قال فسرنا حتى دخلنا دمشق والناس مختلفون لم يملّكوا عليهم أحدا وقد كان مروان بن الحكم همّ باللحاق بعبد الله بن الزبير ليبايعه ويكون معه فدخل عبيد الله وعنّفه فى ذلك وقال أنت سيد قومك وأحقّ الناس بهذا الأمر فمدّ يدك أبايعك فقال له مروان وما تبلغ بيعتك وحدك أخرج الى الناس وناظرهم فى ذلك فخرج من عنده ولقى جماعة بنى أمية فعنّفهم فى ذلك وفى تخاذلهم وحملهم على بيعة مروان فاجتمعوا فبايعوه وتزوج مروان أم خالد بنت هاشم بن عتبة التى كانت امرأة يزيد بن معاوية فلما تم لملك مروان بن الحكم تسعة أشهر قتلته امرأته أم خالد وذلك ان مروان نظر يوما الي ابنها خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام من أبناء سبع سنين يمشى مشية أنكرها

فقال له ما هذه المشية يا ابن الرطبة فشكى الغلام ذلك الى أمه فقالت له انه لا يقول بعد هذا فسقته السمّ

(خلافة عبد الملك)

فلما أحس بالموت جمع بنى أمية وأشراف أهل الشام فبايع لابنه عبد الملك وامتنع عمرو بن سعيد من البيعة ومات مروان وله ثلاث وستون سنة. ثم ملك عبد الملك بن مروان سنة ست وستين فخرج عمرو بن سعيد بن العاص عليه فصار أهل الشام فرقتين فرقة مع عبد الملك وفرقة مع عمرو بن سعيد فدخلت بنو أمية وأشراف أهل الشام بينهما حتى اصطلحا على أن يكونا مشتركين فى الملك وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو ابن سعيد وعلى ان اسم الخلافة لعبد الملك فان مات عبد الملك فالخليفة من بعده عمرو بن سعيد وكتبا فيما بينهما بذلك كتابا وأشهد عليه أشراف أهل الشام. وكان روح بن زنباع من أخص الناس بعبد الملك بن مروان فقال له وقد خلا به يوما ياأمير المؤمنين هل من رأيك الوفاء لعمرو فقال ويحك ياابن زنباع وهل اجتمع فحلان فى هجمة قط الاقتل أحدهما صاحبه وكان عمرو ابن سعيد رجلا معجبا بنفسه متهاونا فى أمره مغترا بأعدائه. ثم ان عمرا دخل على عبد الملك يوما وقد استعدّ عبد الملك للغدر به فامر به فأخذ فاضجع وذبح ذبحا ولف فى بساط وأحس أصحاب عمرو بذلك وهم بالباب فتنادوا فأخذ عبد الملك خمس مائة صرّة قد هيئت وجعل فى كل صرة الفا درهم فأمر بها فأصعدت الى أعلى القصر فالقيت الى أصحاب عمرو بن سعيد مع

رأس عمرو فترك أصحابه الرأس ملقى وأخذوا المال وتفرقوا . فلما أصبح عبد الملك أخذ من أصحاب عمرو ومواليه خمسين رجلا فضرب أعناقهم وهرب الباقون فلحقوا بعبد الله بن الزبير وفى ذلك يقول قائلهم

غدرتم بعمرو يال مروان ضلة ومثلكم يبنى البيوت على الغدر

فرحنا وراح الشامتون بقتله كأن على أكتافنا فلق الصخر

وما كان عمرو عاجزا غير انه أتته المنايا بغتة وهو لا يدرى

كان بنى مروان اذ يقتلونه بغاث من الطير اجتمعن على صقر

قالوا ولما خرج عبيد الله من البصرة شاع بها أن عبيد الله كان عند الازد فاقبل رجل من الخوارج ليلا فجلس لمسعود بن عمرو فلما خرج لصلاة الفجر وثب عليه بسكين فقتله فاجتمعت الازد وقالوا والله ماقتله الا بنو تميم ولنقتلن سيدهم الاحنف بن قيس فقال الاحنف لقومه ان الازد قد اتهموكم فى قتل صاحبهم وقد استغنوا بالظن عن اليقين ولا بد من غرم عقله فجمعوا الف ناقة ووجهوا بها الى الازد وكانت دية الملوك فرضيت الازد وكفوا . وقوى أمر عبد الله بن الزبير وأعطاه أهل الكوفة الطاعة فولى الكوفة عبد الله بن مطيع العدوى ووجه أخاه مصعب بن الزبير الى البصرة وأمر عبد الله بن مطيع بمكاتبته ووجه عماله الى اليمن والبحرين وعمان وسائر الحجاز ودانت لابن الزبير البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم كان حماهما وانحابت على ابن الزبير الأموال فهدم الكعبة وجدد بناءها وذلك فى سنة خمس وستين وأنزل الحجر الاسود فى حرير وجعله فى تابوت وختم عليه

واستودعه الحجبة مع جميع ما كان معلقا فى الكعبة من ذهب وجوهر ولما بناها أدخل الحجر فى البيت فلما قتل ابن الزبير نقضها الحجاج وأعاد بناءها على ما كان فهى على ذلك الى اليوم .

(دعوة المختار الى محمد بن الحنفية وغلبته على الكوفة)

قالوا وان المختار بن أبى عبيد الثقفى جعل يختلف بالكوفة الى شيعة بنى هاشم ويختلفون اليه فيدعوهم الى الخروج معه والطلب بدم الحسين فاستجاب له بشر كثير وكان أكثر من استجاب له همدان وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين الف رجل وكان على الكوفة يومئذ من قبل عبد الله بن الزبير عبد الله بن مطيع فأرسل ابن مطيع الى المختار ماهذه الجماعات التى تغدوا وتروح اليك فقال المختار مريض يعاد فلم يزل كذلك حتى قال له نصحاؤه عليك بابراهيم بن الأشتر فاستمله اليك فانه متى شايعك على أمر ظفرتَ به وقضيت حاجتك فأرسل المختار الى جماعة من أصحابه فدخلوا عليه وبيده صحيفة مختومة بالرصاص فقال الشعبي وكنت فيمن دخل عليه فرأيت الرصاص أبيض يلوح فظننت انه انما ختم من الليل فقال لنا انطلقوا بنا حتى نأتى ابراهيم بن الأشتر قال فمضينا معه وكنت أنا ويزيد بن أنس الأسدىّ وأحمر بن سليط وعبد الله بن كامل وأبو عمرة كيسان مولى بجيلة الذى يقول الناسُ قد جاوره أبو عمرة وكان من بعد ذلك على شرط المختار قال الشعبي فأتينا ابراهيم بن الأشتر وهو جالس فى صحن داره فسلمنا

عليه فتناول يد المختار وأجلسه معه على مقعدة كان عليها وتكلم المختار وكان مفوّها فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد أكرمك وأكرم أباك من قبلك بموالاة بنى هاشم ونصرتهم ومعرفة فضلهم وما أوجب الله من حقهم وقد كتب اليك محمد بن علىّ بن أبى طالب يعنى ابن الحنفية هذا الكتاب بحضرة هؤلاء النفر الذين معى فقال القوم جميعا نشهد ان هذا كتابه رأيناه حين كتبه ثم ناوله ففتحه وقرأه فاذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علىّ الى ابراهيم بن الأشتر أما بعد فان المختار ابن أبى عبيد على الطلب بدم الحسين فساعده فى ذلك وآزِرْه يُثبك الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فلما قرأ ابراهيم بن الأشتر الكتاب قال للمختار سمعاً وطاعة لمحمد بن علىّ فقل مابدا لك وادعُ الى ماشئت فقال المختار أتأتينا أو نأتيك فى أمرنا فقال ابراهيم بل أنا آتيك كل يوم الى منزلك.

قال الشعبى فكان ابراهيمُ بن الأشتر يركب الى المختار فى كل يوم فى نفر من مواليه وخدمه قال الشعبى ودخلتنى وحشةٌ من شهادة النفر الذين كانوا معى على انهم رأوا محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب الى ابراهيم بن الاشتر فأتيتهم فى منازلهم رجلا رجلا فقلت هل رأيتَ محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب فكل يقول نعم وما أنكرتَ من ذلك فقلت فى نفسى ان لم أستعلمها من العجمىّ يعنى عمرة لم أطمع فيها من غيره فأتيته فى منزله فقلت ما أخوفنى من عاقبة أمرنا هذا أن ينصبَ الناس جميعا لنا فهل شهدت محمد بن الحنفيّة حين كتب ذلك الكتاب فقال والله ما شهدتُه حين كتبه غير ان أبا اسحاق

يعنى المختار عندنا ثقة وقد أتانا بعلامات من ابن الحنفيّة فصدقناه قال الشعبى فعرفتُ عنـد ذلك كذب المختار وتمويهه فخرجت من الـكوفة حتى لحقت بالحجاز فلم أشهد من تلك المشاهد شيئا قالوا وكان على شرطة عبـد الله بن مطيع بالـكوفة اياس بن نضار العجلىّ وكان طريق ابراهيم بن الأشتر اذا ركب الى المختار على باب داره فأرسل الى ابراهيم انه قد كثر اختلافك فى هذا الطريق فاقصرْ عن ذلك فأخبر ابراهيم المختار بما أرسل اليه اياس فقال له المختار تجنّب ذلك الطريق وخذ فى غيره ففعل وبلغ ايأسا ان ابراهيم بن الاشتر لا يقلع عن إتيان المختار كلّ يوم فأرسل اليه ان أمرك يريبنى فـلا أرينّك راكبا ولا تبرحنّ منزلك فضرب عنقك فأخـبر ابراهيم المختـار بذلك واستأذنه فى قتله فأذن له وان ابرهيم ركب فى جماعة من أهـل بيته وما يليه وجعل طريقه على مجلس اياس فقال له اياس ياابن الاشتر ألم آمرك الاّ تبرح من منزلك فقال له ابراهيم أنت والله ما علمت احمقُ فقال للجلاوزة نـكسوه فانتضى ابراهيم سيفه وشدّ على اياس فضربه حتى قتله ثمّ حمل على الجلاوزة فانحرفوا عنه ومضى ابراهيم وبلغ عبد الله بن مطيع الخـبر فأمر بطلب ابراهيم ووجّه الى منزله وبلغ ذلك المختـار فوجّه الى ابراهيم بمائة فارس فلما وافوه حمل على أصحاب ابن مطيع فانهزموا عنه فأقبل ابراهيم نحو دار الامارة ووافاه المختار فى سبعة آلاف فارس فتحصن ابن مطيع فى القصر وبعث الى الحرس والجند فوافاه منهم نحو ثلاثة آلاف رجـل فنادى يال ثارات الحسين فوافاه زهاء عشرة آلاف رجـل ممن بايعه على الطلب بدم

الحسين وفى ذلك يقول عبد الله بن همّام

وفى ليلةِ المختار ما يُذهلُ الفتى ويزويه عن وود الشباب شَموع
دعا يالَ ثارات الحسين فأقبلَتْ كتائب من هَمْدانَ بعدَ هزيعِ
ومن مَذحجٍ جاء الرئيس ابن مالك يقودُ جموعًا أُردفَتْ بجموع
ومن أسَدٍ وافى يَزيد لنَصره بكلّ فتىً ماضى الجنانِ منيع

وخرج ابن مطيع من القصر واجتمع اليه الجنود ونهض اليه المختار فى أصحابه وعلى مقدمته ابن الاشتر فالتقوا واقتتلوا فقتل من أصحاب ابن مطيع بشر كثير فانهزموا وبادر ابن مطيع الى القصر فتحصّن فيه فى طائفة من أصحابه وأقبلت همدان حتى تسلّقوا القصر بالحبال من ناحية دار عُمارة بن عُقبة بن أبى مُعيط فلما رأى عبد الله بن مطيع ضعفه عن القوم سأل الامان على نفسه ومن معه من أصحابه فأجابه المختار الى ذلك فأمنه فخرج ابن مطيع وأظهر المختار اكرامه وأمر له من بيت المال بمائة ألف درهم وحفظ فيه قرابته من عمر بن الخطاب وقال له ارحل اذا شئتَ ثم ان المختار غلب على الكوفة ودانت له العراق وسائر البلاد الاّ الجزيرة والشام ومصر فان عبد الملك قد كان حماها . ووجّه عمّاله فى الآفاق فاستعمل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانىّ على الموصل ومحمد بن عثمان التميمى على اذربيجان وعبد الله بن الحارث أخا الأشتر على الماهين وهمذان ويزيد بن معاوية البجلىّ على أصبهان وقُمّ وأعمالها وابن مالك البكراوىّ على حلوان وماسبذان ويزيد ابن نجبة الفزارىّ على الرىّ ودستبى وزَحر بن قيس على جوخَى . وفرّق

سائر البلدان على خاصّته و ولى الشرطة كيسان أبا عَمرة وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول ويتتبع دورَ من خرج الى قتال الحسين بن علىّ فيهدمها وكان أبو عمرة بذلك عارفا فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدم الدار فى لحظة فمن خرج اليه منهم قتله حتى هدم دورًا كثيرة وقتل أناسا كثيرًا وجعل يطلب ويستقصى فمن ظفر به قتله وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه . ثم ان المختار عقد ليزيد بن أنس الاسدى فى عشرين ألف رجل وقوّاهم بالسلاح والعُدّة و ولاّه الجزيرة وما غلب عليه من أرض الشام فسار يزيد حتى نزل نَصيبين و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فخرج بأهل الشام فوافى نصيبين وقاتل يزيد بن أنس فهزمه وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة و بلغ المختار ذلك فقال لابراهيم بن الاشتر أيها الرجل انما هو أنا وأنت فسر اليهم فوالله لتقتلنّ الفاسق عبيد الله بن زياد ولتقتلنّ الحصين بن نمير وليهزمنّ الله بك ذلك الجيش أخبرنى بذلك من قرأ الكتب وعرف الملاحم . قال ابراهيم ما أحسبك أيها الأمير بأحرص على قتال أهل الشام ولا أحسن بصيرةً فى ذلك منى وأنا سائر فانتخب له المختار عشرين ألف رجل وكان جُلّهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ويُسمّون الحمراء وسار نحو الجزيرة وردّ من كان انهزم من أصحاب يزيد بن أنس فصار فى نحو من ثلاثين ألف رجل

(مقتل عبيد الله بن زياد)

و بلغ ذلك عبد الملك فعقد للحصين بن نمير فى فرسان أهل الشام وكانوا

نحوا من أربعين ألفا وفيهم عبيدالله بن زياد وفيهم من قتلة الحسين عمير بن الحباب وفُرات بن سالم ويزيد بن الحضير وأناس سوى هولاء كثير فقال فرات لعمير قد عرفتَ سوء ولاية بنى مروان وسوء رأيهم فى قومنا من قيس ولئن خلص الامر وصفا لعبد الملك ليستأصلنّ قيسا أوليقصينهم ونحن منهم فانصرف بنا لننظر ماحال ابراهيم بن الأشتر فلما جنهما الليل ركبا فرسيهما وبينهما وبين عسكر ابراهيم أربع فراسخ وكانا يمرّان بمسالح أهل الشام فيقولون لهما ماأنتما فيقولان طليعة للأمير الحصين بن نمير فأقبلا حتى أتيا عسكر ابراهيم بن الاشتر وقد أوقد النيران وهو قائم يعبي أصحابه وعليه قميص أصفر هروى وملاءة مورّدة متوشحا بها متقلدا سيفه فدنا منه عمير بن الحباب فصار خلفه وابراهيم لا يأبه له فاحتضنه من ورائه فما تحلحل ابراهيم عن موضعه غير أنه أمال رأسه وقال من هذا قال أنا عمير بن الحباب فأقبل بوجهه اليه وقال اجلس حتى أفرغ لك فتنحى عنه وقعدا ممسكين بأعنة فرسيهما فقال عمير لصاحبه هل رأيت رجلا أربط جأشا وأشد قلبا من هذا تراه تحلحل من مكانه أو اكترث لى وأنا محتضنه من خلف فقال له صاحبه ما رأيت مثله فلما فرغ ابراهيم من تعبية أصحابه أتاهما فجلس اليهما ثم قال لعمير ما أعملك الىَّ يا أبا المغلس قال عمير لقد اشتد غمى مذ دخلت عسكرك وذلك انى لم أسمع فيه كلاما عربيا حتى انتهيت اليك وانما معك هؤلاء الأعاجم وقد جاءك صناديد أهل الشام وأبطالهم وهم زهاء أربعين ألف رجل فكيف تلقاهم بمن معك فقال ابراهيم والله لو لم أجد الا النمل لقاتلتهم بها

فكيف وما قومٌ أشد بصيرة فى قتال أهل الشام من هؤلاء الذين تراهم معى وانما هم أولاد الأساورَة من أهل فارس والمرازبة وأنا ضارب الخيل بالخيل والرجال بالرجال والنصر من عند الله . قال عمير ان قومى قيسا اذا التقى الجيلان غدا فى ميسرة أهل الشام فلا تحفل بنا فانا منهزمون لنكسر الجيش بذلك فانّا لا نحبّ ظهور بنى مروان لسوء صنيعهم الينا معاشر قيس وانّا اليك لا ميل قال ابراهيم وذاك ثم انصرفا الى معسكرهما . ولما أصبح الفريقان زحف بعضهم الى بعض فتواقفوا بمكان يُدعى خازر فنادى ابراهيم بن الأشتر حُماة عسكره عليكم بالميسرة وفيها قيس فقال عمير بن الحباب لصاحبه هذا وأبيك الحزم لم يثق بقولنا وخاف مكرها وصاح عمير بن الحباب فى قيس يال ثارات مرج راهط فنكسوا أعلامهم وانهزموا فانكسر أهل الشام عند ذلك وحمل عليهم ابراهيم بن الأشتر فأكثر فيهم القتل فانهزم أهل الشام فاتبعهم ابراهيم يقتلهم الى الليل وقتل أميرهم الحصين بن نمير وكان من قتلة الحسين وشرحبيل بن ذى الكلاع وعظماء أهل الشام . فلما وضعت الحرب أوزارها قال ابراهيم بن الأشتر انى قتلت فى الوقعة رجلا من أهل الشام كان يقاتل فى أوائلهم قتالا شديدا وهو يقول أنا الغلام القرشىّ فلما سقط شممت منه ريح المسك فاطلبوه بين القتلى فطلب حتى أصابوه فاذا هو عبيد الله بن زياد فأمر به ابراهيم فحزّ رأسه فوجه به الى المختار فوجه به المختار الى محمد بن الحنفية واحتوى ابراهيم بن الأشتر على عسكر أهل الشام فغنم ما كان فيه فأتته هند ابنة أسماء بن خارجة الفزارىّ امرأة عبيد الله بن

زياد فأخبرته بانتهاب ما كان معها من مالها فقال لها كم ذهب لك قالت قيمة خمسين الف درهم فأمر لها بمائة الف درهم ووجه معها مائة فارس حتى أتوا بها أباها البصرة ودخل عبيد الله بن عمرو الساعدي وكان شاعرا على ابراهيم ابن الاشتر فأنشده

الله أعطاك المهابة والتقى	وأحلّ بيتك فى العديد الاكثر
وأقرّ عينك يوم وقعة خازرٍ	والخيلُ تعثرُ بالقنا المتكسر
من ظالمين كفتهمُ آثامهم	تُرِكوا لعافيةٍ وطيرٍ حُسَّر
ما كان أجرأهم جزاهم ربهم	شرّ الجزاء على ارتكاب المنكَر
انى أتيتُك إذ تناءى منزلى	وذَممتُ إخوانَ الغنَى مِن معشرى
وعلمتُ أنك لا تُضيّعُ مدحتى	ومتى أكن بسبيل خيرٍ أشكر
فهلمّ نحوِى من يمينك نفحةً	إن الزمانَ ألحّ يا ابنَ الأشتر

فأعطاه عشرة آلاف درهم وان ابراهيم بن الاشتر أقام بالموصل ووجّه عمّاله الى مدن الجزيرة فاستعمل اسماعيل بن زُفَر على قَرْقِيسيا وحاتم بن النعمان الباهلى على حرّان والرُّها وسُمَيْساط وعمير بن الحباب السُّلمى على كفرتوثا والسّفّاح بن كُردوس على سِنجار وعبد الله بن مساور على ميّافارِقين ومسلم ابن ربيعة العقيلى على آمد وسار هو الى نصيبين فأقام بها . وان المختار كتب الى عبيد الله بن الحرّ الجعفى وكان بناحية الجبل يتطرّف ويُغير انما خرجتَ غضبا للحسين ونحن أيضاً ممن غضب له وقد تجرّدنا لنطلب بثاره فأعنا على ذلك فلم يُجبه عبيد الله الى ذلك فركب المختار الى داره بالكوفة فهدمها وأمر

بامرأته أم سلمة ابنـــة عمرو الجعفى فحبست فى السجن وانتُهب جميع ما كان فى منزله وكان الذى تولى ذلك عمروابن سـعيد بن قيس الهمدانى , و بلغ ذلك عبيد الله بن الحرّ فقصد الى ضيعة لعمرو بن سعيد بالماهين فأغار عليها واستاق مواشيها وأحرق زرعها وقال

وماترك الكذاب من جلّ مالنا ... ولا المرء من همدان غير شريد

أفى الحقّ أن يجتاح مالى كلّه ... وتأمنُ عندى ضيعة ابن سعيد

ثم اختـــار من أبطال أصحابه مائة فارس فيهم مُحشّر التميمى ودَلهمُ بن زياد المرادى وأحمر طيّئ وخلّف بقية أصحابه بالماهين وسار نحوالكوفة حتى انتهى الى جسرها ليلا فأمر بقُوّام الجسر فـكتفوا ووكل بهم رجلا من أصحابه ثم عبر ودخل الـكوفة فلقيه أبو عمرة كَيسان وهو يعسّ بالـكوفة فقال من أنتم قالوا نحن أصحاب عبد الله بن كامل أقبلنا الى الامير المختار فقال امضوا فى حفظ الله فمضوا حتى انتهوا الى السجن فـكسروه فخرج كل من فيه وحمل أم سلمة على فرس ووكل بها أربعين رجلا وقدّمهـــا ثم مضى . و بلغ الخبر المختار فأرسل راشدا مولى بجيلة فى ثلاثة آلاف رجل وعطف عليهم أبوعمرة من ناحية بجيلة فى ألف رجل وخرج عليهم عبد الله بن كامل من ناحية النخع فى ألف رجل فأحاطوا بهم فلم يزل عبيد الله يكشفهم و يسير والحجارة تأخذه وأصحابه من سطوح الـكوفة حتى عبر الجسر وقد قتل من أصحاب المختار مائة رجل ولم يُقتل من أصحابه الا أربعة نفر . وسار عبيدالله حتى انتهوا الى بانِقيا فنزلوا وداووا جروحهم وعلفوا دوابهم وسقوها ثم ركبوا فلم يحلواعقدها

حتى انتهوا الى سورا فأراحوا بها ثم ساروا حتى أتوا المدائن ثم لحق بأصحابه بالماهين . ولما تجرّد المختار لطلب قتلة الحسين هرب منه عمرو بن سعد ومحمد ابن الاشعث وهما كانا المتولين للحرب يوم الحسين وأُتى بعبد الرحمن بن ابزى الخزاعى وكان ممن حضر قتال الحسين فقال له يا عدوّ الله أ كنت ممن قاتل الحسين قال لا بل كنت ممن حضر ولم يقاتل قال كذبتَ اضربوا عنقه فقال عبد الرحمن ما يمكنك قتلى اليوم حتى تُعطى الظفر على بنى أمية و يصفو لك الشام وتهدم مدينة دمشق حجرا حجرا فتأخذنى عند ذلك فتصلبنى على شجرة بشاطئ نهر كأنى أنظر اليها الساعة . فالتفت المختار الى أصحابه وقال أما ان الرجل عالم بالملاحم ثم أمر به الى السجن فلما جن عليه الليل بعث اليه من أتاه به فقال له يا أخا خزاعة أظرْفا عند الموت فقال عبد الرحمن بن ابزى أنشدك الله أيها الامير أن أموت هاهنا ضيعةً قال فما جاء بك من الشام قال أربعة آلاف درهم لى على رجل من أهل الكوفة أتيته متقاضيا فأمر له المختار باربعة آلاف درهم وقال له إن أصبحتَ بالكوفة قتلتك فخرج من ليلته حتى لحق بالشام . ومكث المختار بذلك يطلب قتلة الحسين وتُجبى اليه الاموال من السواد والجبل وأصبهان والرىّ وأذربيجان والجزيرة ثمانيةَ عشر شهرا وقرّب أبناء العجم وفرض لهم ولأولادهم الأعطيات وقرّب مجالسهم وباعد العرب وأقصاهم وحرمهم فغضبوا من ذلك واجتمع أشرافهم فدخلوا اليه فعاتبوه فقال لا يبعد الله غيركم أ كرمتكم فشمختم بآنافكم ووليتكم فكسرتم الخراج وهؤلاء العجم أطوع لى منكم وأوفى وأسرع الى ما أريد .

قالوا فدنت العرب بعضها الى بعض وقالوا هـذا كذاب يزعم انه يوالي بنى هاشم وانما هو طالب دنيـا فاجتمعت القبائل علىّ محاربته وصاروا فى ثلاثة أمكنة وقلدوا أمرهم رفاعة بن سوّار فاجتمعت كندة والازد وبجيـلة والنخع وخثم وقيس وتيمُ الرِّباب فى جبّانة مراد واجتمعت ربيعة وتميم فصاروا فى جبانة الحشاشين . فأرسل المختار الى همدان وكانوا خاصته واجتمع اليه أبناء العجم فقال لهم ألا ترون ما يصنع هؤلاء قالوا بلى قال فانهم لم يفعلوا ذلك الا لتقـديمي إياكم فكونوا أحرارا كراما فحرّضهم بذلك وأخرجهم الي ظهر الـكوفة فاحصاهم فبلغوا أربعين ألف رجل . وان شِمر بن ذى الجوشن وعمر ابن سعد ومحمد بن الاشعث وأخاه قيس بن الاشعث قدموا الـكوفة عنـد ما بلغهم خروج الناس على المختار وخلعهم طاعته وكانوا هُرّابا من المختارطول سلطانه لانهم كانوا الرؤساء فى قتال الحسين فصاروا مع أهل الـكوفة وتولوا أمر النـاس وتأهب الفريقان للحرب واجتمع أهل الـكوفة جميعا فى جبّـانة الحشاشين وزحف المختار نحوهم فاقتتلوا فقُتل بينهم بشر كثير فنادى المختار يا معشر ربيعة ألم تبـايعونى فلم خرجتم عليّ قالت ربيعة قد صـدق المختار لقد بايعناه وأعطيناه صفقة أيماننا فاعتزلوا وقالوا لانكون على واحدمن الفريقين وثبت سائر القبـائل فقاتلوا وان أهل الـكوفة انهزموا وقد قُتـل منهم نحو الخمسمائة رجل وأسر منهم مائتا رجل فهرب أشراف الـكوفة فلحقوا بالبصرة وبها مصعب بن الزبير فانضموا اليه . وبلغ المختار أن شَبَث بن رِبعى وعمرو ابن الحجاج ومحمد بن الاشعث مع عمر بن سعد قد أخـذوا طريق البصرة

فى أناس معهم من أشراف أهل الكوفة فأرسل فى طلبهم رجلا من خاصته يسمى أبا القلوص الشبامىّ فى جريدة خيل فلحقهم بناحية المذار فواقعوه وقاتلوه ساعة ثم انهزموا ووقع فى يده عمر بن سعد ونجا الباقون فأتى به المختار فقال الحمد لله الذى أمكن منك والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك يا كيسان اضرب عنقه فضرب عنقه وأخذ رأسه فبعث به الى المدينة الى محمد بن الحنفية وقال أعشى همدان وكان من أهل الكوفة

ولم أنس همدانا غداةَ تجوسنا ... بأسيافها الا أُسقيتْ صوب هاضب

فقتل من أشرافنا فى محالهم ... عصائبُ منهم أُردفت بعصائب

فكم من كمى قد أبارت سيوفهم ... الى الله أشكو رزء تلك المصائب

يقتّلنا المختار فى كل غائط ... فيالك دهرٌ مرصدٌ بالعجائب

و بلغ المختار ان شمر بن ذى الجوشن مقيم بدست ميسان فى أناس من بنى عامر بن صعصعة يكرهون دخول البصرة لشماتة أهل البصرة بهم فأرسل المختار اليهم زربيا مولى بجيلة فى مائة فارس على الخيل العتاق فسار اليهم بالحث الشديد فقطع أصحابه عنه الا عشرة فوارس فلحقهم وقد استعدوا له فطعنه شمر فقتله وانهزم أصحابه العشرة حتى لحق بهم الباقون فطلبوا شمرا وأصحابه فلم يلحقوهم ومضى شمر حتى نزل قريبا من البصرة بمكان يدعى سادَماه فأقام به . وان قيس بن الأشعث أنف من أن يأتى البصرة فيشمت به أهلها فانصرف الى الكوفة مستجيرا بعبد الله بن كامل وكان من أخص الناس عند المختار فأقبل عبد الله الى المختار فقال أيها الأمير ان قيس بن

الاشعث قد استجار بى وأجرته فانفذ جوارى اياه فسكت عنه المختار مليا وشغله بالحديث ثم قال أرنى خاتمك فناوله اياه فجعله فى أصبعه طويلا ثم دعا أباعمرة فدفع اليه الخاتم وقال له سرا انطلق الى امرأة عبد الله بن كامل فقل لها هذا خاتم بعلك علامة لتدخليني الى قيس بن الاشعث فانى أريد مناظرته فى بعض الأمور التى فيها خلاصه من المختار فأدخلته اليه فانتضى سيفه فضرب عنقه وأخذ رأسه فأتى به المختار فألقاه بين يديه فقال المختار هذا بقطيفة الحسين وذلك ان قيس بن الاشعث أخذ قطيفة كانت للحسين حين قتل فكان يسمى قيس قطيفة فاسترجع عبد الله بن كامل وقال للمختار قتلتَ جارى وضيفى وصديقي فى الدهر قال له المختار لله أبوك اسكت أتستحلّ أن تجير قتلة ابن بنت نبيك . ثم ان المختار دعا بالاسرى الذين أسرهم من أهل الكوفة فى الوقعة التى كانت بينه وبين أهل الكوفة فجعل يضرب أعناقهم حتى انتهى الى سراقة البارقىّ وكان فيهم فقام بين يديه وأنشأ يقول

ألا من مبلغ المختار أنا ... نزونا نزوة كانت علينا

خرجنا لانرى الاشراك دينا ... وكان خروجنا بطرا وحينا

ثم قال للمختار أيها الامير لو انكم أنتم الذين قاتلتمونا لم تطمعوا فينا فقال له المختار فمن قاتلكم قال سُراقة قاتلنا قوم بيض الوجوه على خيل شهب قال له المختار تلك الملائكة ويلك أما اذ رأيتهم فقد وهبتك لهم ثم خلى سبيله فهرب فلحق بالبصرة وأنشأ يقول

ألا أبلغ أبا اسحاق انى ... رأيت الشهب كمتا مصمتات

أرى عينىَّ ما لم ترأياه كلانا عالمٌ بالترَّهات

كفرت بدينكم وبرئت منكم ومن قتلاكم حتى الممات

وهرب أسماء بن خارجة الفزارىّ وكان شيخ أهل الكوفة وسيدهم من المختار خوفا على نفسه فنزل ماء لبنى أسد يسمى ذَروة فى نفر من مواليه وأهل بيته فأقام به . وهرب عمرو بن الحجاج وكان من رؤساء قتلة الحسين يريد البصرة فخاف الشماتة فعدل الى سراف فقال له أهل الماء ارحلْ عنا فانا لا نأمن المختار فارتحل عنهم فتلاوموا وقالوا قد أسأنا فركبت جماعة منهم فى طلبه ليردوه فلما رآهم من بعيد ظن أنهم من أصحاب المختار فسلك الرمل بمكان يدعى البيضة وذلك فى حمارّة القيظ وهى فيما بين بلاد كلب وبلاد طيئ فقال فيها فقتله ومن معه العطش . ولم يزل أسماء مقيما بذروة الى أن قتل المختار ودخل مصعب بن الزبير الكوفة فانصرف أسماء الى منزله بالكوفة . ولما تتبع المختار أهل الكوفة جعل عظماؤهم يتسللون هُرَّابا الى البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل وفيهم محمد بن الاشعث فاجتمعوا ودخلوا على مصعب بن الزبير فتكلم محمد بن الاشعث وقال أيها الامير ما يمنعك من المسير لمحاربة هذا الكذّاب الذى قتل خيارنا وهدم دورنا وفرّق جماعتنا وحمل أبناء العجم على رقابنا وأباحهم أموالنا سر اليه فانا جميعا معك وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب هم أعوانك قال مصعب يا ابن الاشعث أنا عارف بكل ما ارتكبكم به وليس يمنعنى من المسير اليه الا غيبة فرسان أهل البصرة وأشرافهم فانهم مع ابن عمك المهلب بن أبى صفرة

فى وجوه الأزارقة بناحية كرمان غير انى قد رأيتُ رأيا قال وما رأيتَ أيها
الامير قال رأيت أن أكتب الى المهلب آمره أن يوادع الازارقة ويقبل
اليّ فيمن معه فاذا وافى تجهزنا وخرجنا لمحاربة المختار قال ابن الاشعث نعم
مارأيت فاكتب اليه واجعلني الرسول . فكتب مصعب بن الزبير الى
المهلب كتابا يذكر له مافيه أهل الكوفة من القتل والحرب ويفسّر فيه أمر
المختار فسار محمد بن الاشعث بكتابه حتى ورد كرمان وأوصل الكتاب الي
المهلب وقل له ياابن عم قد بلغك مالقى أهل الكوفة من المختار وقد كتب
اليك الامير مصعب بما قد قرأته فكتب المهلب الى قطَرىّ وكان رئيس
الازارقة يومئذ يسأله الموادعة الى أجل سمّاه ويكتب بينهما كتابا فى ذلك
ويضعا الحرب الى ذلك الاجل فأجابه قطرىّ الى ذلك وكتبا بينهما كتابا
وجعلا الاجل ثمانية عشر شهرا وسار المهلب بمن معه حتى وافى البصرة فوضع
مصعب لاهل البصرة العطاء وتهيأ للسير . وبلغ المختار ذلك فعقد لاحمر بن
سليط فى ستين ألف رجل من أصحابه وأمره أن يستقبل القوم فيناجزهم
الحرب فسار أحمر بن سليط فى الجيوش حتى وافى المذار وقد انصرف اليها
شمر بن ذى الجوشن أنفة من أن يأتى البصرة هاربا فيشمتوا به فوجه أحمر
ابن سليط الى المكان الذى كان متحصنا فيه خمسين فارسا وأمامهم نبطىٌّ
يدلهم على الطريق وذلك فى ليلة مقمرة فلما أحس بهم دعا بفرسه فركبه
وركب من كان معه ليهربوا فأدركهم القوم فقاتلوهم فقتل شمر وجميع من
كان معه واحتزوا رؤسهم فأتوا بها أحمر بن سليط فوجهها الى المختار فوجه

المختار برأس شمر الى محمد بن الحنفية بالمدينة . وسار مصعب بن الزبير بجماعة أهل البصرة نحو المذار وتخلّف عنه المنذر بن الجاروه وهرب منه نحو كرمان فى جماعة من أهل بيته ودعا لعبد الملك بن مروان . وأقبل مصعب حتى وافى المذار وأمامه الاحنف بن قيس فى تميم وزحف الفريقان بعضهم الى بعض فاقتتلوا فانهزم أصحاب المختار واستحرّ القتل فيهم ومضوا نحو الكوفة واتبعهم مصعب يقتلهم فى جميع طريقه فلم يفلت منهم الا القليل فقال أعشى همدان فى ذلك

ألم يَبلُغك ما لقيَتْ شبامٌ وما لاقَتْ عُرَينَةُ بالمذار

أُتيح لهم بها ضَرْبٌ طِلَحفٌ وطعنٌ بالمثقفة الحِرَارِ

كأن سحابةً صُعقَتْ عليهم فعمتهم هنالكَ بالدَمار

وما ان ساءنى ما كان منهم لدَى الاِعسار منى واليسار

ولكنى فرِحتُ وطاب نَومى وقرَّ لقتلهم منى قرارى

(مقتل المختار)

وان مصعبا سار بالجيوش نحو الكوفة فعبر دجلة وخرج الى أرض كسكر ثم أخذ على حديثة الفَجار ثم أخذ على النَجرانية حتى قارب الكوفة وبلغ المختار مقتل أصحابه فنادى فى بقية من كان معه من جنوده فقوّاهم بالاموال والسلاح وسار بهم من الكوفة مستقبلا لمصعب بن الزبير فالتقوا بنهر البصريين فاقتتلوا فقتل من أصحاب المختار مقتلةٌ عظيمة وقتل محمد بن الاشعث وقتل عمر بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام وذلك أنه قدم من

الحجاز على المختار فقال له المختار هل معك كتاب محمد بن الحنفيّة فقال عمر
ابن عليّ لا ما معى كتابه فقال له انطلق حيث شئتَ فلا خير لك عندى
فخرج من عنده وسار الى مصعب فاستقبله فى بعض الطريق فوصله بمائة ألف
درهم وأقبل مع مصعب حتى حضر الوقعة فقتل فيمن قتل من الناس . وانهزم
المختار حتى دخل الكوفة وتبعه مصعب فدخل فى أثره وتحصّن المختار فى
قصر الامارة فاقبل مصعب حتى أناخ عليه وحاصره أربعين يوما ثم ان المختار
قلق بالحصار قلقا شديدا فقال للسائب بن مالك الاشعرىّ وكان من خاصته
أيها الشيخ اخرج بنا لنقاتل على احسابنا لا على الدين فاسترجع السائب وقال
ياأبا اسحق لقد ظنّ الناس ان قيامك بهذا الامر دينونةً فقال المختار لالعمرى
ما كان الا لطلب دنيا فانى رأيتُ عبد الملك بن مروان قد غلب على الشام
وعبد الله بن الزبير على الحجاز ومصعبا على البصرة ونجدةَ الحرُورىّ على
العرُوض وعبد الله بن خازم على خراسان ولستُ بدون واحد منهم ولكن
ما كنت أقدر على ما أردت الا بالدعاء الى الطلب بثأر الحسين ثمّ قال
ياغلام علىّ بفرسى ولأمتى فأتى بدرعه فتدرعها وركب فرسه ثم قال قبح
الله العيش بعد ما أرَى يا بوّاب افتح ففتح له الباب وخرج ومعه حُماة
أصحابه فقاتل القوم قتالا شديدا وانهزم أصحابه ومضى هو نحو القصر وهو فى
حامية أصحابه فدخل القصر من أصحابه ستّة آلاف رجل وبقى مع المختار نحو
من ثلثمائة رجل فأخذ أصحاب مصعب عليه باب القصر فلجأ المختار فيمن معه
الى حائط القصر وأقبل يذمّر أصحابه ويحمل فلم يزل يقاتل حتى قُتل أكثر

من كان معه فحمل عليه اخوان من بنى حنيفة من أصحاب المهلب فضرباه بالسيف حتى سقط وبادرا اليه فاحتزّا رأسه فأتيا به مصعبا فأعطاهما ثلاثين ألف درهم فقال سويد بن أبى كاهل يذكر قتل المختار

يا ليتَ شعرِى متى تغدُو مُخيسةٌ ... منّا فتُبلغُ أهلَ الموْسمِ الخبرَا

أنّا تجزَرْنا عن الكذّاب هامَتَه ... من بعد طعن وضربٍ يكشفُ الخمرا

ووجه مصعب برأس المختار الى عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن عبد الرحمن قال عبد الله فوافيت مكة بعد العشاء الآخرة فأتيتُ المسجد وعبد الله بن الزبير يصلى قال فجلستُ أنتظره فلم يزل يصلى الى وقت السحر ثم انفتل من صلاته فدنوتُ منه فناولته كتاب الفتح فقرأه وناوله غلامه وقال امسكه معك فقلتُ يا أمير المؤمنين هذا الرأس معى قال فما تريد قلت جائزتى قال خذ الرأس الذى جئتَ به بجائزتك فتركته وانصرفت قالوا ولما قتل المختار واستتبّ الأمر لعبد الله بن الزبير أرسل الى عبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفيّة امّا أن تبايعانى أو تخرجا من جوارى فخرجا من مكة فنزلا الطائف وأقاما هناك وتوفى عبد الله بن عباس بالطائف وصلى عليه محمد بن الحنفية وخرج محمد بن الحنفية من الطائف حتى أتى أيلة وكتب الى عبد الملك بن مروان يستأذنه فى القدوم عليه والنزول فى جواره فكتب اليه وراءك أوسعُ لك ولا حاجة لى فيك فأقام محمد بن الحنفية عامه ذلك بايلة ثم توفى بها. وقتل المختار وابراهيم بن الأشتر عامله على كورة الجزيرة فكتب الى مصعب يسأله الأمان وكتب اليه يأمره بالقدوم عليه فقدم وبايعه وفوّض

مصعب اليه جميع أمره وأظهر برّه والطافه .ولم تزل الستة آلاف الذين دخلوا القصر متحصنين فيه شهرين حتى نفد جميع ما كان المختار أعدّ فيه من الطعام فسألوا الأمان فأبى مصعب أن يعطيهم الأمان الا على حكمه فارسلوا اليه انّا ننزل على حكمك فنزلوا عندما بلغ اليهم الجوع فضرب أعناقهم كلّهم وكانوا ستة آلاف ألفين من العرب وأربعة آلاف من العجم .ودعامصعب بامرأتى المختار أمّ ثابت ابنة سمرة بن جندب وعمرة بنت النعمان بن بشير فدعاها الى البراءة من المختار فأما أم ثابت فانها تبرّأت منه وأبت عمرة ان تتبرّأ منه فأمر بها مصعب فأخرجت الى الجبّانة فضربت عنقها فقال بعض الشعراء فى ذلك

ان من أعجَب العجائب عندى ... قَتلَ بيضاء حرّة عُطبولِ

قتلوها بغير ذنب سفاها ... انّ لله درّها من قتيل

كتبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى المحصنات جرُّ الذُيولِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فى ذلك

ألم تعجَب الاقوامُ من قتلِ حُرّة ... من المُخلِصات الدينِ محمودة الادب

مِنَ الغافلات المؤمنات بريئةٍ ... مِن الزُور والبهتان والشَكّ والرِيَب

علينا كتاب الله فى القتل واجبٌ ... وهُن الضعاف فى الحجال وفى الحجُب

فقلتُ ولم أظلِمْ أعمرُو بن مالكٍ ... يُقتَل ظلما لم يُخالفْ ولم يَرِب

ويسبقُنا آلُ الزبير بوَترنا ... ونحن حماةُ الناسِ فى البارِقِ الاشِبْ

فان تُعقِبِ الايّام منهم نُجازهم ... على حَنَقٍ بالقتلِ والاسر والجَنَب

ثم ان مصعب بن الزبير نزل القصر بالكوفة واستعمل العمال وجبى الخراج فولى البصرة عبيد الله بن مَعمَر التيمىّ وردّ المهلب الى قتال الازارقة

(غزو عبد الملك العراق وقتل مصعب)

قالوا ولما صفا الامر لعبد الله بن الزبير ودانت له البلدان الاّ أرض الشام جمع عبد الملك بن مروان اخوته وعظماء أهل بيته فقال لهم ان مصعب بن الزبير قد قتل المختار ودانت له أرض العراق وسائر البلدان واستُ آمنه أن يغزوكم فى عُقر بلادكم وما من قوم غُزوا فى عقر دارهم الاّ ذلوا فما ترون فتكلّم بشر بن مروان فقال يا أمير المؤمنين أرَى أن تجمع اليك اطرافك وتستجيش جنودك وتضمّ اليك قواصيك وتسير اليه وتلُفّ الخيل بالخيل والرجال بالرجال والنصر من عند الله فقال القوم هذا الرأى فاعمل به فان بنا قوّة ونهوضا فوجّه رسله الى كور الشام ليجتمع اليه فاجتمع له جميع أجناد الشام ثم سار وقد احتشد ولم ينزل وبلغ مصعب بن الزبير خروجه فضمّ اليه اطرافه وجمع اليه قواصيه واستعد ثم خرج لمحاربته فتوافى العسكران بدير الجاثليق فقال عدِىّ بن زيد بن عدىّ وكان مع عبد الملك

لعمرى لقد أصحرَت خيلُنا ... بأكناف دِجلةَ للمصعَبِ

يجرُّون كلَّ طويلِ الكعو ... ب معتدلِ النّصل والثعلب

بكلِّ فتى واضحٍ وَجهه ... كريمِ الضرائب والمَنصب

ولما نظر أصحاب مصعب الى كثرة جموع عبد الملك تواكلوا وشملهم الرعب فقال مصعب لعروة بن المغيرة وهو يسايره ادن يا عروة أكلمك فدنا منه

فقال اخبرنى عن الحسين كيف صنع حين نزل به الامر قال عروة فجعلت أحدّثه بحديث الحسين وما عرض عليه ابن زياد من النزول على حكمه فأبى ذلك وصبر للموت فضرب مصعب معرفةَ دابته بالسوط ثم قال

فان الألى بالطف من آل هاشم تآسّوا فسنّوا للكرام التأسيا

وان عبد الملك كتب الى رؤساء أصحاب مصعب يستميلهم اليه ويعرض عليهم الدخول فى طاعته ويبذل لهم على ذلك الاموال وكتب الى ابراهيم بن الاشتر فيمن كتب فأقبل ابراهيم بالكتاب مختوما فناوله مصعبا وقال أيها الامير هذا كتاب الفاسق عبد الملك بن مروان قال له مصعب فهلا قرأته قال ما كنت لأفضه ولا أقرأه الا بعد قراءتك له ففضه مصعب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى ابراهيم بن الاشتر أما بعد فانى أعلم أن تركك الدخول فى طاعتى ليس إلا عن مَعتبة فلك الفرات وما سقى فانحز إلىّ فيمن أطاعك من قومك والسلام . فقال مصعب فما يمنعك يا أبا النعمان قال لو جعل لى ما بين المشرق الى المغرب ما أعنت بنى أمية على ولد صَفية فقال مصعب جزيت خيرا أبا النعمان فقال ابراهيم لمصعب أيها الامير لستُ أشكّ أن عبد الملك قد كتب الى عظماء أصحابك بنحو مما كتب إليّ وانهم قد مالوا اليه فأذَنْ لي فى ضرب عنق من اتهم منهم قال مصعب إذن لا يناصحنا عشائرهم قال فأذن لي فى حبسهم الي فراغك فان ظفرتَ مننتَ بهم على عشائرهم وان تكن الأخرى كنت قد أخذت بالحزم قال مصعب إذن يحتجوا عليّ عند أمير المؤمنين فقال ابراهيم أيها

الامير لا أمير المؤمنين والله لك اليوم وما هو الا الموت فمت كريما فقال مصعب يا أبا النعمان انما هو أنا وأنت فنُقْدِم للموت قال ابراهيم إذاً والله أفعل قال ولما نزلوا بدير الجاثَليق باتوا ليلتهم فلما أصبحوا نظر ابراهيم بن الاشتر فاذا القوم الذين اتهمهم قد ساروا تلك الليلة فلحقوا بعبد الملك بن مروان فقال لمصعب كيف رأيت رأيي . ثم زحف بعضهم الى بعض فاقتتلوا فاعتزلت ربيعة وكانوا فى ميمنة مصعب وقالوا لمصعب لا نكون معك ولا عليك وثبت معْ مصعب أهل الحفاظ فقاتلوا وأمامهم ابراهيم بن الاشتر فقُتل ابراهيم فلما رأى مصعب ذلك استمات فترجّل وترجّل معه حماة أصحابه فقاتلوا حتى قتل عامّتهم وانكشف الباقون عن مصعب فحمل عليه عبد الله بن ظَبْيان فضربه من ورائه بالسيف ولا يشعر به مصعب فخر صريعا فنزل وأجهز عليه واحتزّ رأسه فأتى به عبد الملك فحزن عليه حزنا شديدا وقال متى تغذو قريش مثل مصعب وددتُ انه قبل الصلح وانى قاسمته مالى . قال ولما قتل مصعب بن الزبير استأمن من بقي من أصحابه الى عبد الملك فأمنهم فقال عبد الله بن قيس الرُقَيّات

لقد ورَدَ المصرينِ خزيٌ وذلةٌ ... قتيل بديرِ الجاثلقِ مُقيمُ
فما صبرت فى الحرب بكر بن وائل ... ولا ثبتت عند اللقاء تميمُ
ولكنه ضَاعَ الذِمارُ فلم يكن ... بها عربيٌّ عند ذاك كريمُ

وكان قتل مصعب يوم الخميس للنصف من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين .
فارتحل عبد الملك بالناس حتى دخل الكوفة فدعاهم الى البيعة فبايعوه ثم جهز

الجيوش الى تهامة لمحاربة عبد الله بن الزبير وولى الحرب قدامة بن مظعون وأمره بالمسير وانصرف عبد الملك الى الشام .

(مقتل عبد الله بن الزبير علي يدي الحجاج)

ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير وعزل قدامة بن مظعون فسار الحجاج حتى نزل الطائف وأقام شهرا ثم كتب الى عبد الملك انك ياأمير المؤمنين متى تدع ابن الزبير يُعمل فكره ويستجيش ويجمع أنصاره وتثوب اليه فُلاّله كان فى ذلك قوّة له فأذن فى معاجلته لي فأذن له فقال الحجاج لاصحابه تجهزوا للحج وكان ذلك فى أيام الموسم ثم سار من الطائف حتى دخل مكة ونصب المنجنيق على أبى قبيس فقال الاقيشر الاسدى

لم أر جيشا غُرَّ بالحج مثلنا ولم أرَ جيشاً مثلنا غير ماخرس
دلفنا لبيت الله نرمى ستوره بأحجارنا زفن الولائد فى العرس
دلفنا له يوم الثلاثاء من منى بجيش كصدر الفيل ليس بذى رأس
فألا ترحنا من ثقيف وملكها نصلّ لايام السباسب والنحس

فطلبه الحجاج فهرب وأناخ الحجاج بابن الزبير وتحصّن منه ابن الزبير فى المسجد واستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمى فجعل يرمى أهل المسجد ويقول

خطّارة مثل الفنيق الملبد نرمى بها عُوّاذ أهل المسجد

فلما اشتد على ابن الزبير وأصحابه الحصار خرجت بنو سهم من بابهم فقال ابن الزبير .

فرّت سلامان وفرّت النمر وقد تكون معهم فلا تحتفر

وجعل أهل الشام يدخلون عليه المسجد فيشد عليهم فيخرجهم من المسجد حتى رمى بحجر فأصاب جبهته فسقط لوجهه ثم تحامل فقام وهو يقول

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم قال لأصحابه اخرجوا الى من بالباب واحملوا ولا يلهينكم طلبي والسؤال عنى فانى فى الرعيل الاوّل فخرج وخرجوا معه فقاتل قتالا شديدا حتى قتل عامة من كان معه وحدقوا به من كل جانب فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه فأمر به الحجاج فصلب فمرّ به عبد الله بن عمر فقال رحمك الله أبا بكر أما والله لقد كنت صوّاما قوّاما غير انك رفعتَ الدنيا فوق قدرها وليست لذلك باهل وان أمة أنت شرها لامةُ صدق وكان مقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين . ولما قتل عبد الله ابن الزبير خرج أخوه عروة بن الزبير هاربا من الحجاج حتى أتى الشام فاستجار بعبد الملك بن مروان فأجاره وأظهر اكرامه وأقام عنده فكتب الحجاج الى عبد الملك ان أموال عبد الله بن الزبير عند أخيه عروة فرده الىّ لاستخرجها منه فقال عبد الملك لبعض أحراسه انطلق بعروة الى الحجاج فقال عروة يابنى مروان ماذلّ من قتلتموه بل ذل من ملكتموه فتذمم عبد الملك وخلى سبيل عروة وكتب الى الحجاج الُهُ عن عروة فلن اسلطك عليه وأقام الحجاج بمكة حتى أقام للناس الحج وأمر بالكعبة فنقضت وأعاد بناءها هو هذا البناء القائم اليوم . وفى ذلك العام توفى عبد الله بن عمر وله أربع

وسبعون سنة فدفن بذى طوى فى مقبرة المهاجرين وكان يكنى أباعبد الرحمن
وفيها مات أبو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك وفيها مات رافع بن خديج
وله ست وثمانون سنة وكان يكنى أبا عبد الله .

(ضرب النقود)

قالوا وأمر عبد الملك بضرب الدراهم سنة ست وسبعين ثم أمر بعد ذلك
بضرب الدنانير وهو أول من ضربها فى الاسلام وانما كانت الدراهم والدنانير
قبل ذلك مما ضربت العجم . وفى تلك السنة مات جابر بن عبد الله وله
سبع وتسعون سنة .

(فتنة ابن الاشعث)

ثم خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس على الحجاج وكان
سبب خروجه أنه دخل على الحجاج يوما فقال له الحجاج انك لمنظرانى قال
عبد الرحمن أى والله ومخبرانىّ وقام عبد الرحمن فخرج فقال الحجاج لمن كان
عنده ما نظرت الى هذا قط الا اشتهيت أن أضرب عنقه وكان عامر الشعبي
حاضرا وان عبد الرحمن لما خرج قعد بالباب حتى خرج الشعبي فقام عبد
الرحمن اليه فقال له هل ذكرنى الأمير بعد خروجي من عنده بشئ فقال
الشعبي اعطنى عهدا وثيقا ألاّ يسمعه منك أحد فأعطاه ذلك فأخبره بما كان
الحجاج قال فيه فقال عبد الرحمن والله لأجهدن فى قطع خيط رقبته . ثم ان
عبد الرحمن دبّ فى عباد أهل الكوفة وقرّائهم فقال أيها الناس ألا ترون
هذا الجبار يعنى الحجاج وما يصنع بالناس ألا تغضبون لله ألا ترون ان السنة

قد أُميتت والاحكام قد عطلت والمنكر قد علن والقتل قد فشا اغضبوا لله واخرجوا معى فما يحلّ لكم السكوت فلم يزل يدب فى الناس بهذا وشبهه حتى استجاب له القراء والعباد وواعدهم يوما يخرجون فيه فخرجوا على بكرة أبيهم واتبعهم الناس فساروا حتى نزلوا الاهواز ثم كتبوا الى الحجاج

خلع الملوك وسار تحت لوائه　　شجر العُرى وعُراعِرُ الاقوام

فأرسل الحجاج كتابه الى عبد الملك فكتب عبد الملك فى جوابه

وانى واياهم كمن نبه القطا　　ولولم ينبه باتت الطير لا تسرى

أخال صروف الدهر للحين منهم　　ستحملهم منى على مركب وعر

قالوا وأُهديت لعبد الملك فى ذلك اليوم جارية افريقية أهداها اليه موسى بن نصير عامله على أرض المغرب وكانت من أجمل نساء دهرها فباتت عنده تلك الليلة فلم ينل منها شيئا أكثر من أن غمز كفها وقال لها والله ان دونك أمنية المتمنى قالت فما يمنعك قال يمنعنى بيت مدحنا به وهو.

قومٌ اذا حاربوا شدوا مآزرهم　　دون النساء ولو باتت بأطهار

فزعموا انه مكث سبعة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه قتل عبد الرحمن بن محمد ثم ان الحجاج بعث أيوب بن القِرِّيَّة الى عبد الرحمن بن محمد وقال انطلق فادعه الى الطاعة وله الأمان على ماسلف من ذنبه فانطلق اليه ابن القرّية فدعاه فأبلغ فى الدعاء فقال له عبد الرحمن ويحك ياابن القرّية أيحلّ لك طاعته مع ارتكابه العظائم واستحلاله المحارم اتّقِ الله ياابن القرّية ووال عباد الله فى

البرية ولم يزل عبد الرحمن بابن القرّية يخدعه حتى ترك ما أرسل فيه وأقام مع عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن انى أريد أن أكتب الى الحجاج كتابا مسجعا أعرّفه فيه سوء فعاله وأبصّره قبح سريرته فأمله علىّ فقال أيوب ان الحجاج يعرف ألفاظى قال وما عليك انى لأرجو أن نقتله عن قريب فأملى عليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله . الذين يحكمون بما أنزل الله . ولا يسفكون دما حراما . ولا يعطلون لله أحكاما . فانى أحمد الله الذى بعثنى لمنازلتك. وقوّانى على محاربتك . حين تهتكت ستورك . وتحيرت أمورك . فأصبحتَ حيران تائها لهفان . لا تعرف حقا . ولا تلائم صدقا . ولا ترتق فتقا . ولا تفتق رتقا. وطال ما تطاولتَ . فيما تناولتَ . فصرتَ فى الغىّ مذبذبا . وعلى الشرارة مركبا . فتدبر أمرك . وقس شبرك بفترك . فانك مرّاق عرّاق ومعك عصابة فساق . جعلوك مثالهم . كحذوهم نعالهم . فاستعدّ الابطال . بالسيوف والعوال . فستذوق وبال أمرك . ويرجع عليك غيك . والسلام فلما قرأ الحجاج الكتاب عرف ألفاظ ابن القرية وعلم أنه من املائه فكتب الى عبد الرحمن فى جوابه بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على أهل التورّع لا التبدّع فانى أحمد الله الذى حيرك بعد البصيرة فمرقت عن الطاعة . وخرجت عن الجماعة فسكرت فى الكفر . وذهلت عن الشكر . فلا تحمد الله فى سراء . ولا تصبر لامره فى ضراء . قد أتانى كتابك بلفظات فاجر . فاسق غادر . وسيمكن الله

منه ويهتك ستوره أما بعد فهلم الى فعل وفعال . ومعانقة الابطال . بالبيض والعوال. فان ذلك أحرى بك من قيل وقال . والسلام على من اتبع الهدى وخشي الله واتقى . وان عبد الملك وجه الى الحجاج عشرة آلاف رجل من فرسان أهل الشام لمحاربة عبد الرحمن بن محمد فلما قدموا عليه تجهز وسار نحو عبد الرحمن فالتقوا بالاهواز فاقتتلوا فانهزم عبد الرحمن ومضى على وجهه فمرّ على رجل من أصحابه مسلوب حاف يمشي ويعثر فأنشأ عبد الرحمن يقول

مُنخرقُ الخفين يشكو الوَجى تُنكبُهُ أطرافُ مَرْوٍ حدادِ
أخرجه الخِذْلانُ عن أرضه كذاك من يكرَه حَرَّ الجلادِ
قد كان فى الموت له راحة فالموتُ حتمٌ فى رقاب العباد

فقال الرَّجل فهلاّ ثبتّ فنقاتل معك قال له عبد الرحمن أو بمثلك تُسدّ الثغور ومضى عبد الرحمن حتى استجار بملك الاتراك فأقام عنده فكتب عبد الملك الى ملك الأتراك يخبره بشقاق عبد الرحمن وخلعه الطاعة وخروجه عليه ويسأله أن يردّه عليه فقال ملك الاتراك لطراخنته ان ابن الأشعث هذا رجل مخالف للملوك فلا ينبغى لى أن أُوويَه بل أبعث به الى ملكه فيتولى من أمره ما أحبّ فوجّه به مع مائة رجل من ثقاته فانزلوه فى طريقه قصرا فى قرية فرقى الى ظهر القصر ورمى بنفسه من السور فمات . وان أيوب بن القرّية أُسر فيمن أُسر من أصحاب عبد الرحمن فأُدخل به على الحجاج فلما أُدخل عليه قال له ياعدوّ الله بعثتُك رسولا الى عبدالرحمن فتركت ما بعثتَ له وصرتَ وزيرا ومشيرا تُصدر له الكتب وتسجع له الكلام وتدبّر له

الامور فقال ابن القرّية أصلح الله الامير كان شيطانا فى مَسك انسان استمالنى بسحره وخلبنى بلفظه فكان اللسان ينطق بغير ما فى القلب قال الحجاج كذبت ياابن اللخناء بل كان قلبك منافقا ولسانك مُداجيا فكتمتَ أمرا أظهره الله وأطعتَ فاسقا خذله الله فما بقى من نعتك قال ابن القرّية ذهنى جديد وجوابى عتيد قال كيف علمك بالارض قال ليسألنى الامير عما أحب قال أخبرنى عن الهند قال بحرها دُرٌّ وجبلها ياقوت وشجرها عطر قال فأخبرنى عن مُكران قال ماؤها وشل وتمرها دَقل وسهلها جبل ولصّها بطل ان كثر الجيش بها جاعوا وان قلّوا ضاعوا قال فخراسان قال ماؤها جامد وعدوّها جاهد بأسهم شديد وشرّهم عتيد وخيرهم بعيد قال فاليمن قال أرض العرب ومعدن الذهب قال فعمان قال حرّها شديد وصيدها موجود وأهلها عبيد قال فالبحران قال كناسة بين مصرين وجنّة بين بحرين قال فمكة قال قوم ذوو جفاء ومن سجيتهم الوفاء قال فالمدينة قال ذوو لطف وبرّ وخير وشرّ قال فالبصرة قال حرّها فادح وماؤها مالح وفيضها سائح قال فالكوفة قال جنة بين حَماة وكنّة العراقُ تحشد لها والشام يُدرّ عليها سفُلت عن برد الشام وارتفعت عن حرّ الحجاز قال فالشام قال تلك عروس بين نسوة جلوس تجلب اليها الاموال وفيها الضراغمة الابطال قال له الحجاج ثكلتك أمك أنت المصدر الكتبَ لابن الاشعث ألم تعلم أنى لا أُصاحَب على الشقاق ولا أُجامَع على النفاق قال ابن القرّية استبقنى أيها الامير قال لماذا قال لنَبْوة بعد هفوة قال الحجاج لا بل لغدْرة بعد نكثة ياغلام ناوِلْنى الحربة فتناولها وقد

أمسك ابن القرّية أربعة رجال فلايستطيع تحريكا وهزّ الحجاج الحربة ثلاثا فقال ابن القرّية اسمع منى ثلاث كلمات تكن بعدى مثلا قال هات قال لكل جواد كبوة. ولكل حليم هفوة . ولكل شجاع نبوة. فوضع الحجاج الحربة فى ثندُوة ابن القرّية ودفعها حتى خالطت جوفه ثم خضخضها وأخرجها فاتبعها دم أسود فقال الحجاج هكذا تشخب أوداج الابل وفحص ابن القرّية برجليه وشخص ببصره وجعل الحجاج ينظر اليه حتى قضى نَحْبَه فى النِطَع فقال الحجاج لله درّك ياابن القرّية أى أدب فقدنا منك وأى كلام رصين سمعنا منك . ودخل بعد ذلك أنس بن مالك فقال له الحجاج هيهِ ياأنس يوما مع المختار ويوما مع ابن الاشعث جوّال فى الفتن والله لقد هممتُ ان أطحنك طحنَ الرحا بالثفال وأجعلك غرضاً للنبال قال أنس مَن يعنى الأمير أصلحه الله قال ايّاك أعنى أسكّ الله سمعك فانصرف أنس الى منزله وكتب من ساعته الى عبد الملك بن مروان بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك أما بعد فان الحجاج قال لى نكرا وأسمعنى هجرا ولم أكن لذلك منه أهلا فخذْ على يديه واعدِنى عليه والسلام . فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضبا ثم كتب اليه هيه ياابن يوسف أردتَ أن تعلم رأى أمير المؤمنين فى أنس فان سوّغك مضيتَ قُدما وان لم يسوّغك رجعتَ القهقرى ياابن المستفرمة بعَجم الزبيب أنسيتَ مكاسب آبائك بالطائف فى حفر الآبار وسدّ السكور وحمل الصخور على الظهور أبلغ من جرأتك على أمير المؤمنين أن تُعنّت بأنس بن مالك خادم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ستّ سنين يطلعه على سره ويفشي اليه الاخبار التى كانت تأتيه عن ربه فاذا أتاك كتابى هذا فامش اليه على قدميك حتى تأخذ كتابه الىّ بالرضا والسلام . فلما وصل كتاب عبد الملك الى الحجاج قال لمن حوله من أصحابه قوموا بنا الى أبى حمزة فقام ماشيا ومضى معه أصحابه حتى أتى أنسا فأقرأه كتاب عبد الملك اليه فى أمره فقال أنس جزى الله أمير المؤمنين خيرًا كذلك كان رجائى فيه قال له الحجاج فان لك العُتبى وانا صائر الى مسرّتك فا كتب الى أمير المؤمنين بالرضا فكتب اليه أنس بالرضا عنه ودفعه الى الحجاج فأنفذه الحجاج على البريد الى عبد الملك قالوا ولما حضرت عبد الملك الوفاة وذلك فى سنة ست وثمانين أخذ البيعة لابنه الوليد وكان ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام ومسلمة ومحمد ثم قال للوليد ياوليد لاأُلفينّك اذا وضعتَنى فى حفرتى ان تعصر عينيك كالامة الوَرهاء بل ايتزرْ وشمر والبس جلد النمر وادع الناس الى البيعة ثانيا فمن قال برأسه كذا فقل بالسيف كذا وُعك وعكا شديدا فلما أصبح جاء الوليد فقام بباب المجلس وهو غاص بالنساء فقال كيف أصبح أمير المؤمنين قيل له يُرجى له العافية وسمع عبد الملك ذلك فقال

وكم سائلٍ عنّا يريد لنا الرَدَى ... وكم سائلاتٍ والدموعُ ذوارف

ثم أمر بالنساء فخرجن وأذن لبنى أُمية فدخلوا عليه وفيهم خالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فقال لهما يابنى يزيد أتحبان ان أُقيلكما بيعة الوليد قالا معاذ الله ياأمير المؤمنين قال لو قلتما غير ذلك لامرت بقتلكما على حالتى هذه ثم خرجوا عنه واشتد وجعه فتمثل ببيت امية بن أبى الصلت

ليتنى كنتُ قبل ما قد بدالى　　فى قلال الجبال أرعى الوُعولا

فلم يمس يومه ذلك حتى قضى وكان سلطانه احدى وعشرين سنة وستة أشهر وكان له يوم مات ثمان وخمسون سنة من ذلك سبع سنين كان فيهـا محاربا لعبد الله بن الزبير ثم صفا له الملك بعد قتله ابنَ الزبير ثلاث عشرة سنة ونصفا

(خلافة الوليد بن عبد الملك)

ولما انصرف الوليد من قبل أبيه قصد المسجد الاعظم واجتمع اليه الناس فبايعوه وعقد لعمر بن عبد العزيز بن مروان على الحرمين فنزل المدينة فدعا بعشرة نفر من أفاضل أهلهـا منهم عروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة وأبو بكر بن عبـد الرحمن بن الحرث بن هشام وأبو بكر بنْ سليمان بن أبى حَثْمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فاجتمعوا فدخلوا عليه فقال اعلموا أنى لست أقطع أمرا إلا برأيكم ومشورتكم فأشيروا علىّ قالوا نفعل أيها الامير جزيتَ على ما تنوى خيرَ ما جُزى مؤثر لمرضاة ربه ثم خرجوا

(بناء الحرم المدنى)

ثم كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز أن يشـترى الدور التى حول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزيدها فى المسجد ويجدّد بناء المسجد وكتب الى ملك الروم يُعلمه ما همّ به من ذلك ويسأله أن يبعث اليه ما استطاع من الفُسَيْفِساء فوجّه اليه منها أربعين وسقا فبعث به الى عمر بن عبد العزيز فهدم عمر المسجد وزاد فيه وبناه وزينه بالفسيفساء

(عبور نهر بلخ وفتح بخارى وسمرقند)

وكان على خراسان من قبل الحجاج قُتيبة بن مسلم الباهلى فكتب اليه الحجاج يأمره بعبور النهر نهر بلخ وأن يفتتح تلك البلاد فاستعد قتيبة وسار فى المفازة التى بين مدينة مرو وبين مدينـة آمُوية وهى ذات رمال وغضا فصار الى آموية ثم عبر النهر وسار الى بخـارى وكان ملك تلك الارضـين يسمى صُول وكان ملكه على جميع ماوراء النهر فلقيه الملك فحار به قتيبة فهزمه وهرب صول نحو الصغانيان فاحتوى قتيبة على بخارى وحيزها فولى عليها رجلا وسار حتى وافى بلاد السغد فأناخ على مدينتها العظمى وهى سمرقند فحاصرها أشهرا فوجّه اليه دهقانها انك لو أقمت على مدينتى هذه عمرك لم تصل اليها لأ نانجد فى كتب آبائنا أنه لا يقدر عليها إلا رجل اسمه بالان لستَ إياه فامض لشأنك فزعموا أن قتيبة احتال لما يئس من مكابرتها فهيأ صناديق وجعل لها أبوابا من أسافلها تُغلق من داخل وتُفتح وجعل فى كل صندوق رجلا مستلئما معه سيفه وأقفل أبوابها العليا ثم أرسل الى الدهقان أما اذ كان هـذا هكذا فانى راحل عنك الى الصغانيان وناحيتها ومعى فضول أموال وسلاح فوادِعنى واحرز هذه الصـناديق عندك الى عودى ان سلمتُ فأجابه الى ذلك وتقـدم قتيبة الى الرجال أن يفتحوا أبواب الصناديق فى جوف الليل فيخرجوا ثم يصيروا الى باب المدينة فيفتحوه وأمر الدهقان بالصناديق فأدخلت المدينة فلما جنّ الليل وهدأ الناس خرج الرجال مستلئمين معهم السيوف لا يستقبلهم أحد إلا قتلوه حتى أتوا باب المدينة فقتلوا الحرس وفتحوا الباب ودخل قتيبة بالجيش ووقعت

الواعيةُ وهرب الدهقان فى سرب فلحق بالملك وصارت سمرقندفى قبضة قتيبة فخلّف عليها رجلا وسار حتى أتى الصغانيان فهرب الملك منه حتى صار فى بلاد الترك ووغل فيها وخلّى المملـكة لقتيبة فدخل قتيبة الصغانيان ووجّه عمّاله إلى كَشّ ونَسَف وافتتح جميع ما وراء النهر و جميع تُخارستان ولم يبق من خراسان شىء الا افتتحه ولم يزل قتيبة بخراسان سنين حتى شغب عليه أجناده فقتلوه فاستعمل الوليد بن عبد الملك عليها الجرّاح بن عبد الله الحـكمى وحجّ الوليد بن عبد الملك فى سنة احدى وتسعين وقد فرغ عمر بن عبد العزيز من بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فدخله وطاف به ونظر الى بنـائه ولم يكن بقى فى زمن الوليد من الصحابة الا نفر يسير منهم بالمدينة سهل بن سعد الساعدى وكان يُكنى أبا العبـاس توُفي فى آخر خلافة الوليد وكان يوم مات ابن مائة سنة ومنهم جابر بن عبد الله وبالبصرة أنس بن مالك وبالـكوفة عبد الله بن أبى أوْفى وبالشام أبو أمامة الباهلى . وفى السنة الخامسة من خلافة الوليد مات الحجاج بواسط وله أربع وخمسون سنة وكانت امرتُه على العراق عشرين سنة منها فى خلافة عبد الملك خمس عشرة سنة وفى خلافة الوليد خمس سنين وقد كان قتل سعيد بن جبير قبل موته بأربعين يوما . قالوا وكان يقول فى طول مرضه اذا هَجَر مالى ولك يا ابن جبير وقُتل ابن جبير وهو ابن تسع وأربعين سنة وكان يكنى أبا عبد الله وكان ولاؤه لبنى أمية

(خلافة سليمان بن عبد الملك)

ولما تمّ للوليد بن عبد الملك تسع سنين وستة أشهر حضرته الوفاة فأسند

الملك الى أخيه سليمان بن عبد الملك فبويع سليمان فى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسليمان يومئذ من أبناء سبع وثلاثين سنة فملك سليمان سنتين وثمانية أشهر ثم مرض مرضته التى مات فيها فلما ثقل كتب كتابا وختمه ولم يدر أحد ما كتب فيه ثم قال لصاحب شرطه اجمع اليك اخوتى وعمومتى وجميع أهل بيتى وعظماء أجناد الشام واحملهم على البيعة لمن سميتُ فى هذا الكتاب فمن أبى منهم أن يبايع فاضرب عنقه ففعل فلما اجتمعوا فى المسجد أمرهم بما أمر به سليمان فقالوا اخبرنا من هو لنبايعه على بصيرة فقال والله ما أدرى من هو وقد أمرنى أن أضرب عنق من أبى قال رجاء بن حيوة فدخلت على سليمان فأكببت عليه وقلت يا أمير المؤمنين مَن صاحب الكتاب الذى أمرتنا بمبايعته فقال ان أخوىَّ يزيد وهشاما لم يبلغا أن يؤتمنا على الأمة فجعلتها للرجل الصالح عمر بن عبد العزيز فاذا توفى عمر رجع الامر اليهما فخرج رجاء بن حيوة فأخبر يزيد وهشاما بذلك فرضيا وسلما وبايعا . ثم بايع بعدهما جميع الناس وكان أكبر ولده يومئذ محمد بن سليمان كانت له اثنتا عشرة سنة فجعل يقول وهو يجود بنفسه

إنَّ بَنِىَّ صِبيةٌ صَيفيُّونْ أفلَحَ من كان له رِبعِيُّون

وذُكر عن الكلبي أنه قال بعث إلىَّ سليمان بن عبد الملك فدخلت عليه وقد انتفخ سَحْرى فسلمتُ عليه بالخلافة فردَّ علىَّ السلام ثم أومأ إلىَّ فجلست فسكت عنى حتى اذا سكن جاشى قال لى يا كلبي ان ابنى محمدا قرَّة عينى وثمرة قلبى وقد رجوت أن يبلغ الله به أفضل ما بلّغ رجلا من أهل بيته

وقد وليتك تأديبه فعلمه القرآن وروّه الاشعار فان الشعر ديوان العرب وفهّمه أيام الناس وخذه بعلم الفرائض وفهمه السنن ولاتفتر عنه ليلا ولا نهارا فاذا أخطأ بكلمة أو زل بحرف أو هفا بقول فلا تؤنبه بين يدى جلسائه ولكن اذا خلا لك مجلسه لئلا تمحكه واذا دخل عليه الناس للتسليم فخذه بالطافهم واظهار برهم واذا حيوه بتحية فليحيهم بأحسن منهاوأطيبا لمن حضر بمائدتكما الطعام وأحمله على طلاقة الوجه وحسن البشر وكظم الغيظ وقلةالقذر والتثبت فى المنطق والوفاء بالعهد وتنكب الكذب ولا يركبن فرسا محذوفا ولامهلوبا ولا يركبن بسرج صغير فتبدو اليتاه منه قال فلم يلبث سليمان بعد ذلك الا قليلا حتى مات

(خلافة عمر بن عبد العزيز)

وأسند الأمر الى عمر بن عبد العزيز . قالوا فلما استخلف قعد للناس على الارض فقيل له لو أمرت ببساط يبسط لك فتجلس ويجلس الناس عليه كان ذلك أهيب لك فى قلوب الناس فتمثل

قضى ماقضى فيما مضى ثم لاترى ... له صبوة احدى الليالى الغوابر
ولولاالتقي من خشية الموت والردى ... لعاصيت فى حب الصبا كل زاجر

وكان اذا جلس للناس قال بسم الله وبالله وصلى الله على رسول الله (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ماأغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ثم تمثل بهذه الابيات

نسر بما يبلى ونشغل بالمنى ... كما سر بالاحلام فى النوم حالم

نهارك يامغرور سهوٌ وغفلةٌ ... وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه ... كذلك فى الدنيا يعيش البهائم

ثم نصب نفسه لرد المظالم وبدأ ببنى أمية وأخذ ما كان فى أيديهم من الغصوب فردها على أهلها فدخل عليه أناس من خاصته فقالوا ياأمير المؤمنين ألا تخاف غوائل قومك فقال أبيوم سوى يوم القيامة تخوفوننى فكل خوف أتقيه قبل يوم القيامة لاوقيته . فلما تم لخلافته سنتان وخمسة أشهر مات

(خلافة يزيد بن عبد الملك)

وأفضى الامر الى يزيد بن عبد الملك فى أول سنة مائة واحدى فولى المصرين أخاه مسلمة بن عبد الملك وكان مسلمة ذا عقل كامل وأدب فاضل فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبى العاص بن أمية .

(بدء الدعوة العباسية)

قالوا وفى ذلك العام توفدت الشيعة على الامام محمد بن على بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان مستقره بأرض الشام بمكان يسمى الحميمة وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدى وأبو عكرمة السراج ومحمد بن خنيس وحيان العطار فقدم هؤلاء عليه فأرادوه على البيعة وقالوا له ابسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان لعل الله أن يحيى بك العدل ويميت بك الجور فان هذا وقت ذلك وأوانه الذى وجدناه مأثورا عن علمائكم فقال لهم محمد بن علىّ هذا أوان مانؤمل ونرجو من ذلك لانقضاء

مائة سنة من التاريخ فانه لم تنقض مائة سـنة على أمة قط الا أظهر الله حق المحقـين وأبطل باطل المبطلين لقول الله جـل اسمه (أو كالذى مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِها قالَ أنى يُحْيِي هَذِه ٱللّهُ بعـد موتها فأماته الله مائة عامٍ ثمَّ بعثـه) فانطلقوا أيها النفر فادعوا الناس فى رفق وسـتر فانى أرجو أن يتم الله أمركم ويظهر دعوتـكم ولا قوّة الا بالله . ثم وجّه ميسرة العبدىّ ومحمد بن خُنيس الى أرض العراق ووجه أبا عكرمة وحيّان العطار ألى خراسان وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبى العاص فجعلا يسيران فى أرض خراسان من كورةالى أخرى فيدعوان الناس الى بيعة محمد بن على ويُزهدانهم فى سلطان بنى أمية لخبث سيرتهم وعظيم جورهم فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير وفشا بعض أمرهم وعلن فبلغ امرهما سعيدا فأرسل اليهم فأُتي بهم فقال من أنتم قالوا نحن قوم تجار قال فما هـذا الذى يذكر عنـكم قالوا وما هو قال أخبرنا انـكم جئتم دعاة لبنى العباس قالوا أيها الأمير لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هـذا فأطلقهم فخرجا من عنده وارتحلا من مرو فجعلا يدوران كور خراسان ورساتيقها فى عداد التجار فيدعوان الناس الى الامام محمد بن علىّ فمكثا بذلك عامين ثم قدما على الامام محمد بن على بأرض الشام فأخبراه أنهما قد غرسا بخراسان غرسا يرجوان أن يثمر فى أوانه والفياه قـد ولد له أبو العباس ابنـه فأمر باخراجه اليهم قال هذا صاحبكم فقبلوا أطرافه كلّها وكان مع الجنيد بن عبد الرحمن عامل السند رجـل من الشيعة يسمى بُكير بن ماهان فانصرف الى

موطنه من الكوفة وقد أصاب بأرض السند مالا كثيرا فلقيه ميسرة العبدى وابن خنيس وأخبره بأمرهما وسألاه أن يدخل فى الأمر معهما فأجابهما اليه وقام معهما وأنفق جميع ما استفاد بأرض السند من الاموال بذلك السبب ومات ميسرة بأرض العراق وكتب الامام محمد بن علىّ الى بكير بن ماهان أن يقوم مقام ميسرة وكان بكير يكنى بأبى هاشم وبها كان يعرف فى الناس وكان رجلا مفوها فقام بالدعاء وتولى الدعوة بالعراقين وكان كتب الامام تأتيه فيغسلها بالماء ويعجن بغسالتها الدقيقَ ويأمر فيختبز منه قرص فلا يبقى احد من أهله وولده الا أطعمه منه ثم انه مرض مرضه الذى مات فيه فأوصى الى أبى سلمة الخلاّل وكان أيضا من كبار الشيعة وكتب الى الامام يعلمه ذلك فكتب محمد بن علىّ الى أبى سلمة فولاه الأمر وأمره بالقيام بما كان يقوم به أبو هاشم ثم كتب الى أبى عكرمة وحيّان وكانا صاحبى الامر بخراسان يأمرهما أن يكاتبا أباسلمة وينتهيا الى أمره ورأيه وكان يقطين والوليد بن الأزرق صديقين لابى سلمة فدعاهما الى الدخول معه فى أمره فأجاباه ودخلا معه وكانفاه ثم ان يزيد بن عبد الملك عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان واستعمل مكانه خالد بن عبدالله القسرىّ واستعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله على خراسان فانتهى خبر أبى عكرمة وحيان الى أسد بن عبد الله فأمر بطلبهما فأُخذا وأُتى بهما فضربت أعناقهما وصلبا . وبلغ ذلك محمد بن علىّ فقال الحمد لله الذي صحح هذه العلامة وقد بقى من شيعتى رجال سوف يفوزون بالشهادة فلما تمّ لملك يزيد بن عبد الملك أربع سنين وأشهر توفي بالبلقاء من

أرض دمشق وكانت وفاته سنة خمس ومائة وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة

(خلافة هشام بن عبد الملك)

ثم استُخلف هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع وثلاثين سنة فعزل أسد ابن عبد الله عن خراسان وولاها الجُنيد بن عبد الرحمن وكان رجلا من اليمانية ذا فضل وسخاء وهو الذى يقول فيه الشاعر

ذهب الجودُ والجنيـدُ جميعاً فعلى الجودِ والجنيـدِ السلامُ

ولما قُتل أبو عكرمة وحيّان وجّه الإمام محمد بن علىّ الى خراسان خمسة نفر من شيعته سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب وخالد بن الهيثم وطلحة بن زُرَيق وأمرهم بكتمان أمرهم وأن لا يُفشوه الى أحد إلا بعد أن يأخـذوا عليه العهود المؤكدة بالكتمان فساروا حتى أتوا خراسان فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون النـاس سرا الى أهل بيت نبيهم ويُبغّضون اليهم بنى أمية لما يظهر من جورهم واعتدائهم وركوبهم القبائح حتى استجاب لهم بشر كثير فى جميع كور خراسان وبلغ الجنيد أمرهم فأمر بطلبهم وأُخذوا وأُتى بهم الجنيد فقال يا فسقة قدمتم هذه البلاد فأفسدتم قلوب الناس على بنى أمية ودعوتم الى بنى العباس فتكلم سليمان بن كثير وقال أيها الامير أتأذن لى فى الـكلام قال تكلم قال إنّا وإيك كما قال الشاعر

لو بغير الماء حلقى شَرِقٌ لاستغثتُ اليومَ بالماء القَراح

نعلمك أيهـا الامير أنا أناس من قومك اليمانية وان هؤلاء المضرية تعصّبوا علينا فرَقّوا اليك فينا الزور والبهتان لأنا كنا أشد الناس على قتيبة فهم الآن

يطلبون بثأره بكل علة فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه ماترون فتكلم عبد الرحمن بن نُعيم رئيس ربيعة وكان من خاصته نرى أن تمن بهم على قومك فلعل الامر كما يقولون فأمر بإطلاقهم فخرجوا وكتبوا بقصتهم الى الامام فكتب اليهم إن هذا أول ما لكم فاكتموا أمركم وترفقوا فى دعوتكم فساروا من مدينة مرو الى بخارى ومن بخارى الى سمرقند ومن سمرقند الى كشّ ونَسَف ثم عطفوا على الصغانيان وجازوا منها الى خُتّلان وانصرفوا الى مَرْو رُوذ والطالقان وعطفوا الى هَراة وبوشَنْج وجازوا الى سِجستان فغرسوا فى هذه البلدان غرسا كثيرا وفشا أمرهم فى جميع أقطار خراسان وبلغ ذلك الجنيد فأسف على تركهم ووجّه فى طلبهم فلم يقدر عليهم فكتب الى خالد بن عبد الله القسرىّ وكان على العراق يُعلمه انتشار خراسان وما حدث فيهن من الدعاة الى محمد بن علىّ فكتب خالد بن عبد الله الى هشام يعلمه بذلك فكتب اليه هشام يأمره بالكتاب الى الجنيد ألا يرغب فى الدماء وأن يكفّ عمن كفّ عنه ويُسكّن الناس بجُهده وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يجدهم فينفيهم فلما انتهى ذلك الى الجنيد بعث رسله فى أقطار خراسان وكتب الى عماله فى الكور بطلب القوم فطُلبوا فلم يُدرك لهم أثر

(بدء أمر أبى مسلم الخراسانى)

قالوا وكان بدء أمر أبى مسلم انه كان مملوكا لعيسى ومعقل ابنىْ ادريس ابن عيسى العجليين وكان مسكنهما بماه البصرة مما يلى أصبهان وكان أبومسلم وُلد عندهما فنشأ غلاما فهما لقنا أديبا ذهنا فأحبّاه حتى نزل منهما منزلة الولد وكانا

يتوليـان بنى هاشم ويكاتبان الامام محمد بن علىّ فمكثا بذلك ما شاء الله .
ثم ان هشاما عزل خالد بن عبد الله القسرىّ عن العراق وولى مكانه يوسف
ابن عمر الثقفى فكان يوسف بن عمر لا يدع أحدا يعرف بموالاة بني هاشم
ومودة أهل بيت رسول الله الا بعث اليه فحبسه عنده بواسط فبلغه أمر عيسى
ومعقِل ابنى ادريس فأشخصهما وحبسهما بواسط فيمن حُبس من الشيعة وكانا
أخرجا معهما أبا مسلم فكان يخدمهما فى الحبس وان سليمان بن كثير ومالك
إبن الهيثم ولاهز بن قُرط وهم كانوا الدعاة بخراسان قدموا للحج وقدم معهم
قَحطبة بن شَبيب وكان ممن بايعهم وشايعهم على أمرهم فجعلوا طريقهم على
مدينة واسط ودخلوا الحبس فلقوا من كان فيه من الشيعة فرأوا أبا مسلم فأعجبهم
ما رأوا من هيئته وفهمه واستبصاره فى حب بنى هاشم ونزل هؤلاء النفر بعض
الفنادق بواسط فكان أبو مسلم يختلف اليهم طول مقامهم حتى أنس بهم
وأنسوا به فسألوه عن أمره فقال ان أمى كانت أمــة لعمير بن بُطين العجلى
فوقع عليها فحملت بى فباعها وهى حامل فاشتراها عيسى ومعقل ابنا ادريس
فولدتْ عندهما فأنا كهيئة المملوك لهما ثم ان النفر شخصوا من واسط وأخذوا
نحو مكة على طريق البصرة فوصلوا الى مكة وقد وافاها الامام محمد بن علىّ
حاجا فلقوه وسلموا عليه وأخبروه بما غرسوا به فى جميع خراسان من الغرس ثم
أخبروه بممرّهم بواسط ودخولهم على اخوانهم المحبسين بها ووصفوا له صفة
أبى مسلم وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه وحسن بصره وجودة ذهنه وحسن
منطقه فسألهم أحرٌّ هو أم مملوك فقالوا أما هو فيزعم أنه ابن عمير بن بطين

العجلى كانت قصته كيتَ وكيت ثم فسروا له ما حكى لهم من أمره فقال
ان الولد تبعٌ للأم فاذا انصرفتم فاجعلوا ممركم بواسط فاشتروه وابعثوا به الى
الحُمَيْمة من أرض الشام لاجعله الرسول فيما بيني و بينكم على انى أحسبكم
لا تلقونى بعد عامى هذا فان حدث بى حدثٌ فصاحبكم ابنى هذا يعنى
ابراهيم فاستوصوا به خيرا فانى سأوصيه بكم خيرا فانصرف القوم نحو خراسان
ومروا بواسط ولقوا عيسى ومعقل ابنى ادريس فأخبروهما بحاجة الامام الى
أبى مسلم وسألوهما بيعه منهم فزعموا انهما وهباه له فوجّه به القوم الى الامام
فلما رآه تفرّس فيه الخير ورجا أن يكون هو القيم بالأمر لعلامات رآها فيه
قد كانت بلغته فجعله الرسول فيما بينه و بينهم فاختلف اليهم مرارا كثيرة ثم
توفى الامام محمد بن علىّ فقام بالامر بعده ابنه ابراهيم بن محمد وكان أكبر
ولده فأمر أبا مسلم أن يسير الى الدعاة بالعراق وخراسان فيعلمهم وفاة الامام
وقيامه بالامر من بعده فسار حتى وافى العراق ولقى أبا سلمة ومن كان معه
من الشيعة فأخبرهم بما أمره به ثم سار الى خراسان ولقى الدعاة بها فأخبرهم
بذلك و بلغ وفاة الامام جميع من بايع فى أقطار خراسان فسوّدوا ثيابهم حزنا
لمصابه وتسلّبا عليه وكان أول من سوّد منهم ثيابه حَرِيش مولى خزاعة وكان عظيم
أهل نَسا ثم سوّدها من بعده قحطبة بن شَبيب ثم سوّد القوم جميعا وكثرت الشيعة
بخراسان كلها وعلن أمرهم وكتب يوسف بن عمر وكان على العراقين الى هشام
يخبره بذلك فكتب هشام الى يوسف يأمره أن يبعث اليه رجلا له علم بخراسان
ومعرفة بمن فيها من قوّادها وجنودها وقد كان يوسف بن عمر عزل عنها الجنيد بن

عبد الرحمن واستعمل عليها جعفر بن حَنظلة البهرانيّ فكتب جعفر الى
يوسف بن عمر مع عبد الكريم بن سَليط بن عطيّة الحنفيّ يخبره بتفاقم أمر
المسوّدة بخراسان وكثرة من أجاب الدعاة بها فلما أتاه كتاب هشام يأمره أن
يوجه اليه رجلا له علم بخراسان حمل عبد الكريم بن سليط اليه على البريد
قال عبد الكريم فسرتُ حتى وافيت دمشق فدخلت على هشام فسلمت
عليه بالخلافة فقال لى من أنت قلت أنا عبد الكريم بن سليط بن عطية
الحنفيّ قال كيف علمك بخراسان وأهلها قلت انا بها جدُّ عالمٍ ثم أخبرته ان
وجهى كان منها بكتاب أميرها جعفر بن حنظلة البهرانيّ الى يوسف بن عمر
يخبره بما حدث فيها قال انى أريد أن أولىّ أمرها رجلا من القوّاد الذين هم
مرتبون بها فمن تُرَى ان أولّى أمرها منهم وأيُّهم أقوَم بها قال عبد الكريم
وكان هواى فى اليمانية فقلت ياأمير المؤمنين أين أنت عن رجل من قوّادها
ذى حزم وبأس ومكيدة وقوّة ومكانفة من قومه قال ومن هو قلت جدَيع
ابن علىّ الازدىّ المعروف بالكرمانىّ قال وكيف سُمى الكرمانىّ قلت وُلد
بكرمان كان أبوه مع المهلب عند محاربته الازارقة فولد هذا هناك قال لاحاجة
لى فى اليمانية وكان هشام يبغض اليمانية وكذلك سائر بنى أمية قلت ياأمير المؤمنين
فأين أنت من المجرّب البطل النافذ اللسن قال ومن هو قلت يحيى بن نُعيم
المعروف بأبى الميَلاء وهو ابن أخى مَصقلة بن هُبيرة قال لاحاجة لى فيه لان
ربيعة لا تُسدّ بها الثغور قلت ياأمير المؤمنين فعليك بالماجد اللبيب الاريب
الكامل الحسيب عَقيل بن مَعقل الليثىّ قال فكأنه هَويه فقلت ان

اغتفرتَ منـه هَنةً فيه قال وما هى قلت ليس بعفيف إلبطن والفرج قال لا حاجة لى فيه قلت فالكامل النافذ الفارس المجرَّب مُحسّن بن مزاحم السلمى قال فكأنّه هويه للمضريّة قلت ان اغتفرت هنةً فيه قال وماهى قلت أكذب ذى لهجَة قال لا حاجة لى فيه قلت فذو الطاعة لكم المتمسك بعهدكم المقتدى بقدوتكم يحيي بن الحضين بن المنذر بن الحرث بن وَعلة قال ألم أخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قلت فالكامل النافذ الشجاع البطل قَطن بن قتيبة ابن مسلم قال فمال اليه أيضا بالمضرّيَة قلت ان اغتفرت منـه هنة قال وما هى قلت لا آمنه ان أفضى اليه السلطان أن يطلب جنود خراسان بدم أبيه قتيبة فانهم جميعا تظافروا عليه قال لا حاجة لى فيه قلت فأين أنت من العفيف المجرَّب الباسل المحنك نصر بن سيّار الليثى قال فكانّه تفاءل به ومال اليه بالمضريّة قلت ان اغتفرت منه خصلة قال وما هى قلت ليست له بخراسان عشيرة من جنودها وانما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها قال فأىّ عشيرة أكثر منى لا أبا لك يا غلام انطلق الى الكتاب فمرهم بانشاء عهده وآتونى به فكتب له عهده وأُتى به فناولنيه وقال انطلق حتى توصله اليه ثم أمر أن أحمل على البريد فسرت حتى وافيت خراسان فأتيته فى منزله فناولتـه العهد فأمر لى بعشرة آلاف درهم ثم تناول العهد فانطلق الى جعفر بن حنظلة الأمير كان بها فدخل عليـه وهو جالس على سريره فناوله العهد فلما قرأه أخذ بيد نصر فرفعه حتى أجلسه معه على سريره وقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين فقال له نصر أبا خلف السلطان سلطانك فمر بأمرك

ودعا له جعفر بن حنظلة وسلّم الأمر اليه . وان سليمان بن كثير ولاهز بن
قرط ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب أرادوا الحج فخرجوا مع الحاج
متنكرين حتى أتوا مكة وقد وافاها فى ذلك العام ابراهيم بن محمد الامام
فأخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان وقد كانوا حملوا اليه ما بعثت به اليه
الشيعة فقالوا قد حملنا اليك مالا قال وكم هو قالوا عشرة آلاف دينار ومائتا
ألف درهم فقال سلموه الى مولاى عُروة فدفعوه اليه فقال لهم ابراهيم انى قد
رأيت أن اولىّ الامر هناك أبا مسلم لما جربت من عقله و بلوت من أمانته وأنا
موجهه معكم فاسمعوا له وأطيعوا أمره فانّ والدى رحمة الله عليه قد كان وصف
لنا صفته وقد رجوتُ أن يكون هو الذى يسوق لنا الملك فعاونوه وكانفوه
وانتهوا الى رأيه وأمره قالوا سمعا وطاعة لك أيها الامام فانصرفوا وأبو مسلم معهم
حتى صاروا الى خراسان فتشمر أبو مسلم للدعاء وأخذ القوم بالبيعة و وجه كل
رجلٍ من أصحابه الى ناحية من خراسان فكانوا يدرون بها كورة كورة
و بلدا بلدا فى زىّ التجار فاتبعه عالمٌ من الناس عظيم فواعدهم لظهوره يوما
سماه لهم و ولى على من بايعه فى كلّ كورة رجلا من أهلها وتقدّم اليهم بالاستعداد
للخروج فى ذلك اليوم الذى سماه لهم حتى أجاب جميع أرض خراسان
سهلها وجبلها وأقصاها وأدناها و بلغ فى ذلك مالم يبلغه أصحابه من قبله واستتب
له الامر على محبته وصار من أعظم الناس منزلا عند شيعته حتى كانوا يتحالفون
به فلا يحنثون ويذكرونه فلا يملون . وقد كان خالد بن عبد الله القسرى
ولى العراقين عشر سنين أربعا فى خلافة يزيد بن عبد الملك وستا فى خلافة

هشام فلما عزله هشام وولّىٰ مكانه يوسف بن عمر حاسبه يوسف فخرج عليه
عشرة آلاف ألف درهم قد كان وهبها للناس وبذّرها وكان من أسخى
العرب فحبسه يوسف بن عمر عنده بالعراق وكتب الى هشام بتقاعد خالد
بالمال الذى خرج عليه فكتب اليه هشام بالبسط عليه فدعا به يوسف بن
عمر وقال ماهذا التقاعد بمال السلطان ياابن الكاهن يعني شق بن صعب
المعروف بالكهانة وكان خالد بن عبد الله من ولده فقال له خالد بن عبد
الله أتعيرنى بشرفى ياابن الخمار وانما كان أبوك وجدك بالطائف أصحاب حانة
وبلغ هشاما ان خالدا بذّر ذلك المال فى الناس فكتب الى يوسف يأمره
باطلاقه والكف عنه فلم يزل خالد مقيما بالكوفة حتى خرج زيد بن علىّ
ابن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام بالكوفة وكان خروجه فى
صفر سنة ثمان عشرة ومائة فسار اليه يوسف بن عمر فالتقوا بالكُناسة فانهزم
أصحاب زيد وخذلوه فأخذه يوسف بن عمر فضرب عنقه وبعث برأسه الى
هشام وصلب جسده بالكناسة . وان خالدا كتب الى هشام يستأذنه فى
الخروج الى طَرَسوس غازيا متطوعا فأذن له هشام فى ذلك فسار حتى وافى
طرسوس فأقام بها مرابطا وان رجلا من أهل العراق كان يتلصص ويكنى أبا
المعرّس قدم من الكوفة نحو أرض الشام فى جماعة من لصوص الكوفة حتى
وافوا مدينة دمشق فكان اذا جنه الليل أشعل فى ناحية من السوق النار
فاذا تصايح الناس واشتغلوا باطفاء الحريق أقبل فى أصحابه الى ناحية أخرى
من السوق فكسر الاقفال وأخذ ماقدر عليه ثم هرب فدخل كلثوم بن

عِياض القسرىّ على هشام وكان معاديا لخالد بن عبد الله وهو ابن عمه فقال لهشام ياأمير المؤمنين ان هذا الحريق لم يكن بدمشق وقد حدث وما هو الا عمل محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ وغلمانه فأمر هشام بطلب محمد ابن خالد فأتوه به و بغلمان له فأمر بحبسه وحبس غلمانه و بلغ ذلك خالدا وهو بطرسوس فسار حتى وافى دمشق فنزل فى داره بها وغدا عليه الناس مسلمين حتى اذا اجتمعوا عنده قال أيها الناس خرجت غازيا باذن هشام وأمره فحبس ابنى وغلمانى أيها الناس مالى ولهشام والله ليكفنّ عنى هشام يسميه فى كل ذلك باسمه ولا يقول أمير المؤمنين أو لادعونّ الى عراقىّ الهوى شامىّ الدار حجازىّ الاصل ابراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس الا وانى قد أذنت لكم أن تبلغوا هشاما و بلغ هشاما ذلك فقال خَرِف أبو الهيثم وأنا حرىّ باحتماله لقديم حرمته وعظيم حقه فأقام خالد بن عبد الله بمدينة دمشق عاتبا لهشام مصارما له لايركب اليه ولا يعبأ به وهشام فى كل ذلك يحتمله ويحلم عنه . وان رجلا يسمى عبد الرحمن بن ثويب الكلبى دخل على خالد ابن عبد الله فسلم عليه وعنده نفر من أشراف أهل الشام فقال له ياأبا الهيثم انى أحبك لعشر خصال فيك يحبها الله منك منها كرمك وعفوك ودينك وعدلك ورأفتك ووقارك فى مجلسك ونجدتك ووفاؤك وصلتك وبر رحمك وأدبك فأثنى عليه خالد وقال له خيرا و بلغ هشاما ذلك فقال أبلغ من أمر الفاسق عبد الرحمن بن ثويب أن يصف خالدا بمحاسن لم تجتمع فى أحد من الخلفاء المؤتمنين على عباد الله و بلاده ثم أمر به فأحسن أدبه ونفى عن دمشق

و بلغ ذلك خالدا وعنده أناس من وجوه أهل الشام فقال لهم ألا تعجبون من صنيع هشام برجل ذكر مني خصالا زعم انه يحبني لها فضربه وطرده وان أعظم مما قال فيّ عبد الرحمن بن ثويب قول عبد الله بن صيفيّ حين قال له يا أمير المؤمنين أخليفتك فى أهلك أحب اليك وآثر عندك أم رسولك قال هشام بل خليفتي فى أهلي قال فأنت خليفة الله فى أرضه وخلقه ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم اليهم فأنت أكرم على الله منه فلم ينكر هذه المقالة من عبد الله بن صيفي وهي تضارع الكفر ويغضب على عبد الرحمن بن ثويب وينكر عليه ما وصفني به من خصال يحبها الله فاحبني لها فلم يحمل هشام حين بلغه ذلك من قول خالد ولم يؤاخذه بشيء من مقالته . فلما تم لخلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر مرض مرضته التى مات فيها فأسند الخلافة الى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(خلافة الوليد بن يزيد)

فلما استخلف الوليد بن يزيد أمر صاحب شُرَطه سعيد بن غيلان بأخذ خالد بالمال الذي عليه من بقايا خراج العراقين والبسط عليه وقال اسمعني صياحه فأقبل سعيد بن غيلان الى خالد وهو فى منزله فأخرجه فانطلق به الى السجن فعذبه يومه ذلك بالوان العذاب فلم يكلمه خالد بحرف وقال الاشعث ابن القيني فيما نال خالدا

ألا ان خير الناس نفسا ووالدا ... أسير قريش عندها فى السلاسل

لعمرى لقد أعمرتم السجن خالدا ... وأوطأتموه وطأة المتاقل

فان تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه ولا تحبسوا معروفه فى القبائل

وقدم يوسف بن عمر الثقفي بمال العراقين على الوليد فجلس الوليد للناس وأذن لهم اذنا عاما فتكلم زياد بن عبد الرحمن الضمرىّ وكان معاندا لخالد فقال ياأمير المؤمنين علىّ محاسبة خالد بخمسة آلاف ألف درهم فسلمه الىّ فأرسل الوليد الى خالد وهو فى السجن ان زياد بن عبد الرحمن قد أعطى بمحاسبتك خمسة آلاف الف درهم فان صححتها لنا والا دفعناك اليه فارسل اليه خالد ان عهدى بالعرب لا تباع وبالله ان لو سألتنى أن أضمن لك هذا ورفع عودا من الارض مافعلت فلما رأى الوليد بن يزيد تقاعد خالد بما عليه من المال أمر به فسُلم الى يوسف بن عمر وقال انطلق به معك الى العراق واستأده جميع ماعليه من المال فحمله يوسف بن عمر الى واسط فكان يخرجه كل يوم ويعذبه ثم يرده الى الحبس فأخرجه ذات يوم وقال ماهذا التقاعد ياابن المائقة فقال له خالد ماذِكرك الامهات لعنك الله والله لا أكلمك بكلمة أبدا فغضب يوسف بن عمر من ذلك فوضع على خالد المضرَّسة وجعل يعذبه بها حتى قتله فدفنه ليلا فى عباءة كانت عليه فأنشأ الوليد ابن يزيد .

ألم تهتج فتذِّكر الوصالا وحبلا كان متصلا فزالا

بلى فالدمع منك له سجالٌ كماء الغرب ينهمل انهمالا

فدع عنك ادكارك آل سُعدى فنحن الأكثرون حصى ومالا

ونحن المالكون الناس قَسرا نَسومهم المذلة والنّكالا

ونوردهم حياض الخسف ذلاً ... وما نألوهم إلا خبالا
وطئنا الأشعرين بكل أرض ... ولم يك وطؤنا أن يستقالا .
وكندة والسكون قد استعاذوا ... نسومهم المذلة والخبالا
شددنا ملكنا ببني نزار ... وقومنا بهم من كان مالا
وهذا خالد فينا قتيلا ... ألا منعوه إن كانوا رجالا
ولو كانت بنو قحطان عربا ... لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا ... نحمله سلاسلنا الثقالا .
ولكن المذلة ضعضعتهم ... فلم يجدوا لذلهم مقالا

فلما سمع من كان باقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أنفوا أنفا شديدا فاجتمعوا من مدن الشام وساروا نحو الوليد بن يزيد وبلغ الوليد مسيرهم فأمر بمحمد ابن خالد بن عبد الله فحبس بدمشق وأقبلت اليمانية وخرج اليهم الوليد بمضر مستعدا للحرب فالتقوا واقتتلوا وأثخنت اليمانية القتل في مضر فانهزمت مضر وأخذوا نحو دمشق ودخل الوليد قصره فتحصن فيه وأقبلت اليمانية حتى دخلوا مدينة دمشق وأخرجوا محمد بن خالد من محبسه ورأسوه عليهم فأرسل محمد بن خالد الى ابن عم الوليد بن يزيد وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك فجاء به فبايعوه جميعا وأرسل الى أشراف المضريين فبايعوه طوعا وكرها وخلعوا الوليد بن يزيد فلبث مخلوعا أياما كثيرة وهو خليع بني أمية

(خلافة يزيد بن الوليد)

فقام يزيد بن الوليد بالخلافة ووضع للناس العطاء وفرق في اليمانية الصلات

والجوائز وأقبل محمد بن خالد الى قصر الوليد بن يزيد وأمر بالأوهاق فألقيت في شُرَف القصر وتسلقوا فعلَوْه ونادوا يا وليد يا لوطى يا شارب الخمر ثم نزلوا اليه فقتلوه واستدفّ الملك ليزيد بن الوليد وان محمد بن خالد وجّه منصور ابن جُمهور فى خيل الى العراق وأمره أن يقصد الىمدينة واسط فيأخذ الناس بالبيعة ليزيد بن الوليد فاذا بايعوا دعا بيوسف بن عمر فضرب عنقه فسار منصور بن جمهور فبدأ بالكوفة وأخذهم بالبيعة ليزيد بن الوليد فلما بايعوه سار منها الىواسط فاجتمع اليه الناس فبايعوه ليزيد فلما فرغ دعا بيوسف بن عمر فقال له أنت القاتل سيد العرب خالد بن عبد الله قال يوسف كنت مأمورا وما لى فى ذلك من ذنب فهل لك أن تُعفينى من القتل وأعطيك ديتى عشرة آلاف درهم فضحك منه ثم حمله حتى أتى به محمد بن خلد بالشام فقال له محمد أمّا زعمك انى كنت مأمورا فقد صدقتَ وقد قتلتُ قاتل أبى وانما أقتلك بعبده عَزْوان ثم قدّمه فضرب عنقه فملك يزيد بن الوليد ستة أشهر ثم مات

(أمر ابراهيم بن الوليد)

وقام بالملك من بعده أخوه ابراهيم بن الوليد فبايعه الناس بالشام وجميع الآفاق وجعل ولىّ العهد من بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان واستعمل على العراق يزيد بن عمر بن هُبَيرة فسار ابن هبيرة حتى نزل المكان الذى الى اليوم يسمى قصر ابن هبيرة و بنى فيه قصرا واتخذ ذلك المكان منزلا له ولجنوده . قالوا وان المضرية تلاومت فيما كان من غلبة اليمانية عليها وقتلهم الخليفة الوليد بن يزيد فدبّ بعضهم الى بعض

واجتمعوا من أقطار الارض وساروا حتى وافوا مدينة حمص وبها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكان يومئذ شيخ بنى أمية وكبيرهم وكان ذا أدب كامل ورأى فاضل فاستخرجوه من داره وبايعوه وقالوا له أنت شيخ قومك وسيدهم فاطلب بثأر ابن عمك الوليد بن يزيد فاستعد مروان بجنوده فى تميم وقيس وكنانة وسائر قبائل مضر وسار نحو مدينة دمشق وبلغ ذلك ابراهيم بن الوليد فتحصن فى قصره ودخل مروان بن محمد دمشق فأخذ ابراهيم بن الوليد وولىّ عهده عبد العزيز بن الحجاج فقتلهما وهرب محمد بن خالد بن عبد الله القسرى نحو العراق حتى أتى الكوفة فنزل فى دار عمرو بن عامر البجلى فاستخفى فيها وعلى الكوفة يومئذ زياد بن صالح الحارثى عاملا ليزيد بن عمر ابن هبيرة

(خلافة مروان بن محمد بن مروان)

واستدفّ الملك لمروان بن محمد وأعطاه أهل البلدان الطاعة . ثم ان العصبية وقعت بخراسان بين المضرية واليمانية وكان سبب ذلك أن جُدَيع ابن علىّ المعروف بالكرمانى كان سيد من بأرض خراسان من اليمانية وكان نصر بن سيّار متعصبا على اليمانية مبغضا لهم فكان لا يستعين بأحد منهم وعادى أيضا ربيعة لميلها الى اليمانية فعاتبه الكرمانى فى ذلك فقال له نصر ما أنت وذاك قال الكرمانى انما أريد بذلك صلاح أمرك فانى أخاف أن تُفسد عليك سلطانك ويحمل عليك عدوّك هذا المظلّ يعنى المسوِّدة قال له نصر أنت شيخ قد خَرِفت فأسمعه الكرمانى كلاما غليظا فغضب نصر وأمر

بالـكرمانى الى الحبس فحبس فى القُهُنْدُر وهى القلعة العتيقة فغضب أحياء العرب للـكرمانى فاعتزلوا نصر بن سيار واجتمع الى نصر المضرية فطابقوه وشايعوه وكان للـكرمانى مولى من أبناء العجم ذو دهاء وتجربة وكان يخدمه فى محبسه وكان الـكرمانى رجلا ضخما عظيم الجثة عريض ما بين المنكبين فقال له مولاه أتوطّن نفسك على الشدة والمخاطرة حتى أخرجك من هـذا الحبس قال له الـكرمانى وكيف تخرجنى قال انى قد عيّنت على ثقب ضيّق يخرج منـه ماء المطر الى الفارقين فوطّن نفسك على سلخ جلدك لضيق الثقب قال الـكرمانى لا بد من الصبر فاعمل ما أردت فخرج مولاه الى اليمـانية فواطأهم و وطنهم فى طريقه فلما جن الليل ونام الاحراس أقبل مولاه من خارج السور فوقف له على باب الثقب وأقبل الـكرمانى حتى أدخل رأسه فى الثقب و بسط فيـه يديه حتى نالت يداه كفى مولاه فاجتذبه اجتذابة شديدة سلخ بهـا بعض جلده ثم اجتذبه ثانيةً حتى انتهى به الى النصف فاذا هو بحية فى الثقب فنادى الـكرمانى مولاه بَذْبَخْت مارْ مارْ أى حية قد عرضت فقال مولاه بَكَزْ بَكَزْ أى عضها ثم اجتذبه الثالثة فأخرجه فقال لمولاه أمهلنى ساعة حتى أفيق و يسكن ما بي من وجع الانسلاخ فلما رجعت الى الـكرمانى نفسه نزل من ذلك التل وأُتى بدابة فركبها حتى انتهى الى منزله واجتمعت اليه الأزد وسائر من بخراسان من اليمانية وانحازت ربيعة معهم و بلغ نصر بن سيار الخبر فدعا بصاحب الحبس فضرب عنقه وظن أن ذلك كان بمواطأة منه. ثم قال لسَلم بن أحوز المـازني وكان على شرطه انطلق الى الـكرماني فاعلمه أني لم أرد به مكروها وانما أردت

تأديبه لما استقبلني به ومُرْه أن يصير إليّ آمنا لأناظره فى بعض الامر فصار سلم اليه فاذا هو بمحمد بن المثَنى الرّبعى جالسا على الباب فى سبعمائة رجل من ربيعة فدخل اليه فأبلغه الرسالة فقال الكرماني لا ولا كرامةً ما له عندى إلا السيف فأبلغ ذلك نصرا فأرسل نصر بعصمة بن عبد الله الازدى وكان من خاصته فقال له انطلق الى ابن عمك فآمنهومُرْه أن يصير الىّ آمنا لاناظره فى بعض ما قد دهمنا من هذا العدوّ فقال الكرمانى لعصمة حين أبلغه رسالة نصر يا ابن الخبيثة وما أنت وذاك وقد ذكر لى عمك انك لغير أبيك الذى تنسب اليه انما تريد أن تتقرب الى بن الاقطع يعنى نصرا أما لو كنت صحيح النسب لم تفارق قومك وتميل الى من لا رحم بينه وبينك فانصرف عصمة الى نصر وأبلغه قوله

ثم ان الكرمانىّ كتب الى عمر بن ابراهيم من ولد أبرهة بن الصَّبّاح ملك حمير وكان آخر ملوكهم وكان مستوطنا الكوفة يسأله أن يوجه اليه بنسخة حلف اليمن وربيعة الذى كان بينهم فى الجاهلية ليحييه ويجدده وانما أراد بذلك أنْ يستدعى ربيعة الى مكانفته فأرسل به اليه فجمع الكرمانىّ اليه أشراف اليمن وعظماء ربيعة وقرأ عليهم نسخة الحلف وكانت النسخة بسم الله العلىّ الاعظم . الماجد المنعم . هذا ما احتلف عليه آل قحطان . وربيعة الاخوان . احتلفوا على السَّواء السَوا . والاواصر والاخا . ما احتذى رجل حذا . وما راح راكب واغتدى . يحمله الصغار عن الكبار . والاشرار عن الأخيار . آخرَ الدهر والأبد . الى انقضاء مدة الأمد . وانقراض الآباء

والولد . حلف يوطأ ويثب . ماطلع نجم وغرب . خلطوا عليه دماهم . عند
ملك أرضاهم . خلطها بخمر وسقاهم . جز من نواصيهم أشعارهم . وقلم عن
أناملهم أظفارهم . فجمع ذلك فى صر ودفنه تحت ماء غمر . فى جوف قعر
بحر . آخر الدهر . لاسهو فيه ولا نسيان . ولا غدر ولا خذلان . بعقد موكد
شديد . الى آخر الدهر الأبيد . مادعا صبى أباه . وما حلب عبد فى اناه .
تحمل عليه الحوامل . وتقبل عليه القوابل . ماحل بعد عام قابل . عليه المحيا
والممات . حتى ييبس الفرات . وكُتب فى الشهر الاصم . عند ملك أخى ذم
تبع بن ملكيكرب . معدن الفضل والحسب . عليهم جميعا كفل . وشهد
الله الأجل . الذى ماشاء فعل . عقلهَ من عقل . وجهله من جهل . فلما
قرئ عليهم هذا الكتاب توافقوا على أن ينصر بعضهم بعضا ويكون أمرهم
واحدا فأرسل الكرمانىّ الى نصر ان كنت تريد المحاربة فابرز الى خارج
المدينة فنادى نصر فى جنوده من مضر وخرج فعسكر ناحية من الصحراء
وفعل الكرمانىّ مثل ذلك وخندق كل واحد منهما على عسكره ويسمى
ذلك المكان الى اليوم الخندقين ووجه الكرمانىّ محمد بن المثنى وأبا الميلاء
الربعيين فى الف فارس من ربيعة وأمرهما أن يتقدما الى عسكر نصر بن
سيار فأقبلا حتى اذا قاربا عسكره قال نصر لابنه تميم اخرج الى القوم فى الف
فارس من قيس وتميم فانتخب الف فارس ثم خرج فلتقوا واقتتلوا وحمل محمد
ابن المثنى الربعى على تميم بن نصر فتضاربا بسيفيهما فلم يصنع السيفان شيئاً
لكمال لامتيهما فلما رأى محمد بن المثنى ذلك حمل بنفسه على تميم فعانقه

فسقطا جميعا الى الارض وصار محمد فوق تميم فأنحى على حلقه بالسيف فذبحه فقال نصر بن سيار يرثى ابنه تميما

نفى عنى العزاء وكنتُ جلدا غداةَ جلا الفوارسُ عن تميم
وما قصرت يداه عن الاعادى ولا أضحى بمنزلة اللئيم
وفاءً اللخليفة وابتذالا لمهجته يدافع عن حريم
فمن يك سائلا عنى فانى أنا الشيخ الغضنفر ذو الكليم
نمتنى من خزيمة باذخات بواسق ينتمين الى صميم

قالوا فمكثوا بذلك عشرين شهرا ينهض بعضهم الى بعض كل أيام فيقتتلون هويا ثم ينصرفون وقد انتصف بعضهم من بعض وشغلهم ذلك عن طلب أبى مسلم وأصحابه حتى قوى أمره واشتد ركنه وعلن شأنه فى جميع كور خراسان فقال عقيل بن معقل الليثى لنصر بن سيار ان هذه العصبية قد تمادت بيننا و بين هؤلاء القوم وقد شغلتك عن جميع أعمالك وضبط سلطانك وقد أظلك هذا العدو الكلب فأنشدك الله أن تشأم نفسك وعشيرتك قارب هذا الشيخ يعنى الكرمانى بعض المقاربة فقد انتقض الامر على الامام مروان ابن محمد فقال نصر ياابن عم قد فهمت ماذكرت ولكن هذا الملاّح قد ساعدته عشيرته وظافرتهم على أمرهم ربيعة فقد عدا من أجل ذلك طوره فلا ينوى صلحا ولا ينيب الى أمان فانطلق ياابن عم ان شئت فسله ذلك واعطه عنى ماأراد فمضى عقيل بن معقل حتى استأذن على الكرمانىّ فدخل فسلم ثم قال له انك شيخ العرب وسيدها بهذه الارض فأبق عليها قد تمادت

هذه العصبية بيننا و بينكم وقد قتل منا ومنكم مالايحصيه أحد وقد أرسلنى نصر اليك وجعل لك حكم الصبي على أبويه على أن ترجع الى طاعته لتتآزرا على اطفاء هذه النار المضطرمة فى جميع كور خراسان قبل أن يكاشفوا يعنى المسوّدة قال الكرمانىّ قد فهمتُ ماذكرتَ وكنت كارها لهذا الامر فأبى ابن عمك يعنى نصرا الا البذخ والتطاول حتى حبسنى فى سجنه و بغى على نفسه وقومه قال له عقيل فما الذى عندك فى اطفاء هذه النائرة وحقن هذه الدماء قال الكرماني عندى فى ذلك ان نعتزل أنا وهو الامر ونولى جميعا أمرنا رجلا من ربيعة فيقوم بالتدبير ونساعده جميعا ونتشمّر لطلب هؤلاء المسوّدة قبل أن يجتمعوا فلا نقوى بهم ولو أجلب عليهم معنا جميع العرب قال عقيل ان هذا مالايرضى به الامام مروان بن محمد ولكن الامير نصرا يجعل الأمر لك تولى من شئت وتعزل من شئت وتدبر فى هؤلاء المسودة ماشئت ويتزوّج اليك وتتزوّج اليه قال الكرمانى كيف يتزوّج الىّ وليس لى بكفوٍ قال عقيل أتقول هذا لرجل له بيتُ كنانة قال الكرمانى لو كان من مصاص كنانة مافعلتُ فكيف وهو ملصق فيهم فأما قولك انه يجعل الامر الىّ أولى وأعزل من أريد فلا ولا كرامة ان أكون تبعا له أو أقارهُ على السلطان . فانصرف عقيل الى نصر فقال انك كنت بهذا الملاّح ابصر منى ثم أخبره بما دار بينهما كله فكتب نصر بن سيار الى الامام مروان ابن محمد يخبره بخروج الكرمانى عليه ومحاربته اياه واشتغاله بذلك عن طلب أبى مسلم وأصحابه حتى قد عظم أمرهم وان المحصى المقلل لهم يزعم انه قد

يايعه مائتا الف رجل من أقطار خراسان فتدارك يأمير المؤمنين أمرك وابعث الىّ بجنود من قبلك يقوبهم ركنى واستعن بهم على محاربة من خالفنى ثم كتبَ فى أسفل كتابه

أرى تحت الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرامُ

فان النار بالعودين تذكى ... وان الشر مبدأه الكلام

وقلتُ من التعجب ليت شعرى ... أأيقاظ أمية أم نيام

فان يقظت فذاك بقاء ملك ... وان رقدت فانى لا أُلام

فان يك أصبحوا وثووا نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام

فلما وصل كتابه الى مروان كتب الى معاوية بن الوليد بن عبد الملك وكان عامله على دمشق ومروان حينئذ بمدينة حمص يأمره أن يكتب الى عامله بالبلقاء أن يسير الى الحميمة فيأخذ ابراهيم بن محمد بن علىّ فيشدّه وثاقا ويرسل به اليه فأتى ابراهيم وهو جالس فى مسجده فلُفّ رأسه وحُمل الى مروان واتبعه من أهل بيته عبد الله بن علىّ وعيسى بن موسى بن علىّ ونفر من مواليه فلما دخل على مروان قال له ماهذه الجموع التى خرجت بخراسان تطلب لك الخلافة قال له ابراهيم مالى بشئ من ذلك علم فان كنت انما تريد التجنى علينا فدونك وما تريد ثم بسط لسانه على مروان فأمر به فحبس قال الهيثم فاخبرنى أبو عبيدة قال كنت آتى ابراهيم فى محبسه ومعه فيه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فاسلّم عليه وأظلّ عامّة نهارى عنده وربما جنّنى الليل عنده فأبيت معه فبينا انا ذات ليلة عنده وقد بتُّ معه فى الحبس فانا نائم فى

سقيفة فيه اذ قيل مولى لمروان فاستفتح الباب ففتح له فدخل ومعه نحوٌ من
عشرين رجلا من موالى مروان فلبثوا ساعة ثم خرجوا ولم أسمع لاحد صوتا
فلما أصبحت دخلت البيت لاسلم عليهما فاذا هما قتيلان فظننت أنهما خُنقا
ولما قتل ابراهيم بن محمد خاف أخواه أبو جعفر وأبو العباس على أنفسهما
فخرجا من الحميمة هاربين نحو العراق ومعهما عبد الله واسماعيل وعيسى
وداود بنو علىّ بن عبد الله بن عباس حتى قدموا الكوفة ونزلوا على أبى
سلمة الداعى الذى كان داعية أبيهما محمد بن علىّ بأرض العراق فأنزلهم جميعا
دار الوليد بن سعد التى فى بنى أوْدٍ وألزمهم مساورا القصاب ويقطينا
الابزارىّ وكانا من كبار الشيعة وقد كانا لقيا محمد بن علىّ فى حياته فأمرهما
أن يُعينا أباسلمة على أمره وكان أبو سلمة خلاّلا فكان اذا أمسوا أقبل مساور
بشقة لحم وأقبل أبو سلمة بخلّ وأقبل يقطين بالابزار فيطبخون ويأكلون
وفى ذلك يقول أبو جعفر

لحم مساور وخلّ أبى سلمه وابزار يقطين وطابت المرَقَهْ

فلم يزل أبو العباس وأبو جعفر مستخفيين بالكوفة الى أن قدم قحطبة بن
شبيب العراق . قالوا وبلغ أبا مسلم قتل الامام ابراهيم بن محمد وهرب أبى
العباس وأبى جعفر من الشام واستخفاؤهما بالكوفة عند أبي سلمة فسار من
خراسان حتى قدم الكوفة ودخل عليهما فعزاهما بأخيهما ابراهيم الامام ثم
قال لابى العباس مُدّ يدك أبايعك فمدّ يده فبايعه ثم سار الى مكة ثم انصرف
اليهما فتقدم اليه أبوالعباس أنلا يدع بخراسان عربيا لايدخل فى أمره الاّ

ضرب عنُقه ثم انصرف أبو مسلم الى خراسان فجعل يدورها كورة كورة ورستاقا رستاقا فيواعدهم اليوم الذى يظهرون فيه ويأمرهم بتهيئة السلاح والدوابّ لمن قدر. قالوا ولمّا اعيَتْ نصرَ بن سيّار الحيلُ فى أمر الكرمانىّ وخاف أُزوف أبى مسلم كتب الى مروان

يا أيّها الملكُ الوانى بنُصرته قد آن للامران يأتيك من كثب

أضحتْ خراسانُ قدباضت صقورتها وفرّخت فى نواحيها بلا رَهَب

فانْ يطرْن ولم يُحتلْ لهنَّ بها يُلهبنَ نيرانَ حربٍ ايّما لَهَب

فلما وصلت هذه الأبيات الى مروان كتب الى يزيد بن عمر بن هبيرة عامله على العراقين يأمره أن ينتخب من جنوده اثنى عشر ألف رجل مع فرْض يفرضه بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ويولّى عليهم رجلا حازما يرضى عقلَه واقدامَه ويوجّه بهم الى نصر بن سيّار فكتب يزيد بن عمر بن هبيرة الى مروان ان من معه من الجنود لا يَفون باثنى عشر ألفا ويعلمه ان فرض الشام أفضل من فرض العراق لان عرب العراق ليست لهم نصيحة للخلفاء من بنى أميّة وَفى قلوبهم اِحَن ولمّا أبطأ عن نصر الغوث أعاد الى مروان

من مبلغ عنى الامام الذى قام بأمرٍ بَين ساطعٍ

انى نذيرٌ لك من دولةٍ قام بها ذو رحم قاطعٍ

والثوبُ ان أنهج فيه البلى أعيا على ذى الحيلة الصانع

كنّا نُداريها فقد مُزّقتْ واتسعَ الخرق على الرّاقع

فلم يجدعند مروان شيئا وحان الوقت الذى أعدّ فيه أبومسلم مستجيبيه فخرجوا جميعا فى يوم واحد من جميع كور خراسان حتى وافوه وقد سوّدوا ثيابهم تسلبا على ابراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس الذى قتله مروان فكان أول من ورد عليه منْ القوّاد وقد لبس السواد أسيدُ بن عبد الله ومقاتل بن حكيم ومحقن بن غَزْوَان والحريش مولى خزاعة وتنادوا محمد يامنصور يعنون محمد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس وهو أول من قام بالامر وبثّ دعاته فى الآفاق وانجفل الناس على أبى مسلم من هَراةَ وبوشَنج ومرْو الرُوذ والطالقان ومَرْو ونَسا وأبيوَرْد وطُوس ونيسابور وسرَخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وخُتَّلان وكش ونسَف فتوافوا جميعا مسوّدى الثياب وقد سوّدوا أيضا أنصاف الخشب التى كانت معهم وسموها كافركوبات وأقبلوا فرسانا وحمارة ورجالة يسوقون حميرهم ويزجرونها هَرِّ مروان يسمونها مروان ترغيما لمروان بن محمد وكانوا زهاء مائة الف رجل . فلما بلغ نصر بن سيار ظهور أبى مسلم سقط فى يديه وخاف على نفسه ولم يأمن أن ينحاز الكرمانى فى اليمانية والربعية اليهم فيكون فى ذلك اصطلامه فأراد أن يستعطف من كان مع الكرمانى من ربيعة فكتب اليهم وكانوا جميعا بمرو

أبلغ ربيعة فى مرو واخوتها ... أن يغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تُلقِحون الحرب بينكم ... كأن أهل الحجا عن فعلكم غيب
وتتركون عدوا قد أظلكم ... ممن تأشب لا دين ولا حسب
ليسوا الى عرب منا فنعرفهم ... ولا صميم الموالى ان هم نسبوا

قوما يدينون دينا ماسمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب

فمن يكن سائلى عن أصل دينهم فانّ دينهم أن تقتل العرب

فلم تحفل ربيعة بهذه الابيات . وبلغ أبا العباس الامام وهو مستخف بالكوفة ان أبا مسلم لو أراد أن يصطلم عسكر نصر والكرمانى لفعل غير انه يدافع الحرب فكتب اليه يؤنبه فى ذلك وكان أبو مسلم يحب أن يستميل أحد الرجلين ليفصم به شوكة الآخر فأرسل الى الكرمانىّ يسئله أن ينضمّ اليه لينتقم له من نصر بن سيار فعزم على المسير اليه وأقبل أبو مسلم فى عساكره الى أرض مرو فعسكر على ستة فراسخ من المدينة وخرج اليه الكرمانىّ ليلا فى نفر من قومه فاستأمن لجميع أصحابه فأمنهم أبو مسلم وأكرم الكرمانى فأقام معه وشق ذلك على نصر بن سيار وأيقن بالهلكة فكتب الى الكرمانى يسأله الرجوع اليه على أن يعتزلا ويوليا الامر رجلا من ربيعة يرضيانه وهو الامر الذى كان سأله اياه فأصغى الكرمانى الى ذلك وتحمل ليلا من معسكر أبى مسلم حتى انصرف الى معسكره واسترسل الكرمانىّ الى نصر فلما أصاب منه غرة دسّ اليه من قتله ويقال بل وجه اليه نصر رجلا من قواده فى ثلثمائة فارس فكمنوا له ليلا عند منصرفه من معسكر أبى مسلم فلما حاذاهم وهو غافل عنهم حملوا عليه فقتلوه . وبلغ ذلك أبا مسلم فقال لايبعد الله غيره لو صبر معنا لقمنا معه ونصرناه على عدوه وقال نصر فى ظفره بالكرمانىّ

لعمرى لقد كانت ربيعةُ ظافرت عدوى بغدر حين خابت جدودها

وقد غمزوا منى قناة صلبية شديدا على من رامها الكسر عودها

وكنت لها حصنا وكهفا وجُنّةً يؤول اليّ كلها ووليدُها
فمالوا الى السوآت ثم تعذروا وهل يفعل السوآت الا مريدها
فأوردت كرمانيها الموت عنوة كذاك منايا الناس يدنو بعيدها

قالوا ولما قتل الكرمانى مضى ابنه علىّ من خندقه الى أبى مسلم فسأله أن يطلب له بثأر أبيه فأمر قحطبة بن شبيب أن يستعد ويسير حتى ينيخ على نصر فى خندقه فينابذه الحرب أو ينيب الى الطاعة فسار قحطبة فبدأ بالمدينة فدخلها واستولى عليها وأرسل الى نصر يؤذنه بالحرب فكتب نصر الى أبى مسلم يسأله الأمان على أن يدخل معه فى أمره فأجابه الى ذلك وأمر قحطبة أن يمسك عنه فلما أصاب نصر من قحطبة غفلة تحمل فى حشمه وولده وحاشيته ليلا فخرج من معسكره من غير أن يعلم أصحابه وسار نحو العراق وجعل طريقه على جرجان فأقام بها فمرض فيها فسار منها الى ساوة فأقام بها أياما ثم توفى بها فاستأمن جميع أصحابه وأصحاب الكرمانىّ الى أبى مسلم الا أناسا كرهوا أمر أبى مسلم فساروا من مدينة مروهرّابا حتى أتوا طوس فأقاموا بها وان أبا مسلم استولى على خراسان واستعمل عماله عليها فكان أول من عقد له منهم زنباع بن النعمان على سمرقند وولى خالد بن ابراهيم على طخارستان وولى محمد بن الاشعث الطبسين ثم وجه أصحابه الى سائر تلك البلاد وضم الى قحطبة بن شبيب أبا عون مقاتل بن حكيم العكى وخالد ابن برمك وحارثة بن خزيمة وعبد الجبار بن نهيك وجهور بن مراد العجلى والفضل بن سليمان وعبد الله بن النعمان الطائى وضم الى كل واحد من

هؤلاء القواد صناديد الجنود وأبطالهم وأمر قحطبة أن يسير الى طوس فيلقى من قد اجتمع بها من جنود نصر بن سيار والكرمانىّ فيحاربهم حتى يطردهم عنها ثم يتقدم قُدُما قُدُما حتى يرد العراق فسار قحطبة حتى اذا دنا من طوس هرب أولئك الذين قد كانوا تجمعوا بها فتفرّقوا وسار قحطبة من طوس الى جرجان فافتتحها وسار منها الى الرى فواقع عامل مروان عليها فهزمه ثم سار من الرىّ الى أصبهان حتى وافاها وبها عامر بن ضبارة من قبل يزيد بن عمر فهرب منه ودخلها قحطبة واستولى عليها ثم سار حتى أتى نهاوند وبها مالك بن أدهم الباهلى فتحصن أياما ثم استأمن الى قحطبة فأمنه فخرج اليه وسار قحطبة حتى نزل حلوان فأقام بها وكتب الى أبى مسلم يعلمه خبره وأن مروان بن محمد قد أقبل من الشام حتى وافى الزابين فأقام بها فى ثلاثين الفا وان يزيد ابن عمر بن هبيرة قد استعد بواسط فأتاه كتاب أبي مسلم يأمره أن يوجه أبا عون العكى فى ثلاثين ألف فارس من أبطال جنوده الى مروان بن محمد بالزابين فيحاربه ويسير هو فى بقية الجنود الى واسط فيحارب يزيد بن عمر ليشغله عن توجيه المدد الى مروان ففعل قحطبة ذلك وبلغ مروان فصول أبى عون اليه بالجيوش من حلوان فاستقبله فالتقيا بشهرزور فاقتتلوا فانهزم اهل الشام حتى صاروا الى مدينة حران . قال الهيثم فحدثنى اسمعيل بن عبد الله القسرى أخو خالد بن عبد الله قال دعانى مروان عند وصوله الى حران وكنت أخص الناس عنده فقال لى ياأبا هاشم وما كنانى قبل ذلك فقلت لبيك ياأمير المؤمنين قال ترى ماقد نزل من الامر وأنت الموثوق برأيه فما ترى قلت وعلام أجمعت

ياأمير المؤمنين قال أجمعت على أن أرتحل بأهلى و ولدى وخاصة أهل بيتى ومن اتبعنى من أصحابي حتى أقطع الدرب وأصير الى ملك الروم فأستوثق منه بالامان ولا يزال يأتينى الخائف والهارب من أهل بيتى وجنودى حتى يكثف أمرى وأصيب قوة على محاربة عدوّى قال اسمعيل وذلك والله كان الرأى له عندى غير انى ذكرت سوء أثره فى قومى ومعاداته اياهم وتحامله عليهم فصرفت الرأى عنه وقلت له ياأمير المؤمنين أعيذك بالله أن تحكم أهل الشرك فى نفسك وحُرَمك لان الروم لاوفاء لهم قال فما الرأى عندك قلت الرأى أن تقطع الفرات وتستقرى مدن الشام مدينة مدينة فان لك بكل مدينة صنائع ونصحاء وتضمهم جميعا اليك وتسير حتى تنزل ببلاد مصر فهى أكثر أهل الأرض مالا وخيلا ورجالا فتجعل الشام أمامك وأفريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان تكن الاخرى اتسع لك المهرب نحو افريقية فانها أرض واسعة نائية منفردة قال صدقت عمرى وهو الرأى . فسار من حرّان حتى قطع الفرات وجعل يستقرى مدن الشام فيستنهضهم فيروغون عنه ويهابون الحرب فلم يسِرْ معه منهم الاّ قليل وسار أبو عون صاحب قحطبة فى أثر مروان حتى انتهى الى الشام وقصد دمشق فقتل من أهلها مقتلة عظيمة فيهم ثمانون رجلا من ولد مروان بن الحكم ثم عبر الشام سائرا نحو مصر حتى وافاها واستعد مروان فيمن كان معه من أهل الوفاء له وكانوا نحوًا من عشرين ألف رجل وسار مستقبلا أبا عون حتى التقى الفريقان فاقتتلوا فلم يكن لاصحاب مروان ثبات فقتل منهم

خلق وانهزم الباقون فتبدّدوا وهرب مروان على طريق افريقية وطلبته الخيل فحال بينها وبينه الليل فعبر مروان النيل فى سفينة فصار فى الجانب الغربىّ وكان منجّما فقال لغلامه انى ان سلمتُ هذه الليلة رددت خيل خراسان على أعقابها حتى أبلغ بها خراسان ثمّ نزل ودفع دابته الى غلامه وخلع درعه فتوسدها ونام لشدّة ماقد كان مرّ به من التعب ولم يكن معه دليل يدلّه على الطريق وخاف أن يوغل فى تلك المفاوز فيضلّ وأقبل رجل من أصحاب أبى عون يسمى عامر بن اسماعيل فى طلب مروان حتى أتى المكان الذى عبر فيه مروان فدعا بسفينة فجلس فيها وعبر فانتهى به السير الى مروان وهو مستثقل نوما فضربه بالسيف حتى قتله قالوا ولما بلغ محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ وكان مستترا بالكوفة فى بجيلة موافاة قحطبة بن شبيب حلوان بجموع أهل خراسان جمع اليه نفرا من أشراف قومه ثم ظهر ودعا لابى العباس الامام فطلبه زياد بن صالح عامل يزيد بن عمر فاجتمع اليه قومه فمنعوه وقاموا دونه وبلغ ذلك يزيد بن عمر بن هبيرة فأمدّ زياد بن صالح بالرجال واجتمع الى محمد جميع من كان بالكوفة من اليمانية والربعيّة فهرب زياد بن صالح حتى لحق بيزيد بن عمر بواسط وكتب محمد بن خالد الى قحطبة وهو بحلوان يسأله أن يولّيه أمر الكوفة ويبعث اليه عهده عليها ففعل فأتى المسجد الاعظم فى جمع كثير من اليمانية وقد أظهروا السواد وذلك يوم عاشوراء من المحرّم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقال محمد بن خالد فيما كان من قتله الوليد بن يزيد ابن عبد الملك

قتلْنا الفاسقَ المختال لما أضاعَ الحقّ واتّبعَ الضلالا
يقول لخالد ألاّ حمتْه بنو قحطانَ إن كانوا رجالا
فكيف رأى غداةَ غدَت عليه كراديسٌ يشبّهها الجبالا
ألا أبلغ بنى مروان عنى بأنّ الملك قد أودى فزالا

وسار يزيد بن عمر بن هبيرة الى الكوفة يريد محمد بن خالد فدخل محمد على أبى سلمة الداعى فأخبره بفصول بن هبيرة نحوه وتخوفه أن لا يقوى بكثرة جموعه فقال له أبو سلمة انه قد كان منك من الدعاء الى الامام أبى العباس مالا ينساه لك فلا تفسد ذلك بقتلك نفسك ومن معك ودع الكوفة فانها فى يديك وسر بمن معك حتى تنضمّ الى قحطبة قال محمد لستُ بخارج من الكوفة حتى أُبلى عذرا فى محاربة ابن هبيرة فاستعدّ بمن كان بالكوفة من اليمن وربيعة وسار مستقبلا لابن هبيرة حتى التقى فنادى محمد بن خالد من كان مع ابن هبيرة من قومه تبًّا لكم أنسيتم قتل أبى خالد بن عبد الله وتحامل بنى أميّة عليكم ومنعهم ايّاكم أعطياتكم يابنى عمّ قد أزال الله ملك بنى أميّة وأدال منهم فانضموا الى ابن عمكم فان هذا قحطبة بحلوان فى جموع أهل خراسان وقد قتل مروان فلم تقتلون أنفسكم وان الأمير قحطبة قد ولاّنى الكوفة وهذا عهدى عليها فليكن لكم أثرٌ فى هذه الدولة فلما سمعوا ذلك مالوا اليه جميعا ولم يبق مع ابن هبيرة الا قيس وتميم فلما رأى ذلك ولّى منهزما بمن معه حتى وافى واسط ووجّه فى نقل الميرة اليها واستعدّ للحصار وانصرف محمد بن خالد الى الكوفة فخطب الناس ودعا لأبى العباس وأخذ بيعة أهل

الـكوفةوأقبـل قحطبة من حلوان حتى وافى العراق فنزل دِمِمًّا وهى فيما بين بغداد والانبار وذلك قبل أن تبنى بغداد وانما كانت قرية يقوم بها سوق فى كل شهر مرّة فأقام معسكرا بها فقال علىّ بن سليمان الازدى يذكر محمد بن خالد وسبقه الى الدعاء الى بنى هاشم

ياحادبينا بالطريق قوّما بيعمَلاتٍ كالقسى رُسَّما
تنجو باحواز الفلاة مَقدما الى امرِئ أكرمَ من تـكرما
محمـد لمّا سمَا واقـدَما ثارَ بكُوفانَ بها مُعلّما
فى عصبةٍ تطلبُ أمرًا مُبرَما حتى عَلا مِنبرَها معمَّما
أكرِمْ بمـا فازَ به وأعظِما اذ كان عنها الناسُ كلاًّ نُوَّما

وان قحطبة عنـد مسيره الى العراق استخلف على أرض الجبل يوسف بن عقيل الطائىّ وأقبل ابن هبيرة حتى صار على شاطئ الفرات الغربىّ وهو فى نحو من ثلاثين ألف رجل وأقبل قحطبة حتى نزل فى الجانب الشرقىّ فأقام ثلاثا ثم نادى فى جنوده ان اقحموا خيلـكم المـاء فاقتحموها وقحطبة امام أصحابه ولما عبر أصحاب قحطبة قاتلهم ابن هبيرة فلم يقم لهم فانهزم حتى أتى واسط فتحصَّن فيها وفُقد قحطبة بن شبيب فلم يُدر أين ذهب ويزعم بعض الناس ان فرسه غاص به فغرق وتولّى أمر الناس ابنه الحسن بن قحطبة . ولما تحصَّن ابن هبيرة بواسط خلّف الحسن بن قحطبة عليـه بعض قوّاده فى عشرين ألف رجـل وسار نحو الـكوفة وقد أخذها محمـد بن خالد فوافاها الحسن بن قحطبة وبها الامام أبو العباس

(ظهور أبي العباس السفاح وبيعته)

• فأظهر أبا العباس وأقبل به حتى دخل المسجد الاعظم واجتمع له الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه عليه السلام ثم ذكر انتهاك بنى أميّة المحارم وهدمهم الكعبة ونصبهم عليها المجانيق وما أبدعوا من خبيث السير ثم نزل فأكثر الناس له من الدعاء وأقبل نحو دار الامارة فنزلها وأمر الحسن بن قحطبة بالانصراف الى واسط والاناخة بيزيد بن عمر بن هبيرة فسار الحسن وحاصر يزيد اشهرا كثيرة . قال الهيثم بن عدىّ بويع لابى العباس بالخلافة ولابى جعفر بولاية العهد من بعده فى رجب من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فلما استدف لابى العباس الامرة ولّى أبا سلمة الداعى جميع ما وراء بابه وجعله وزيره وأسند اليه جميع أموره فكان يسمى وزير آل محمد فكان ينفذ الامور من غير مؤامرة وبلغ ذلك أبا مسلم وهو بخراسان فدعا مروان الضبىّ وكان أحد قوّاده وقال له انطلق الى الكوفة فاخرج أبا سلمة من عند الامام أبي العباس فاضرب عنقه وانصرف من ساعتك ففعل الضبىّ ذلك فقال الشاعر يرثى أبا سلمة

ان الوزير وزير آل محمدٍ أودى فمن يَشناك كان وزيرَا

ثم ان الامام أبا العباس رأى أن يوجه أخاه أبا جعفر المنصور الى واسط ليتولى محاربة ابن هبيرة فوجهه وكتب الى الحسن بن قحطبة يُعلمه أن العسكر عسكره وأحب أن يكون أخوه المتولّى للامر فلما وافى أبو جعفر واسط تحوّل الحسن بن قحطبة عن سرادقه وخلّاه بجميع مافيه له فنزله أبوجعفر بحريه

وحشمه وكتب أبو جعفر الى قوّاد يزيد بن عمر وأشراف من معه من العرب يستميلهم بالاطماع وينبههم على حظوظهم و يعرّفهم انصرام دولة بنى أميّة فأجابوه جميعا . وكان أول من أجابه وانحرف اليه زياد ابن صالح الحارثىّ وكان عامل ابن هبيرة على الكوفة وأخصّ أصحابه عنده وقد كان ابن هبيرةَ ولاّه حِراسة مدينته بالليل ودفع اليه مفاتيح أبوابها . قال الهيثم فحدثنى أبى قال لما همّ زِيَاد باللحوق بأبى جعفر أرسل الىّ وكان وصىّ أبى فكنت أدعوه أباً وعمّاً وقد كان رسوله أتانى عند اختلاط الظلام يأمرنى بالمصير اليه فأتيته فخلا بى وقال ياابن أخى انك لست ممن أكتمه شيئا وقد أتانى كتاب أبى جعفر يدعونى الى اللحوق به و يبذل لى على ذلك منزلة سنيّة واعلم فى كتابه انه راعٍ للخؤولة وكانت أمّ أبى العباس حارثية قال والدى فقلتُ له يا عمّ ان لابن هبيرة أيادى جميلة وأكره لك الغدر به فقال يا ابن أخى أنا من أشكر الناس له غير أنى لا أرى أن أُقيم على مُلك قد انقضت قُواه ووهت عُراه وأنا لابن هبيرة اليوم عند أبى جعفر أنفع منى له هاهنا وأرجو أن يُصلح الله أمره بى وعلى يدى فأقم عندى الى وقت خروجى لاسلّم اليك المفاتيح فأقمت عنده فلما مضى ثلث الليل أمر غلمانه فحملوا أثقاله وأسرجوا دوابّه ثم ركب وخرج من منزله وأنا أمشى معه حتى انتهى الى باب المدينة الذى يلى دجلة وكانت المفاتيح معه وأمر الاحراس أن يفتحوا الباب وقال لهم أريد الخروج لاستطلاع بعض الامور وأنا منصرف بعد ساعة . ثم خرج وأمرنى باغلاق الباب وأخذ المفاتيح فقال لى فيما بينى و بينه اذا أصبحت فانطلق

بالمفاتيح حتى تدفعها الى ابن هبيرة من يدك الى يده وأعلمه انى له هنـاك
أفضل منى له ها هنا ثم ودّعنى ومضى وانصرفتُ الى منزلى فلمـا أصبحت
أتيت باب قصر الامارة فاستأذنت على ابن هبيرة فقال لى الحـاجب هو
قاعد فى مصلاه لم يقم عنه قلتُ أعلمه انى أتيته فى مهم فأذن لى فدخلت وهو
قاعد فى محرابه وعليه كساء برّ كانىّ مُعْلَم فسلمت عليـه بالامرة فردّ السلام
وقال مهمّ فحدّثته بأمر زياد بن صالح فدمعت عيناه وقال بمن تثق اليوم بعد
زياد وتوليتى اياه الـكوفة وبرّى به فقلت أيها الامير ان الله ربمـا جعل فى
الـكُره خيرا وأرجو أن ينفعك الله بمكانه هناك فقال لا حول ولا قوة الا بالله
ثم قال يا غلام علىّ بطارق بن قدامة القسرى فدخل عليه وأنا جالس عنده
فدفع اليه تلك المفـاتيح وقال يا طارق اني قد اخترتك لحراسة هذه المدينة
على جميع أصحابك من خاصتنا فـكن كنحو ثقتى بك . ولما طال على ابن
هبيرة الحصار بعث الى المنصور يسأله الامان فأرسل اليه ان أردت أن أؤمنك
على حكم أمير المؤمنين أبى العباس فعلتُ فشاور ابن هبيرة نصحاءه فأشاروا
عليه أن يفعل فأرسل الى أبي جعفر يُعلمه انى راض بذلك فـكتب اليه أبو
جعفر ذلك بخطه وأشهد على نفسه بذلك القوّاد فخرج ابن هبيرة الى أبى
جعفر فى نفر من بطانته فدخل عليه وهو فى سرادقه وحول السرادق عشرة
آلاف نفر من أهل خراسان مستلئمين فى السلاح فأمر أبو جعفر له بوسادة
فجلس عليها قليلا ثم نهض ودُعى له بدابته فركب وانصرف الى منزله وفتحت
أبواب المدينة ودخل النـاس بعضهم فى بعض . قالوا وأحصى ما فى الخزائن

من الاموال والسلاح وما بقى من الطعام والعلف الذى كان ابن هبيرة قد ادخر وأعدّ للحصار فكان المال ثلاثة آلاف ألف درهم ومن السلاح شىء كثير وطعام ثلاثين ألف رجل وعلف عشرين ألف رأس من الدواب سنة وان أبا جعفر كتب الى أبى العباس يخبره بخروج ابن هبيرة على حكمه ويسأله أن يعلمه الذى يرى فيه فكتب أبو العباس لا حكم لابن هبيرة عندى الا السيف فلما انتهى الكتاب بذلك الى أبى جعفر كتمه عن جميع الناس وقال لحاجبه مر ابن هبيرة اذا ركب الينا أن لا يركب الا فى غلام واحد ويدع عنه هذه الجماعات فلما كان من غد ركب ابن هبيرة الى أبى جعفر فى موكب عظيم فقال له سلاّم الحاجب أبا خالد كأنك انما تأتى ولى العهد مباهيا ولا تأتيه مسلما قال ابن هبيرة ان كنتم كرهتم ذلك لم آتكم إلا فى غلام واحد قال فلا تأتنا الا فى غلام واحد فانى لم أقل ذلك استخفافا بحقك الا ان أهل خراسان ينكرون كثرة من يركب معك فكان ابن هبيرة بعد ذلك لا يأتيهم الا فى غلام واحد فيدخل ويسلم وينصرف ثم ان أبا جعفر قال للحسن بن قحطبة اجمع اليك أبا بكر العقيلى والحوثرة بن سهل ومحمد بن نُبانة وعبد الله بن بشر وطارق بن قدامة وسُويد بن الحرث المزنى وهؤلاء كانوا قوّاد يزيد بن عمر فاذا اجتمعوا عندك فاضرب أعناقهم وائتنى بخواتيمهم ووجه حرسا يحرسون ابن هبيرة لا نفذ فيه أمر الامام أبى العباس فانطلق الحسن بن قحطبة فأنفذ أمره فى أولئك وأتاه بخواتيمهم قال فما نطق منهم أحد عند قتله وما كان منه جزع ولا امتناع فلما كان فى اليوم الثانى دعا

أبو جعفر خازم بن خزيمة وابراهيم بن عقيل فقال لهما انطلقا فى عشرة نفرمن الحرس حتى تدخلا على ابن هبيرة فتقتلاه فأقبلا حتى دخلا عليه عند طلوع الشمس وهو جالس فى مسجده فى القصر مسند ظهره الى المحراب ووجهه الى رحبة القصر فلما نظر اليهم قال لحاجبه يا أبا عثمان أحلف بالله ان فى وجوه القوم لشرا فمضى أبو عثمان مستقبلا لهم وقال لهم ما تريدون فبعجه ابراهيم بن عقيل بالسيف فقتله وقام ابراهيم ابنه فى وجوه القوم فقُتل ثم قام ابنه داود في وجوههم فقتل ثم قام كاتبه عمرو فقتل وأقبلوا نحو ابن هبيرة فلما دنوا منه حول وجهه الى القبلة وسجد فضربوه بأسيافهم حتى خمد ثم انصرفا الى أبي جعفر فأخبراه بذلك فأمر أبو جعفر مناديا فنادى أيها الناس أنتم آمنون الا الحكم بن عبد الملك بن بشر ومحمد بن ذر وخالد بن سلمة المخزومى قال الهيثم فحدّثنى أبى قال قال محمد بن ذرّ فضاقت علىّ الارض برحبها فخرجت ليلا من مدينة واسط على قدمىّ وأنا أقرأ آية الكرسى فما عرض لى أحد من الناس حتى نجوت فلم أزل خائفا حتى استأمن لى زياد بن عبد الله من الامام أبي العباس فآمننى . قال وهرب الحكم بن عبد الملك الى كسكر فاستخفى بها وضاقت بخالد بن سلمة المخزومى الارض فأتى باب أبي جعفر المنصور ليلا فاستأمن له فأمنه ثم نودى أيها الناس أنتم جميعا آمنون يا اهل الشام الحقوا بشامكم ويا اهل الحجاز الحقوا بحجازكم فسكن الناس وأمنوا واطمأنوا . واستعمل المنصور على واسط الهيثم بن زياد الخزاعى في خمسة آلاف فارس من اهل خراسان ثم انصرف بسائر الناس حتى قدم على الامام ابى العباس وهو بالحيرة . ثم

ان الامام سار من الحيرة فى جموعه حتى أتى الانبار فاستطابها فابتنى بها مدينة بأعلى المدينة عظيمةً لنفسه وجموعه وقسمها خططا بين أصحابه من أهل خراسان و بنى لنفسه فى وسطها قصرا عاليا منيفا فسكنه وأقام بتلك المدينة طول خلافته وتسمى الى اليوم مدينة أبى العباس ثم ان أبا العباس وجّه أخاه أبا جعفر المنصور الى خراسان وأمره أن يأتى أبا مسلم فيناظره فى بعض الامور ووجه معه ثلاثين رجلا من وجوه القوّاد وفيهم الحجاج بن ازطاة الفقيه واسحاق بن الفضل الهاشمىّ فلما قدم المنصور على أبى مسلم لم يبالغ أبو مسلم فى برّه وا كرامه ولم يُظهر السرور التام بقدومه فانصرف الى أبى العباس وقال لستَ بخليفة ما دام أبو مسلم حيّا فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك فلقد رأيتُه وكأنه لا أحدٌ فوقه ومثله لا يؤمن غدرُه ونكثه فقال أبو العباس وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أُشرب قلوبهم حبّه واتّباعَ أمره وايثارَ طاعته فقال أبو جعفر فذاك والله أحرى أن لا تأمنه فاحتل له فقال أبو العباس يا أخى اضرب عن هذا ولا تعلمن رأيك فى ذلك أحدا . وان أبا العباس قال ذات يوم للحجّاج بن أرطاة وقد خلا معه ما تقول فى أبى مسلم فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول فى كتابه (لوْ كانَ فيهما آلهةٌ الاّ اللهُ لفَسَدَتَا) قال أبو العباس أمسكْ فقد فهمتُ ما أردت ثم ان أبا مسلم وجّه محمد بن الاشعث بن عبد الرحمن أميرا على فارس ورأى أبو العباس أن يستعمل عليها عمّه عيسى بن علىّ فعقد له عليها وأمره بالمسير اليها فلما قدم عيسى على محمد بن الاشعث أبى أن يسلم اليه فقال له عيسى

ياابن الاشعث ألست فى طاعة الامام أبى العباس قال بلى غير ان أبامسلم أمرنى ألا اسلّم لعمل الى أحد من الناس قال عيسى فانما أبو مسلم عبد للامام وان الامام لا يرضى أن يرد أمره قال محمد دع عنك هذا لستُ أسلم العمل اليك الا بكتاب أبى مسلم فانصرف عيسى الى أبى العباس فأخبره ذلك فكظم وأمر عمه بالمقام عنده فأقام . وان أبا مسلم عقد للمغلس بن السرى على أرض طخارستان حتى وافاها فخرج اليه منصور مستعدا للحرب فالتقوا فاقتتلوا فكان الظفر للمغلس وهرب منصور فى نفر من أصحابه حتى وقعوا فى الرمال فماتوا عطشا وأقام المغلس على باب بلاد السند . وان أبا مسلم كتب الى الامام أبى العباس يستأذنه فى القدوم عليه والمقام عنده الى أوان الحج ليحج فأذن له أبو العباس فى ذلك فسار أبو مسلم حتى اذا قارب الامام أمر أبو العباس جميع من كان معه بالحضرة من القوّاد والأشراف أن يستقبلوه فاستقبل بالكرامة وترجل له الاشراف والقوّاد وأقبل حتى وافى مدينة أبى العباس فأنزله معه فى قصره ولم يأل جهده فى بره واكرامه حتى اذا حان وقت الحج استأذنه فى الحج فقال له أبو العباس لولا ان أخى أبا جعفر قد عزم على الحج لوليتك الموسم فكونا جميعا قال أبو مسلم وذاك أحب الىّ ثم خرجا فكان يرتحل أبو جعفر وينزل أبو مسلم حتى وافيا مكة فقضيا حجهما وانصرفا

(خلافة أبى جعفر المنصور)

فلما وصل أبو جعفر الى ذات عرق فى منصرفه أتاه نعىُ الامام أبى العباس فأقام بمكانه حتى وافاه أبو مسلم فأخبره بوفاة أبى العباس فخنقت أبا

مسلم العبرة وقال رحم الله أمير المؤمنين انا لله وانا اليه راجعون فقال أبو جعفر
انى قد رأيت أن تخلف أثقالك ومن معك من جنودك علىّ فيكونوا معى
وتركب أنت فى عشرة نفر البريد حتى ترد الانبار فتضبط العسكر وتسكّن
الناس قال أبو مسلم أفعل فركب فى عشرة نفر من خاصته وسار بالحث الشديد
حتى وافى العراق وانتهى الى مدينة أبى العباس بالانبار فوجد عيسى بن علىّ
ابن عبد الله بن عباس قد دعا الناس الى بيعته وخلع ولاية العهد عن أبى
جعفر فلما رأوا أبا مسلم مالوا معه وتركوا عيسى فلما وافى أبو جعفر اعتذر اليه
عيسى وأعلمه أنه انما أراد بذلك ضبط العسكر وحفظ الخزائن وبيوت الاموال
فقبل أبو جعفر منه ذلك ولم يؤاخذه بما كان منه . واجتمع الناس وبايعوا
المنصور أبا جعفر ثم أتاه انتقاضُ الشام وقد كان أبو العباس استعمل عليها
عمه عبد الله بن علىّ فلما بلغه وفاة أبى العباس دعا لنفسه واستمال من كان معه
من جنود خراسان فمالوا معه فلما بلغ أبا جعفر ذلك قال لأبى مسلم أيها الرجل
انما هو أنا أو أنت فاما أن تسير الى الشام فتصلح أمرها أو أسير أنا قال أبو
مسلم بل أسير أنا فاستعد وسار فى اثنى عشر الفا من أبطال جنود خراسان
حتى اذا وافى الشام انحاز اليه من كان بها من الجنود جميعهم و بقى عبد الله
ابن علىّ وحده فعفا أبو مسلم عنه ولم يؤاخذه بما كان منه . وكانت خلافة
أبى العباس أربع سنين وستة أشهر وان أبا جعفر عند مسير أبى مسلم نحو
الشام وجه يقطين بن موسى فى أثر أبي مسلم وقال ان تكن هناك غنائم فتول
قبضها و بلغ ذلك أبا مسلم فشق عليه وقال ان أمير المؤمنين لم يأتمنى على

ماهاهنا حتى استظهر عليّ بأمين ودخلته من ذلك وحشة شديدة . ولما بلغ
المنصور اصلاح الشام كره المقام بمدينة أبي العباس التي بالانبار فسار بعسكره
الى المدائن فنزل المدينة التي تدعى الرومية وهي من المدائن على فرسخ
وهي المدينة التي بناها كسرى أنوشروان وأنزلها السبي الذي سباه من بلاد
الروم فأقام المنصور بتلك المدينة . وان أبا مسلم انصرف فأخذ على الفرات
حتى وافى العراق على الانبار وجاز حتى وافى كرخ بغداد وهي اذذاك قرية
ثم عبر دجلة من بغداد وأخذ طريق خراسان وترك طريق المدائن وبلغ
ذلك أبا جعفر فكتب الى أبي مسلم أريد مناظرتك في أمور لم يحتملها
الكتاب فخلف عسكرك حيث ينتهي اليك كتابي فاقدم عليّ فلم يلتفت أبو
مسلم الى كتاب المنصور ولم يعبأ به وكان مع المنصور رجل من ولد جرير
ابن عبد الله البجليّ واسمه جرير بن يزيد بن عبد الله وكانت له خلابة
وتأنّ في الامور ومكيدة فقال له أبو جعفر اركب البريد حتى تلحق أبا مسلم
فتحاول رده اليّ فانه قد مضى مغاضبا ولا آمن افساده عليّ وتأنَّ في رده
بأفضل التأني فسار الرجل حتى لحقه في بعض الطريق وقد نزل بعض المنازل
بعسكره فدخل عليه مضربه فقال أيها الأمير أجهدتَ نفسك وأسهرت
ليلك وأتعبت نهارك في نصرة مواليك وأهل بيت نبيك حتى اذا استحكم لهم
الامر وتوطد لهم السلطان ونلت أمنيتك فيهم تنصرف على هذه الحال فما
تقول الناس ألا تعلم أن ذلك مطعنة عليك ومسبة في حياتك وبعد وفاتك
فلم يزل به حتى عزم على الانصراف معه الى المنصور وخلف عسكره بمكانه

ذلك وسار منصرفا فى الف فارس من أفاضل من كان معه من جنود خراسان والقوّاد وقد كان أبو مسلم يقول ان المنجمين أخبرونى أن لاأقتل الا بالروم حتى وافى أبا جعفر بالرومية فدخل عليه فقام اليه أبو جعفر وعانقه وأظهر السرور بانصرافه وقال له كدتَ تمضى من قبل أن أراك وأُفضى اليك بما أريد فقم فضع عنك ثيابك وانزل حتى يذهب كلال السير عنك فخرج أبو مسلم الى قصر قد أُعدّ له ونزل أصحابه حوله فمكث ثلاثة أيام يغدو كل يوم الى أبى جعفر فيدخل على دابته حتى ينتهى الى باب المجلس الذى فيه الامام فينزل ويدخل اليه فيجلس عنده مليا فيتناظران فى الامور فلما كان فى اليوم الرابع وطّن له أبو جعفر عثمان بن نهيك وكان على حرسه وشبث بن روح وكان على شرطته وأبا فلان بن عبد الله وكان على الخيل وأمرهم أن يكمنوا فى بيت الى جنب المجلس الذى كان فيه وقال لهم اذا أنا صفقتُ يدىّ ثلاثا فاخرجوا الى أبى مسلم فبضعوه وأمر الحاجب اذا دخل أبو مسلم أن يأخذ عنه سيفه وأقبل أبو مسلم فدخل وأخذ الحاجب سيفه فدخل مغضبا وقال ياأمير المؤمنين فُعل بى مالم يفعل بى مثله قط أُخذ السيف من عاتقى قال أبو جعفر ومن أخذه لعنه الله اجلس لاعليك فجلس وعليه قباء أسود خزّ ووضع له متكأ ولم يكن فى البيت غيرهما فقال أبو جعفر ما أردت بمضيّك نحو خراسان قبل لقائى قال أبو مسلم لأنك وجهتَ فى أثرى الى الشام أمينا فى احصاء الغنائم أما وثقتَ بى فيها فأغلظ له أبو جعفر الكلام فقال يا أمير المؤمنين أنسيت حسن بلائى وفضل قيامى واتعابى نفسى ليلى ونهارى حتى

سقتُ هـذا السلطان اليكم قال أبو جعفر ياابن الخبيثة والله لو قامت مقامك
أمة سوداء لاغنت غناك انما تأتى لك الامور فى ذلك بما أحبّ الله من
اظهار دعوتنا أهـل البيت وردّ حقنـا الينا ولو كان ذلك بحولك وحيلتك
وقوّتك ما قطعتَ فتيلا ألستَ ياابن اللخناء الذى كتبتَ الىّ تخطب عمتى
آمنة بنت علىّ بن عبد الله وتزعم فى كتابك انك ابن سليط بن عبـد الله
ابن عباس لقد ارتقيتَ مرتقًى صعبا فقال أبو مسلم ياأمير المؤمنين لا تُدخل
على نفسك الغمّ والغيظ بسببى فانى أصغر قدرًا من أن أبلغ منك هذا فصفّق
أبو جعفر بكفّيه ثلاثا وخرج عليه القوم بالسيوف فلما رآهم أبو مسلم أيقن بالامر
فقام الى أبى جعفر فتناول رجله ليقبلها فرفسه أبو جعفر برجله فوقع ناحية فأخذته
السيوف فقال أبو مسلم أما من سلاح يحامى به المرء عن نفسه فضربوه حتى
خمد وأمر به أبو جعفر فلُف فى بساط ووضع ناحيةً من البيت وقـد كان أبو
مسلم قبل دخوله على أبى جعفر قال لعيسى بن علىّ ادخـل معى الى أمير
المؤمنين فانى أريد معاتبته فى بعض الامور فقال له عيسى تقـدّم فانى على
أثرك فأقبل عيسى حتى دخل على أبى جعفر فقال ياأمير المؤمنين أين أبو
مسلم قال أبو جعفر هاهوذاك ملفوف فى ذلك البساط قال عيسى أقتلته انّا لله
فكيف تصنع بجنوده وهؤلاء قد جعلوه ربّا فأمر أبو جعفر فهيّئت ألف صرّة
فى كلّ صرّة ثلاثة آلاف درهم وأحسّ أصحاب أبى مسلم بالأمر فصاحوا
وسلّوا السيوف فأمر أبو جعفر بتلك الصرر فقُذفت اليهم مع رأس أبى مسلم
وصعد عيسى بن علىّ الى أعلى القصر وقال يا أهـل خراسان انما كان أبو

مسلم عبدا من عبيد أمير المؤمنين وجدَ عليه فقتله فليفرخ روعكم فان أمير المؤمنين بالغٌ آمالكم فترجل القوم وتناولوا تلك الصرر كل واحد صرّة وتُرك الرأس مقذوفا ثم ان أبا جعفر وضع لاصحاب أبي مسلم العطاء ووجه الاموال الى عسكر أبي مسلم حيث خلّفه فاسنى لهم العطاء وكتب كتابا فقرئ عليهم يبسط فيه آمالهم وأجزل صِلات القوّاد والاشراف منهم فأرضاهم ذلك. واستدفت الخلافة لأبي جعفر المنصور سنة ثمان وثلاثين ومائة فوجه عماله الى أقطار الأرض

(بناء بغداد)

وان أبا جعفر أحبّ أن يبني لنفسه وجنوده مدينة ليتخذها دار المملكة فسار بنفسه يرتاد الاماكن حتى انتهى الى بغداد وهي اذ ذاك قرية يقوم بها سوق في كلّ شهر فأعجبه المكان فخطّ لنفسه وحشمه ومواليه وولده وأهل بيته المدينة وسمّاها مدينة السلام وبنى قصره وسطها الى المسجد الأعظم ثم خطّ لجنوده حول المدينة وجعل أهل كلّ بلد من خراسان في ناحية منها منفردة وأمر الناس بالبناء ووسع عليهم في النفقات وأمر بحفر نهر الفرات من ثمانية فراسخ وفوّهة النهر من دِمّا فاجرى الى بغداد ليأتي فيه موادّ الشام والجزيرة كما تأتي موادّ الموصل وما اتصل بالموصل في دجلة وكان بناؤه ايّاها في سنة تسع وثلاثين ومائة . ثم ان أبا جعفر حجّ بالناس سنة أربعين ومائة وجعل منصرفه على مدينة الرسول فوضع لاهلها العطاء فأسنى لهم في الرزق وفرّق فيهم الجوائز ومضى نحو الشام قاصدا لبيت المقدس حتى وافاها فأقام

بها شهرا ثم سار الى الرقّة فأقام بها بقيّة عامه ذلك ثم سار من الرقّة حتى وافى مدينة السلام فأقام بها حولا كاملا

(خروج الراوندية)

ثمّ سار منها سنة اثنتين وأربعين ومائة نحو البصرة حتى وافاها فبلغه ان الراوندية تداعوا وخرجوا يطلبون بثأر أبى مسلم وخلعوا الطاعة فوجّه اليهم خازم ابن خزيمة فقتلهم و بدّدهم فى الارض ثم عقد لمَعْن بن زائدة من البصرة على اليمن وأقام عامه ذلك بالبصرة

(نصيحة عمرو بن عبيد للمنصور)

وزعموا ان عمرو بن عبيد دخل اليه فلما رآه أبو جعفر صافحه وأجلسه الى جانبه فتكلم عمرو فقال ياأمير المؤمنين ان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشترِ نفسك من الله ببعضها واعلم بأن الله لا يرضى منك الا بما ترضاه منه فانك لا ترضى من الله الا بأن يعدل عليك وان الله لا يرضى منك الا بالعدل فى رعيتك يا أمير المؤمنين انّ من وراء بابك نيرانا تأجّجُ من الجور وما يُعمل من وراء بابك بكتاب الله ولا بسنّة رسول الله ياأمير المؤمنين (ألَمْ تَرَ كيفَ فعلَ ربُّك بعاد إرَم ذات العماد) حتى أتى على آخر السورة ثم قال ولمن عمل والله بمثل عملهم قالوا فبكى أبو جعفر فقال ابن مجالد مَهْ ياعمرو قد شققتَ على أمير المؤمنين منذ اليوم قال عمرو من هذا ياأمير المؤمنين قال هذا أخوك ابن مجالد قال عمرو ياأمير المؤمنين ما أحدٌ أعدى لك من ابن مجالد أيطوى عنك النصيحة و يمنعك من ينصحك وانك لمبعوث وموقوف ومسؤول عن مثاقيل الذرّ

من الخير والشرّ قال فرمى اليه أبو جعفر بخاتمه وقال قد ولّيتك ما وراء بابى فادعُ أصحابك فولّهم فقال ان أصحابى لن يأتوك حتى يروك قد عملتَ بالعدل كما قلتَ بالعدل ثم انصرف. وسار أبو جعفر من البصرة سنة ثلاث وأربعين نحو الجبل حتى وافى مدينة نهاوند وقد كان بلغه طيبُها فأقام بها شهرا ثمّ انصرف حتى أتى المدائن فأقام بها بقية عامه ذلك وعقد منها لخُزيمة بن خازم على جميع طبرستان حتى اذا آن أوان الحجّ خرج منها حاجّا سنة أربع وأربعين ومائة ونزل الرَبَذة فلما قضى حجه انصرف ولم يدخل المدينة

(خروج محمد بن عبد الله على المنصور)

وفى ذلك العام خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام الملقب بالنفس الزكية فوجه اليه أبو جعفر عيسى ابن موسى بن علىّ فى خيل فقتل رحمه الله وخرج أخوه ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن فقتل رضوان الله عليهم

(وفاة المنصور)

وفى سنة ثمان وخمسين ومائة حجّ أبو جعفر فنزل الأبطح على بئر ميمون فمرض بها وتوفى غداة السبت لست خلون من ذى الحجة فأقام الحجّ للناس فى ذلك العام ابراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن العباس وصلى على أبى جعفر عيسى بن موسى فكانت الخلافة عشرين سنة وتوفى وله ثلاث وستون سنة ودفن بأعلى مكة

(خلافة محمد المهدى)

ثم بويع للمهدى بن المنصور يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة وفى ذلك العام أمر المهدىّ باتّخاذ المقاصير فى جميع مساجد الجماعات ثم حج المهدى سنة ستين ومائة فانصرف على المدينة فأمر أن يشترى ماحول المسجد من المنازل والدور فيوسع به المسجد وفى سنة اثنتين وستين ومائة خرجت المحمرة بجرجان فسار اليهم عمر بن العلاء ففرّقهم وفى ذلك العام عقد المهدى ولاية العهد لابنه موسى الهادى ومن بعده لابنه هرون الرشيد وفى سنة تسع وستين خرج موسى بن المهدىّ الى جرجان وخرج المهدىّ الى ماسبذان فأقام بها متنزها ومات بها وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ونصفا

(خلافة موسى الهادى)

وأتت الخلافة موسى الهادى وهو بجرجان وبويع بمدينة السلام لثمان بقين من المحرّم وفى ذلك العام خرج الحسين بن علىّ بن الحسن بالمدينة وسار نحو مكة فلقيه عيسى بن موسى والعباس بن علىّ فقتلاه . وفى سنة سبعين ومائة توفى الامام موسى بن المهدى بعيسياباذ فى النصف من شهر ربيع الاول وكان له يوم توفى أربع وعشرون سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وأربعة وعشرين يوما .

(خلافة هارون الرشيد)

وفى ذلك العام استخلف هرون الرشيد وحج وانصرف على المدينة

فوضع لأهلها العطاء وأجزل لهم فأقبل الى العراق فوافى الكوفة . وعقد لأبى
العباس الطوسىّ على خراسان فلبث عليها عامين ثم عزله واستعمل عليها محمد
ابن الأشعث وفى سنة أربع وسبعين ومائة وقعت العصبية بأرض الشام بين
المضرية واليمانية فتحاربوا حتى قتل بين الفريقين بشر كثير . وحجّ الرشيد
فى ذلك العام بالناس ومعه ابناه محمد وعبد الله وكتب بينهما كتابا بولاية
العهد لمحمد ومن بعده لعبد الله المأمون وعلق الكتاب فى جوف الكعبة ثم
انصرف الى مدينة السلام واستعمل على خراسان الغطريف بن عطاء . قال
علىّ بن حمزة الكسائى ولاّنى الرشيد تأديب محمد وعبد الله فكنت أشدد
عليهما فى الأدب وآخذهما به أخذا شديدا وبخاصة محمدا فأتتنى ذات يوم
خالصة جارية أمّ جعفر فقالت يا كسائى ان السيدة تقرأ عليك السلام وتقول
لك حاجتى اليك ان ترفق بابنى محمد فانه ثمرة فؤادى وقرّة عينى وأنا أرقّ
عليه رقةً شديدة فقلتُ لخالصة ان محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه ولا يجوز
التقصير فى بابه فقالت خالصة ان لرقة السيدة سببا انا مخبرتك به انها فى الليلة
التى ولدته أريت فى منامها كان أربع نسوة أقبلن اليه فاكتنفنه عن يمينه وشماله
وأمامه وورائه فقالت التى بين يديه ملك قليل العمر ضيق الصدر عظيم
الكبر واهى الأمر كثير الوزر شديد الغدر وقالت التى من ورائه ملك
قصاف مبذر متلاف قليل الانصاف كثير الاسراف وقالت التى عن يمينه
ملك ضخم قليل الحلم كثير الاثم قطوع للرحم وقالت التى عن يساره ملك
غدار كثير العثار سريع الدمار ثم بكت خالصة وقالت يا كسائىّ وهل يغنى

الحذر . وذكر عن الأصمعيّ قال دخلتُ على الرشيد وكنت غبت عنه
حولين بالبصرة فأومأ الىّ بالجلوس قريبا منه فجلستُ قليلا ثم نهضت فاومأ
الىّ أن اجلس فجلست حتى خف الناس ثم قال لى ياأصمعيّ ألا تحب أن
ترى محمدا وعبد الله قلت بلى ياأمير المؤمنين انى لأحبّ ذلك وما أردت
القيام الا اليهما لاسلّم عليهما قال تكفى ثم قال علىّ بمحمد وعبد الله فانطلق
الرسول وقال أجيبا أمير المؤمنين فأقبلا كأنهما قمرا أفق قد قاربا خطاهما وضربا
ببصرهما الارض حتى وقفا على أبيهما فسلما عليه بالخلافة وأومأ اليهما فدنيا
منه فأجلس محمدا عن يمينه وعبد الله عن شماله ثم أمرنى بمطارحتهما فكنت
لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الأدب الا أجابا فيه وأصابا فقال كيف ترى
أدبهما قلت يا أمير المؤمنين ما رأيتُ مثلهما فى ذكائهما وجودة ذهنهما فأطال
الله بقاءهما ورزق الامة من رأفتهما ومعطفتهما فضمهما الى صدره وسبقته
عبرته حتى تحدّرت دموعه ثم أذن لهما حتى اذا نهضا وخرجا قال كيف بكم
اذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويود
كثير من الاحياء انهم كانوا موتى قلت ياأمير المؤمنين هذا شئ قضى به
المنجمون عند مولدهما أو شئ أثرته العلماء فى أمرهما قال لا بل شئ أثرته
العلماء عن الأوصياء عن الانبياء فى أمرهما قالوا فكان المأمون يقول فى
خلافته قد كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد
فلذلك قال ماقال . قال الاصمعىّ وكان الرشيد يحبّ السمر ويشتهى أحاديث
الناس فكان يرسل الىّ اذا نشط لذلك وجن عليه الليل فأسامره فأتيت

ذات ليلة ولم يكن عنـده أحد فسامرته ساعة ثم أطرق وفكر ثم قال ياغلام علىّ بالعباسىّ يعنى الفضل بن الربيع فحضر ودخـل فأذن له بالجلوس فقال ياعباسىّ انى عنيتُ بتولية العهد ومثبتٌ الأمرَ فى محمد وعبد الله وقد علمتَ أنى ان وليتُ محمدا مع ركوبه هواه وانهماكه فى اللهو واللذات خالط على الرعية وضيع الرأى حتى يطمع فيه الأقاصى من أهـل البغى والمعاصى وان صرفت الأمر الى عبد الله ليسلكن بهم المحجة وليصلحن المملكة وان فيه لحزم المنصور وشجاعة المهدى فما ترى قال الفضل ياأميرالمؤمنين ان هذا أمر خطير عظيم والزلة فيه لاتستقال وللكلام فيه مكان غيرهذا فعلمتُ انهما يحبان الخلوة فقمت عنهما وجلست ناحيـة من صحن الدار فما زالا يتناظران الى أن أصبحا واتفق رأيهما على تولية محمد العهد وتصيير عبد الله من بعده وقسمة الاموال والجنود بينهما وأن يقيم محمد بدار الخلافة ويتولى المـأمون خراسان فلمـا أصبح أمر بجمع القواد فاجتمعوا اليه فدعاهم الى بيعة محمد ومن بعده الى بيعة المأمون فأجابوا الى ذلك وبايعوا . وفى سنة ثمانين ومائة عقد الرشيد لعلىّ بن عيسى بن ماهان على خراسان وفى ذلك العام خرج الرشيد الى أرض الشام وأخذ على الموصل فلمـا وافاها أمر بهدم مدينتها وقد كانوا وثبوا بعامله . وفى ذلك العام وثب أهل خراسان بعاملهم فقتلوه فأقام بالشام عامه ذلك ثم خرج حاجا فلما انصرف قصد الانبار فنزل بمدينة أبى العباس وهى من الانبار على نصف فرسخ وقد كان بقى بها جمع عظيم من أبناء أهل خراسان توالدوا بها حتى كثروا فهم الى الآن فأقام بها شهرا ثم توجّه منهـا

الى الرقة فأقام بها شهرا وخرج منها غازيا الى أرض الروم فافتتح مدينــة من مدائنهم تسمى ..مصوفا ثم انصرف إلى الرقة فأقام بها بقية عامه ذلك . فلمــا كان أوان الحج حج فقضى نسكه وجعل منصرفه على الرقة فأقام بهــا وولى يزيد بن مزيد ارمينية ثم قدم من الرقة سنة أربع وثمــانين ومائة حتى وافى مدينة السلام ونزل قصره بالرصافة وأخذ عمــاله بالبقايا . ثم سار من مدينــة السلام فى سنة خمس وثمانين ومائة عائدا الى الرقة وقد كان استطابها فلما كان أوان الحج حج فمر بالمدينة فأعطاهم ثلاث أعطيات وأعطى أهل مكة عطاءين ثم انصرف فقصد الانبار فأقام بها شهرا ثم انصرف الى مدينة السلام ثم عقد البيعة لابنه القاسم بعد محمد وعبد الله وولاه الشام فوجه القاسم عليها عماله . وحج الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة وانصرف فنزل الحيرة وأقام بهــا أياما ثم دخل مدينة السلام . وفى سنة تسع وثمانين سار الى الرىّ فأقامبها شهرا ثم انصرف نحو مدينة السلام فضحى بقصر اللصوص ثم دخل بغداد ولم ينزلها ومضى حتى انتهى الى السالحين وهى من مدينة السلام على ثلاثة فراسخ فبات بها ثم سار عامدا للرقة حتى وافاها وأمر عند ممره ببغداد بجثية جعفر بن يحيى أن تُحرَق وأقام بالرقة بقية ذلك العام فلما دخلت سنة تسعين ومائة خرج غازيا لارض الروم حتى وغل فيها وانتهى الى هرِقْلة فافتتحها . وفى ذلك العام خرج رافع بن نصر بن سيار مغاضبا بأرض خراسان وكان سبب خروجه أن علىّ بن عيسى بن ماهان لمــا ولى خراسان أساء السيرة وتحامل على من كان بها من العرب وأظهر الجور فخرج عليه رافع فواقعه وقعات ثم انحاز فيمن اتبعه من

أهل خراسان وكانوا زهاء ثلاثين ألف رجل فى سمرقند وأقام بمدينتها وبلغ ذلك الرشيد فعزل عليّ بن عيسى عنها واستعمل عليها هَرْثمة بن أعْين ثم انصرف الرشيد قافلا من الروم حتى نزل مدينة السلام عامه ذلك واستخلف ابنه محمدا على دار المملكة وخرج عامدا لارض خراسان ليتولّى حرب نافع بنفسه. ودخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة وفيها خرجت الخُرَّمّية بأرض الجبل فى المرّة الاولى فوجه اليهم محمدا الامين بعبدالله بن مالك الخزاعىّ فقتل منهم مقتلة عظيمة وشرّد بقيّتهم فى البلدان وسار الرشيد حتى وافى مدينة طوس فنزل فى دار حميد الطوسىّ ومرض بها مرضا شديدا فجمع له الاطباء يعالجونه فقال

انّ الطبيبَ بطبّه ودوائِه لا يستطيع دِفاع مَحذُورٍ جَرى
ما للطبيب يموتُ بالداء الذى قد كان يَشفى مثله فيما مضَى

فلما اشتدّ به الوجع قال للفضل بن الربيع يا عبّاسىّ ما تقول الناس قال يقولون ان شانئ أمير المؤمنين قد مات فأمر أن يُسْرَج له حمار ليركبه ويخرج فأُسرج له وحُمل حتى وُضع على السرج فاسترخت فخذاه ولم يستطع الثبوت فقال أُرَى الناس قد صدقوا ثم توفى وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائة يوم السبت لخمس ليال خلون من جمادى الآخرة وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا ونصفا

(خلافة محمد الامين)

فأتت الخلافة محمدا الأمين ببغداد يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ونعاه للناس يوم الجمعة ودعاهم الى تجديد البيعة فبايعوا. ووصل الخبر

بوفاة الرشيد الى المأمون وهو بمدينة مرو يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر فركب الى المسجد الاعظم ونودى فى الجنود وسائر الوجوه فاجتمعوا وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبىّ وآله ثم قال أيها الناس أحسن الله عزاءنا وعزاءكم فى الخليفة الماضى صلوات الله عليه وبارك لنا ولكم فى خليفتكم الحادث مد الله فى عمره ثم خنقته العبرة فمسح عينه بسواده ثم قال يا أهل خراسان جدّدوا البيعة لامامكم الامين فبايعه الناس جميعا ولما أتت الخلافة محمدا وبايعه الناس دخل عليه الشعراء وفيهم الحسن بن هانئ فأنشدوه وقلم الحسن فى آخرهم فأنشده قوله

الا دارِها بالماء حتى تُلينَها   فلنْ تُكرمَ الصهباءَ حتى تُهينَها
وحمراءَ قبلَ المزجِ صفراءَ بعدَه   كأنّ شُعاعَ الشمسِ يَلقاكَ دُونَها
كأنّ يواقيتاً رَوا كدَ حولَها   وزُرْقَ سنانيرٍ تُديرُ عيونَها
لقد جلّل اللهُ الكرامةَ أُمّةً   يكون أميرُ المؤمنين أمينَها
حميتَ حِماها بالقنابل والقنا   ووفّرتَ دُنياها عليها ودينَها
يَرَاكَ بنو المنصورِ أولاهم بها   وان أظهروا غيرَ الذى يكتمونها

فوصلهم جميعا وفضّله . ثم ان محمدا الامين دعا اسماعيل بن صبيح كاتب السر فقال ما الذى ترى يا ابن صبيح قال أرى دولة مباركة وخلافة مستقيمة وأمرا مقبلا فتمّم الله ذلك لأمير المؤمنين بأفضله وأجزله قال له محمد انى لم أبعثك قاصًا انما أردتُ منك الرأى قال اسماعيل ان رأى أمير المؤمنين أن يوضح لى الأمر لأشير عليه بمبلغ رأيى ونُصحى فعل قال انى قد رأيتُ أن أعزل

أخى عبد الله عن خراسان وأستعمل عليها موسى بن أمير المؤمنين قال اسماعيل
أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تنقض ما اسّسه الرشيد ومهده وشيد أركانه قال
محمد ان الرشيد مُوّه عليه فى أمر عبد الله بالزَخرَفة ويحك يا ابن صبيح ان
عبد الملك بن مروان كان أحزم رأيا منك حيث قال لا يجتمع فحلان فى هجمة
الا قتل أحدهما صاحبه قال اسمعيل أما اذا كان هذا رأيك فلا تجاهره بل
اكتب اليه وأعلمه حاجتك اليه بالحضرة ليعينك على ما قلدك الله من أمر
عباده و بلاده فاذا قدم عليك وفرّقت بينه و بين جنده كسرت حده
وظفرت به وصار رهنا فى يديك فائت فى أمره ماأردت قال محمد أجدت يا ابن
صبيح وأصبت هذا لعمرى الرأى . ثم كتب اليه يعلمه ان الذى قلده الله من
أمر الخلافة والسياسة قد أثقله و يسأله أن يقدم عليه ليعينه على أموره و يشير
عليه بما فيه مصلحته فان ذلك أعود على أمير المؤمنين من مقامه بخراسان وأعمر
للبلاد وأدرّ للفىء وأكبت للعدو وآمن للبيضة ثم وجه الكتاب مع العباس
ابن موسى ومحمد بن عيسى وصالح صاحب المصلّى فساروا نحو خراسان
فاستقبلهم طاهر بن الحسين مقبلا من عند المأمون على ولاية الرّى حتى
انتهوا الى المأمون وهو بمدينة مرو فدخلوا عليه وأوصلوا الكتاب اليه
وتكلّموا فذكروا حاجة أمير المؤمنين الامين اليه وما يرجو فى قربه من
بسط المملكة والقوّة على العدو فأبلغوا فى مقالتهم وأمر المأمون بانزالهم
واكرامهم . ولما جنّ عليه الليل بعث الى الفضل بن سهل وكان أخص وزرائه
عنده وأوثقهم فى نفسه وقد كان جرَّب منه وثاقة رأى وفضل حزم فلما أتاه

خلا به وأقرأه كتاب محمد وأخبره بما تكلم به الوفد من أمر التحضيض على المسير الى أخيه ومعاونته على أمره قال الفضل مايريد بك خيرا وما أرى لك الا الامتناع عليه قال المأمون فكيف يمكننى الامتناع عليه والرجال والأموال معه والناس مع المال قال الفضل أجّلنى ليلتى هذه لآتيك غدا بما أرى قال له المأمون امض فى حفظ الله فانصرف الفضل بن سهل الى منزله وكان منجّما فنظر ليلته كلها فى حسابه ونجومه وكان بها ماهرا فلما أصبح غدا على المأمون فأخبره أنه يظهر على محمد ويغلبه ويستولى على الأمر ، فلما قال له ذلك بعث الى الوفد فأحسن صلاتهم وجوائزهم وسألهم أن يحسّنوا أمره عند الأمين ويبسطوا من عذره وكتب معهم اليه أما بعد فان الامام الرشيد ولاّنى هذه الارض على حين كَلَب من عدوها ووَهى من سدّها وضعف من جنودها ومتى أخللتُ بها أو زلت عنها لم آمن انتقاض الامور فيها وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره الى أمير المؤمنين حيث هو فرأىُ أمير المؤمنين فى ان لاينقض ماأبرمه الامام الرشيد . وسار القوم بالكتاب حتى وافوا به الامين وأوصلوا الكتاب اليه فلما قرأه جمع القوّاد اليه فقال لهم انى قد رأيت صرف أخى عبد الله عن خراسان وتصييره معى ليعاوننى فلا غنى بى عنه فما ترون فأُسكت القوم فتكلم خازم بن خزيمة فقال يا أمير المؤمنين لاتحمل قوادك وجنودك على الغدر فيغدروا بك ولا يرون منك نقض العهد فينقضوا عهدك قال محمد ولكن شيخ هذه الدولة علىّ بن عيسى ابن ماهان لايرى مارأيتَ بل يرى أن يكون عبد الله معى ليوازرنى ويحمل

عنى ثقل ماأنا فيه بصدده . ثم قال لعلىّ بن عيسى انى قد رأيت أن تسير بالجيوش الى خراسان فتلى أمرها من تحت يدَىْ موسى ابن أمير المؤمنين فانتخب من الجنود والجيوش على عينك ثم أمر بديوان الجند فدُفع اليه فانتخب ستين ألف رجل من أبطال الجنود وفرسانهم ووضع لهم العطاء وفرّق فيهم السلاح وأمره بالمسير فخرج بالجيوش وركب معه محمد فجعل يوصيه ويقول اكرم من هناك من قوّاد خراسان وضع عن أهل خراسان نصف الخراج ولا تُبق على أحد يشهر عليك سيفا أو يرمى عسكرك بسهم ولا تدع عبد الله يقيم الاثلاثا من يوم تصل اليه حتى تشخصه الى ما قبلى .

وقد كانت زبيدة تقدمت الى علىّ بن عيسى وكان أتاها مودعا فقالت له ان محمدا وان كان ابنى وثمرة فؤادى فان لعبد الله من قلبى نصيبا وافرا من المحبة وأنا التى ربيته وأنا أحنو عليه فاياك أن يبدأه منك مكروه أو تسير أمامه بل سر اذا سرت معه من ورائه وان دعاك فلبه ولا تركب حتى يركب قبلك وخذ بركابه اذا ركب وأظهر له الاجلال والاكرام ثم دفعت اليه قيدا من فضة وقالت ان استعصى عليك فى الشخوص فقيده بهذا القيد .

وان محمدا انصرف عنه بعد أن أوعز اليه وأوصاه بكل ماأراد وسار علىّ بن عيسى بن ماهان حتى صار الى حلوان فاستقبله عير مقبلة من الرىّ فسألهم عن خبر طاهر فأخبروه انه يستعد للحرب فقال وما طاهر ومن طاهر ليس بينه وبين إخلاء الرى الا أن يبلغه أنى قد جاوزتُ عقبة همذان ثم سار حتى خلّف عقبة همذان وراءه فاستقبله عير أخرى فسألهم عن الخبر فقالوا ان طاهرا

قد وضع العطاء لاصحابه وفرق فيهم السلاح واستعد للحرب فقال فى كم هو
فقالوا فى زهاء عشرة آلاف رجل فأقبل الحسن بن علىّ بن عيسى على أبيه
فقال يأبت ان طاهرا لو أراد الهرب لم يقم بالرى يوما واحدا فقال يابنىّ انما
تستعد الرجال لأقرانها وان طاهرا ليس عندى من الرجال الذين يستعدون
لمثلى ويستعد له مثلى . وذكروا ان مشايخ بغداد قالوا لم نر جيشاً كان
أظهر سلاحا ولا أكمل عُدةولا أفرهَ خيلا ولاأنبلَ رجالامن جيش علىّ بن
عيسى يوم خرج انما كانوا نخبا . وان طاهر بن الحسين جمع اليه رؤساء
أصحابه فاستشارهم فى أمره فأشاروا عليه ان يتحصن بمدينة الرى ويحارب
القوم من فوق السور الى أن يأتيه مدد من المأمون فقال لهم ويحكم انى أبصر
بالحرب منكم انى متى تحصنت استضعفت نفسى ومال أهل المدينة اليه لقوته
وصاروا أشد علىّ من عدوى لخوفهم من علىّ بن عيسى ولعله أن يستميل
بعض من معى بالاطماع . والرأى أن أُلفّ الخيل بالخيل والرجال بالرجال والنصر
من الله . ثم نادى فى جنوده بالخروج عن المدينة وان يعسكروا بموضع يقال
له القَلُوصة فلما خرجوا عمد أهل الرىّ الى أبواب مدينتهم فأغلقوها فقال
طاهر لأصحابه يقوم اشتغلوا بمن أمامكم ولا تلتفتوا الى من وراءكم واعلموا
أنه لاوزر لكم ولا ملجأ الا سيوفكم ورماحكم فاجعلوها حصونكم وأقبل
علىّ بن عيسى نحو القلوصة فتواقف العسكران للحرب والتقوا فصدقهم
أصحاب طاهر الحملة فانتقضت تعبية علىّ بن عيسى وكانت منهم جولة شديدة
فناداهم علىّ بن عيسى وقال أيها الناس ثوبوا واحملوا معى فرماه رجل من

أصحاب طاهر فأثبته بعد ان دنا منه وتمكن رماه بنشابة وقعت فى صدره
فنفذت الدرع والسلاح حتى أفضت الى جوفه وخرّ مغشيا عليه ميتاواستوت
الهزيمة بأصحابه فما زال أصحاب طاهر يقتلونهم وهم مولون حتى حال الليل
بينهم وغنموا ما كان فى عسكرهم من السلاح والأموال . و بلغ ذلك محمدا
فعقد لعبد الرحمن الابناوىّ فى ثلاثين الف رجل من الابناء وتقدّم اليهم أن
لا يغتروا كاغترار علىّ بن عيسى ولا يتهاونوا كتهاونه فسار عبد الرحمن حتى
وافى همذان و بلغ ذلك طاهرا فتقدم وسار نحوه فالتقوا جميعا فاقتتلوا شيئاً من
قتال فلم يكن لاصحاب عبد الرحمن ثبات فانهزم واتّبعه أصحابه فدخلوا مدينة
همذان فتحصنوا فيها شهرا حتى نفد ما كان معهم من الزاد قال فطلب عبد
الرحمن الابناوىّ الأمان له ولجميع أصحابه فأعطاه طاهر ذلك ففتح أبواب
المدينة ودخل الفريقان بعضهم فى بعض وسار طاهر حتى هبط العقبة فعسكر
بناحية أسداباذ ففكّر عبد الرحمن وقال كيف أعتذر الى أمير المؤمنين فعبّا
أصحابه فلما طلع الفجر زحف بأصحابه الى طاهر وهو غار فوضع فيهم السيوف
فوقفت طائفة من أصحاب طاهر رجالة يذبون عن أصحابهم حتى ركبوا
واستعدوا ثم حملوا على عبد الرحمن وأصحابه فأكثروا فيهم القتل فلما رأى
ذلك عبد الرحمن ترجل فى حُماة أصحابه فقاتلوا حتى قتل عبد الرحمن وقتلوا
معه و بلغ ذلك محمدا فسقُط فى يده و برّز جنوده فعقد لعبد الله الحرشىّ فى
خمسة آلاف رجل وليحيي بن علىّ بن عيسى فى مثل ذلك فسارا حتى وافيا
قَرْمِيسِين و بلغ طاهرا ذلك فسار نحوهما فانهزما من غير قتال حتى رجعا الى

حلوان فأقاما هناك . فزحف طاهر نحو حلوان فانهزما حتى لحقا ببغداد وأقام
طاهر بحلوان حتى وافاه هرثمة بن أعين من عند المأمون في ثلاثين الف
رجل من جنود خراسان فأخذ طاهر من حلوان نحو البصرة والاهواز وتقدم
هرثمة الى بغداد فلم تقم لمحمد قائمة حتى قُتل وكان من أمره ما كان . وان
طاهر بن الحسين صعد من البصرة وتقدم هرثمة حتى أحدقا ببغداد وأحاطا
بمحمد الامين ونصبا المنجنيق على داره حتى ضاق محمد بذلك ذرعا وكان
هرثمة بن أعين يحب صلاح حال محمد والابقاء على حشاشة نفسه فأرسل
اليه محمد يسأله القيام بأمره واصلاح ما بينه وبين المأمون على أن يخلع نفسه عن
الخلافة ويسلم الامر لأخيه فكتب اليه هرثمة قد كان ينبغى لك أن تدعوالى
ذلك قبل تفاقم الأمر فأما الآن فقد جاوز السيل الزبا وشغل الحليُ أهله أن
يُعارا ومع ذلك فانى مجتهد فى اصلاح أمرك فصر الىّ ليلا لا كتب بصورة
أمرك الى أمير المؤمنين وآخذ لك عهدا وثيقا ولستُ آلو جِدا ولا اجتهادا
فى كل ماعاد بصلاح حالك وقرّبك الى أمير المؤمنين فلما سمع ذلك محمد
استشار نصحاءه ووزراءه فأشاروا بذلك عليه وطمعوا فى بقاء مهجته فلما جنه
الليل ركب في جماعة من خاصته وثقاته وجواريه يريد العبور الى هرثمة
فأحس طاهر بن الحسين بالمراسلة التى جرت بينهما والموافقة التى اتفقا عليها
فلما أقبل محمد وركب بمن معه الماء شد عليه طاهر فأخذه ومن معه ثم دعا به
فى منزله فاحتز رأسه وأنفذه من ساعته الى المأمون وأقبل المأمون حتى دخل
مدينة السلام وصفت له المملكة واستوسقت له الامور وكان قتلُ محمد الامين

ليلة الاحد لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وقتل وله ثمـان وعشرون سنة وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر

(خلافة عبد الله المأمون)

وبويع المأمون وهو عبد الله بن الرشـيد يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وكان شهما بعيد الهمة أبيّ النفس وكان نجم ولد العباس فى العلم والحكمة وقد كان أخذ من جميع العـلوم بقسط وضرب فيها بسهم وهو الذى استخرج كتاب أقليدس من الروم وأمر بترجمته وتفصيله وعقد المجالس فى خلافته للمناظرة في الاديان والمقالات وكان استاذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ودخل بلاد الجزيرة والشام فأقام بها مدة طويلة ثم غزا الروم وفتح فتوحا كثيرة وأبلى بلاءً حسنا ثم توفي على نهر البدندون ودفن بطرسوس يوم الاربعاء لثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت ولايته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما وقد كان بلغ من السن تسعا وثلاثين سنة وقد كان بايع لابنه العباس بن المأمون بولاية العهد من بعده وخلفه بالعراق

(خلافة محمد المعتصم)

فلما مات هو على نهر البدندون جمع أخوه أبو اسحق محمد بن هرون المعتصم بالله اليـه وجوهَ القواد والاجناد فدعاهم الى بيعته فبايعوه فسار من طرسوس حتى وافى مدينة السلام فدخلها وخلع العباس بن المأمون عنها وغلبه عليها وبايعه الناس بها وكان قدومه بغداد مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة

ومائتين فأقام بها سنتين ثم مرّ باترا كه الى سُرَّ من رأى فابتناها واتخذها دارا
ومعسكرا وكانت فى خلافته فتوحات لم تكن لاحد من الخلفاء الذين مضوا
مثلها قبله منها فتح بابك وأسره وقتله ايّاه وصلبه ومنها ما زيار صاحب قلعة
طبرستان فانه تحصّن فى القلاع والجبال فما زال به حتى أخذه فقتله وصلبه الى
جنب بابك ومنها جعفر الكرديّ وقد كان أخرب البلاد وسبى الذراريّ
فوجه الخيول فى طلبه ولم يزل به حتى أخذه وقتله وصلبه الى جنب بابك
ومازيار ومن ذلك فتح عَمورِيّة وهى القسطنطينية الصغرى والاخرى فتحها
الله على يديه* وكان ابتداء أمر بابك انه تحرّك فى آخر أيّام المأمون وقد
اختلف الناس فى نسبه ومذهبه والذى صحّ عندنا وثبت أنه كان من ولد
مطهّر بن فاطمة بنت أبى مسلم هذه التى ينتسب اليها الفاطمية من الخُرَّمية
لا الى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ بابك والحَبْل مضطرب
والفتن متّصلة فاستفتح أمره بقتل من حوله بالبَذّ واخراب تلك الامصار والقرى
التى حواليه لتصفو له البلاد ويصعب مطلبه وتشتدّ المونة فى التوصل اليه
واشتدّت شوكته واستفحل أمره وقد كان المأمون وجه اليه حين اتصل به
خبره عبد الله بن طاهر بن الحسين فى جيش عظيم فسار اليه ونزل فى طريقه
الدينور فى ظاهرها فى مكان يعرف الى يومنا هذا بقصر عبد الله بن طاهر
وهو كرم مشهور ومكان مذكور ثم سار منها حتى وافى البذّ وقد عظم أمر
بابك وتهيّبه الناس فحاربوه فلم يقدروا عليه ففض جمعهم وقتل صناديدهم
وكان ممن قتل فى تلك الوقعة محمد بن حميد الطوسيّ وهو الذى رثاه أبو تمام

بقصيدته التى يقول فيها

كأنَّ بنى نبهان يومَ وفاته نجومُ سماء خرّ من بينها البَدْرُ

وفيها يقول

فأثبَتَ فى مُستنقعِ الموت رِجله وقال لها من تحتِ أخمَصك الحشر

فلما أفضى الأمر الى أبى اسحاق المعتصم بالله لم تكن همته غيرَه فاعدّ له الاموال والرجال وأخرج مولاه الافشين حيدر بن كاوس فسار الافشين بالعساكر والجيوش حتى وافى برزند فأقام بها حتى طاب الزمان وانحسرت الثلوج عن الطرقات ثم قدَّم خليفته يوباره وجعفر بن دينار وهو المعروف بجعفر الخيَّاط فى جمع كثير من الفرسان الى الموضع الذى كان فيه معسكرا وأمرهما أن يحفرا خندقا حصينا فسارا حتى نزلا هناك واحتفرا الخندق فلما فرغا من حفر الخندق استخلف الافشين بيرزند المرزبان مولى المعتصم فى جماعة من القواد وسار هو حتى نزل الخندق ووجه يوباره وجعفرا الخياط فى جمع كثيف الى رأس نهر كبير وأمرهما بحفر خندق آخر هناك فسارا حتى احتفراه فلما فرغا وافاهما الافشين ثم خلّف فى موضعه محمد بن خالد بخاراخذاه وشخص الى دَرْوذ فى خمسة آلاف فارس وألفى راجل ومعه ألف رجل من الفَعَلة حتى نزل دروذ واحتفر بها خندقا عظيما وبنى عليها سورا شاهقا فكان بابك وأصحابه يقفون على جبال شاهقة فيشرفون منها على العسكر ويولولون ثم ركب الافشين يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شعبان فى تعبية وحمل المجانيق وأمر بابك آذين ان يحصّن تلاّ مشرفا على المدينة ومعه ثلاثة آلاف